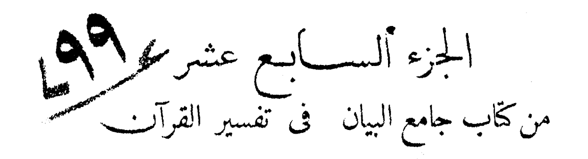


الجزء السابع عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الأولى)

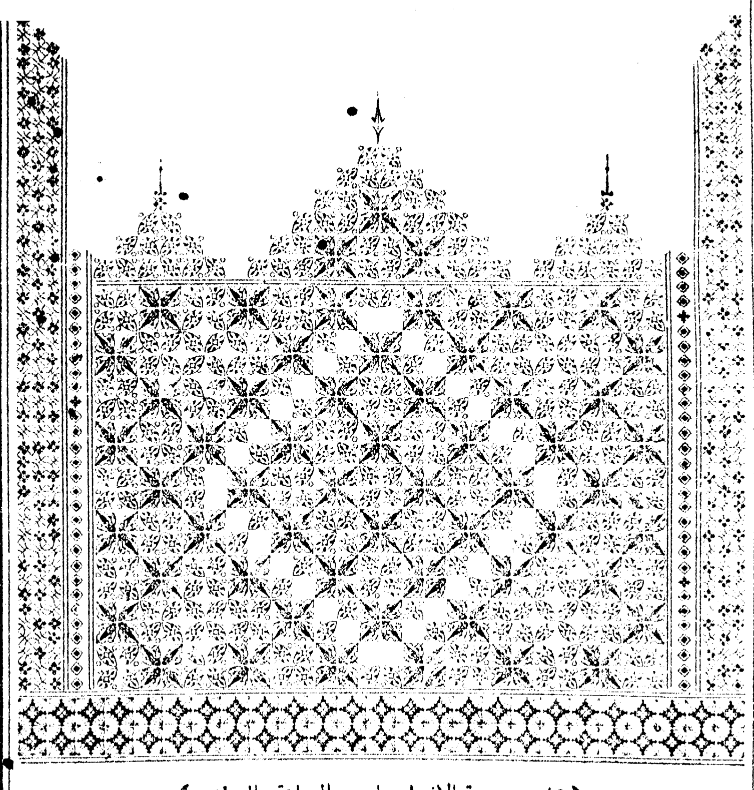
بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٨ هجريه

(سورة الأنبياء مكية حروفها أربعة آلاف وثمانمائة وتسعون كلمها ألف ومائة وثمان وسبعون آياتها مائة وست عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من فى السموات والارض ومن عنده



(تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) يقول تعالى ذكره دنا حساب الناس على أعمالهم التى عملوها فى دنياهم ونعمهم التى أنعمها عليهم فيها فى أبدانهم وأجسامهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم ومسئلته اياهم ماذا عملوا فيها وهل أطاعوه فيها فانتهوا الى أمره ونهيه فى جميعها أم عصوه فخالفوا أمره فيها وهم فى غفلة معرضون يقول وهم فى الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة وعن دنو محاسبته اياهم منهم واقترابه لهم فى سهو وغفلة وقد أعرضوا عن ذلك فتركوا الفكر فيه والاستعداد له والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء وشديد الأهوال * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وهم فى غفلة معرضون قال أهل التأويل وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنى أبو معاوية قال أخبرنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم فى غفلة معرضون قال فى الدنيا القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) يقول تعالى ذكره ما يحدث الله من تنزيل شئ من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث

الآية

الآية يقول ما نزل عليهم من شئ من القرآن الا استمعوه وهم يلعبون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره لاهية قلوبهم غافلة يقول ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن الا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لاهية قلوبهم يقول غافلة قلوبهم وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا يقول وأسر هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم فى غفلة معرضون لاهية قلوبهم النجوى بينهم يقول وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا هل هذا الذى يزعم أنه رسول من الله أرسله اليكم الا بشر مثلكم يقولون هل هو الا انسان مثلكم فى صوركم وخلقكم يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذى أخبر به عنهم فى هذه الآيات أنهم يفعلون ويقولون من الاعراض عن ذكر الله والتكذيب برسوله والذين من قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا فى الاعراب وجهان الخفض على أنه تابع للناس فى قوله اقترب للناس حسابهم والرفع على الرد (١) على الأسماء الذين فى قوله وأسروا النجوى من ذكر الناس كما قيل ثم عموا وصموا كثير منهم وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء ويكون معناه وأسروا النجوى ثم قال هم الذين ظلموا وقوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون يقول وأظهروا هذا القول بينهم وهى النجوى التى أسروها بينهم فقال بعضهم لبعض أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر يعنون بذلك القرآن كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال قاله أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله زعموا أنه ساحر وأن ما جاء به سحر قالوا أتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله قل ربى فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين قل ربى على وجه الأمر وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة قال ربى على وجه الخبر وكأن الذين قرؤه على وجه الامر أرادوا من تأويله قل يا محمد للقائلين أتأتون السحر وأنتم تبصرون ربى يعلم قول كل قائل فى السماء والارض لا يخفى عليه منه شئ وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب العليم بصدقى وحقيقة ما أدعوكم اليه وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها وكأن الذين قرؤا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا قال محمد ربى يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه اياهم والقول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقتا المعنى وذلك أن الله اذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله واذا قاله فعن أمر الله قاله فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ يقول تعالى ذكره ما صدقوا بحكمة هذا القرآن ولا أنه من عند الله ولا أقروا بأنه وحى أوحاه الله الى محمد صلى الله عليه وسلم بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها فى النوم وقال بعضهم هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه وقال بعضهم بل محمد شاعر وهذا الذى جاءكم به شعر فليأتنا بآية يقول قالوا فليجئنا محمد ان كان صادقا فى قوله ان الله بعثه رسولا الينا وان هذا الذى يتلوه علينا وحى من الله أوحاه الينا بآية يقول بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدعى كما أرسل الأولون يقول كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح وما أشبه ذلك من المعجزات التى

(١) لعله على الاسم الذى الخ تأمل كتبه مصححه

لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ ﴿ القراآت قال ربى بالألف حمزة وعلى وحفص الباقون قل على الأمر نوحى بالنون مبنيا للفاعل حفص غير الخراز الباقون بالياء مجهولا ﴿ الوقوف معرضون ج للآية مع احتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا يلعبون لا لأن لاهية حال أخرى مترادفة أو متداخلة من ضمير يلعبون وهى لاقلوبهم فى المعنى قلوبهم ط مثلكم ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول تبصرون ه والارض ز لاتفاق الجملتين مع استغناء الثانية عن الاولى العليم ه شاعر ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقول الأولون ه أهلكناها ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول يؤمنون ه لا تعلمون ه خالدين ه المسرفين ه ذكركم ه تعقلون ه آخرين ه يركضون ه ط لتقدير القول تسئلون ه ظالمين ه خامدين ه لاعبين ه من لدنا ه على جعل ان نافية والأصح أنها للشرط فاعلين ه زاهق لا تصفون ه والارض ط لان ما بعده مبتدأ يستحسرون ه ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا لا يفترون ه ﴿ التفسير قال جار الله اللام فى قوله للناس اما صلة لاقترب أو تأكيد لاضافة الحساب اليهم كقولك فى أزف رحيل الحى أزف للحى الرحيل فيه تأكيدان من جهة تقديم الحى ومن جهة اظهار اللام ثم تزيد تأكيدا آخر من جهة وضع ضمير الحى مضافا الى الرحيل موضع لام التعريف فيه فتقول أزف للحى رحيلهم والمراد اقترب للناس وقت محاسبتهم وهو القيامة كقوله اقتربت الساعة فاذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب وغيره كأنه لما هدد فى خاتمة السورة

المتقدمة بقوله فستعلمون بين في أول هذه السورة أن وقت ذلك العلم قريب فان قيل كيف وصف بالاقتراب وقد مضى دون هذا القول أكثر من سبعمائة عام فالجواب أن كل ما هو آت قريب وإنما البعيد الذي دخل في خبر كان قال القائل شعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غد * ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

على أنه لم يمض بعد يوم من أيام الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ومما يدل على أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي قوله

صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وقد وعد بعث خاتم النبيين في آخر الزمان وفي ذكر هذا الاقتراب تنبيه للغافلين وزجر للمذنبين فالمراد بالناس كل من له مدخل في الحساب وهم جميع المكلفين وما روي عن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون فمن باب اطلاق اسم الجنس على بعضه بالدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والاعراض وغيرهما والذكر الطائفة النازلة من القرآن وقرئ (محدث) بالرفع صفة على المحل واحتجت المعتزلة بالآية على أن القرآن محدث وأجاب الاشاعرة بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف لأنه متجدد في النزول وإنما النزاع في الكلام النفسي الذي لا يصح عليه الاتيان والنزول وزعم الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه ان حاصل قول المعتزلة في هذا المقام يؤل الى قولنا القرآن ذكر وبعض الذكر محدث لان قوله من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا بل على أن ذكرا ما محدث كما أن قول القائل لا يدخل هذا البلد رجل فاضل الا يبغضونه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلا واذا كان كذلك فيصير صورة القياس كقولنا الانسان حيوان وبعض الحيوان فرس وانه لا ينتج شيأ لان كلية الكبرى شرط في انتاج الشكل الاول كما عرف في علم الميزان قلت ان المعتزلة لا يحتاجون في اثبات دعواهم الى تركيب مثل هذا القياس لان مدعاهم يثبت بتسليم احدى مقدمتي القياس الذي ركبه وهي قوله بعض الذكر محدث لانه نقيض ما يدعيه الاشاعرة وهو لا شئ من القرآن بمحدث واذا صدق أحد النقيضين كذب الآخر بالضرورة فظهر أن الامام غلطهم في هذا القياس الذي ركبه ثم لقائل أن يقول تتميما لقول المعتزلة اذا ثبت أن بعض القرآن محدث لزم أن يكون كله محدثا

لا يقدر عليها الا الله ولا يأتي بها الا الأنبياء والرسل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أضغاث أحلام أي فعل حالم انما هي رؤيا رآها بل افتراه بل هو شاعر كل هذا قد كان منهم وقوله فليأتنا بآية كما أرسل الأولون يقول كما جاء عيسى بالبينات وموسى بالبينات والرسل حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام قال مشتبهة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أضغاث أحلام قال أهاويلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال تعالى ذكره بل قالوا ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقق ببل لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب فاجتزى بمعرفة السامعين بما دل عليه قوله بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ما آمن قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذبناهم بالهلاك في الدنيا اذ جاءهم رسولنا اليهم بآية معجزة أفهم يؤمنون يقول أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون به ان جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الامم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أهلكناها أفهم يؤمنون يصدقون بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون أي الرسل كانوا اذا جاؤا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا الى أمة من الامم التي خلت قبل أمتك الا رجالا مثلهم نوحي اليهم ما نريد أن نوحيه اليهم من أمرنا ونهينا لا ملائكة فماذا أنكروا من ارسالناك اليهم وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك الى أممهم وقوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم هل هذا الا بشر مثلكم فان أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد فلم تعلموا أيها القوم أمرهم انس كانوا أم ملائكة فاسألوا أهل الكتب من التوراة والانجيل ما كانوا يخبروكم عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يقول

فاسألوا

لان القائل قا ‌لان أحدهما ذهب الى قدم كله والثانى الى حدوث كله ولم يذهب أحد الى قدم بعضه وحدوث بعضه قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة من ربهم محدث لموافقة قوله بعدهذا قل ربى يعلم وقال فى الشعراء من ذكر من الرحمن محدث لكثرة ذكر الرحيم فيها فكان الرحمن بالرحيم أنسب قوله تعالى (يلعبون) اللعب الاشتغال بما لا يعنى قوله (لاهية) هى من لهى عنه بالكسر اذا ذهل وغفل وفيه ان هم الا كالانعام بل هم لا يحصلون من الاستماع والتذكير الا على مثل ما تحصل هى عليه آذانهم تسمع وقلوبهم لا تعى ولا تفقه ومعنى (وأسروا النجوى) بالغوا فى اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن أحد لها ولا يعلم أنهم متناجون وفى واو أسروا وجهان أحدهما أنه على لغة من يجوز الحاق علامة التثنية والجمع بالفعل اذا كان مقدما على فاعله وثانيهما وهو الأقوى أن الواو ضمير راجع الى الناس المقدم ذكرهم والذين ظلموا بدل منهم أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى مقدما عليه وعلى التقادير أراد وأسروا النجوى هؤلاء فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم ثم أبدل من النجوى قوله (هل هذا الا بشر) الى قوله (وأنتم تبصرون) أى أتقبلون سحره وتحضرون هنالك وأنتم ترون أنه رجل مثلكم أو تعلمون أنه سحر وأنتم من أهل البصر والعقل وجوز بعضهم أن يكون قوله هل هذا الى آخره مفعولا لقالوا مضمرا وانما أسروا نجوى هذا الحديث لانهم أرادوا شبه التشاور فيما بينهم تحريا لهدم أمر النبى كما جاء فى كلام الحكماء ويرفع أيضا الى النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويجوز أن يسروا بذلك ثم يقولوا للرسول والمؤمنين ان كان ما تدعون حقا فأخبرونا عما أسررنا من قرأ (قال ربى) فعلى حكاية الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه قال انكم وان أخفيتم قولكم وطعنكم فان ربى عالم بذلك وانه من وراء عقابه يصف نفسه فى بعض المواضع بأنه يعلم السر وذلك حين يريد تخصيصه بعلم الغيب ووصف نفسه ههنا بأنه يعلم القول قال جار الله هذا آكد لانه عام يشمل السر والجهر فكان فى العلم به العلم بالسر وزيادة وأقول هذا اذا كان اللام فى القول للاستغراق أما اذا كان للجنس فلا يلزم زيادة العلم اذ لا دلالة للعام على الخاص بل نقول العلم بالسر يستلزم العلم بالجهر بالطريق الأولى فلا مزية لاحدى العبارتين على الأخرى (وهو السميع العليم) خصص علمه بالمسموعات أولا ثم عمم

فاسألوا أهل التوراة والانجيل «قال أبو جعفر أراه أنا قال» يخبرهم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وقيل أهل الذكر أهل القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد ابن محمد الطوسى قال ثنى عبد الرحمن بن صالح قال ثنى موسى بن عثمان عن جابر الجعفى قال لما نزلت فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال على نحن أهل الذكر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال أهل القرآن والذكر القرآن وقرأ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين يقول تعالى ذكره وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد الى الأمم الماضية قبل أمتك جسدا لا يأكلون الطعام يقول لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول ما جعلناهم جسدا الا ليأكلوا الطعام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام ۞ قال أبو جعفر وقال وما جعلناهم جسدا فوحد الجسد وجعله موحدا وهو من صفة الجماعة وانما جاز ذلك لان الجسد بمعنى المصدر كما يقال فى الكلام وما جعلناهم خلقا لا يأكلون وقوله وما كانوا خالدين يقول ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد أخبر الله عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قال الله تبارك وتعالى لهم ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكم وانما كنا نرسل اليهم رجالا نوحى اليهم كما أرسلنا اليكم رسولا نوحى اليه أمرنا ونهينا ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كانوا خالدين أى لا بد لهم من الموت أن يموتوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم الآيات فآتيناهم ما سألوه من ذلك ثم أقاموا على تكذيبهم اياها وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذى أتتهم به من آيات ربها وعدنا الذى وعدناهم من الهلاك على اقامتهم على الكفر بربهم بعد مجىء الآية التى سألوها وذلك كقوله جل ثناؤه فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وكقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ونحو ذلك من المواعيد التى وعد الأمم مع مجىء الآيات وقوله فأنجيناهم يقول تعالى ذكره فأنجينا الرسل عند اصرار أممها على تكذيبها بعد

وقال الامام قدم السميع على العليم لانه لابد من استماع الكلام أولا ثم من حصول العلم بمعناه قلت هذا قياس الغائب على الحاضر قوله قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) معنى هذه الاضرابات مع ملاحظة ماقبلها أنهم أنكروا أوّلا كون الرسول من جنس البشر كأنهم قالوا سلمنا ذلك ولكن الذى ادّعيت أنه معجز ليس بمعجز غايته أنه خارق للعادة وليس كل ماهو خارق للعادة معجزا فقد يكون سحرا اذا ساعدناعلى أن فصاحة القرآن خارجة (٦) عن العادة لكنا عن تسليم هذه المقدمة بمراحل فانا ندعى أنه فى غاية الركاكة و

النظم كأضغاث أحلام وهى الأحلام المختلطة التى لاأصل لها وقدمر فى سورة يوسف سلمنا ولكنه من جنس كلام الاوساط افتراه من عنده سلمنا أنه كلام فصيح ولكنه لايتجاوز فصاحة الشعراء واذا كان حال هذا المعجز هكذا (فليأتنا بآية) لايتطرق اليها شئ من هذه الاحتمالات (كما أرسل الأولون) أى كما أتى الأولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن لاتيانهم بالآيات ومن تأمل فى هذه الأقوال المحكية عن أولئك الكفرة علم أنها كلام مبطل متحير هائم فى أودية الضلال والا يكفى فى اعجاز القران أنهم عدلوا حين تحدوا به عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف ثم بين أن الآيات التى يقترحونها لافائدة لهم فيها لأنهم أعتى من الأمم السالفة وأنهم ما آمنوا عند مجئ الآيات المقترحة فأهلكوا الاجل ذلك (أفهم يؤمنون) مع شدة شكيمتهم فيه معنى الانكار أى لايؤمنون البتة وحينئذ يجب اهلاكهم ولكن قد سبق القول من الله أن هذه الأمة أمنوا من عذاب الاستئصال ثم أجاب عن شبهتهم الأولى وهى قولهم هل هذا الابشر مثلكم بقوله (وما أرسلنا قبلك الارجالا) وقد مر مثله فى آخر سورة يوسف وفى النحل وانما جاز الامر بالرجوع الى أهل الكتاب وان كانوا من الكفرة لان هذا الخبر قد تواتر عندهم وبلغ حد الضرورة على أن أهل الكتاب كانوا يتابعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قولهم عندهم حجة وقيل أهل الذكر أهل القرآن وضعف بأنهم كانوا طاعنين فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يؤمرون بالرجوع الى قولهم واستدل كثير من الفقهاء بالآية فى أن للعامى أن يرجع الى العلماء وللمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر وأجيب بأنها خطاب مشافهة وارد فى الواقعة المخصوصة وفى السؤال عن أهل الكتاب فلا يتعدى وارجعوا

نهر

الآيات ومن نشاء وهم أتباعها الذين صدّقوها وآمنوا بها وقوله وأهلكنا المسرفين يقول تعالى ذكره وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهلكنا المسرفين والمسرفون هم المشركون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم فيه حديثكم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فيه ذكركم قال حديثكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال حديثكم أفلا تعقلون قال فى قد أفلح بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان نزل القرآن بمكارم الأخلاق ألم تسمعه يقول لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ۞ وقال آخرون بل عنى بالذكر فى هذا الموضع الشرف وقالوا معنى الكلام لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه شرفكم ۞ قال أبو جعفر وهذا القول الثانى أشبه بمعنى الكلمة وهو نحو مما قال سفيان الذى حكينا عنه وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون ﴾ يقول تعالى ذكره وكثيرا قصمنا من قرية والقصم أصله الكسر يقال منه قصمت ظهر فلان اذا كسرته وانقصمت سنه اذا انكسرت وهو ههنا معنىّ به أهلكنا وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكم قصمنا قال أهلكنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وكم قصمنا من قرية قال أهلكناها قال ابن جريج قصمنا من قرية قال باليمن قصمنا بالسيف أهلكوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله قصمنا من قرية قال قصمها أهلكها وقوله من قرية كانت ظالمة أجرى الكلام على القرية والمراد بها أهلها المعرفة السامعين بمعناه وكان ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله وقوله وأنشأنا بعدها قوما آخرين يقول تعالى ذكره وأحدثنا بعدما أهلكنا هؤلاء الظلمة أهل هذه القرية التى قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم وقوله فلما أحسوا بأسنا يقول فلما عاينوا عذابنا قد حل بهم ورأوه وجدوا مسه يقال منه قد أحسست من فلان ضعفا وأحسسته منه اذا هم منها يركضون يقول اذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عجلى يعدون منهزمين يقال منه ركض فلان فرسه اذا كده بسياقته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لا تركضوا

وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون﴾ يقول تعالى ذكره لاتهربوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه يقول الى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم كما حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى ابى عن أبيه عن ابن عباس قوله لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون يعنى من نزل به العذاب فى الدنيا ممن كان يعصى الله من الأمم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لاتركضوا لاتفروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وارجعوا الى ما أترفتم فيه يقول ارجعوا الى دنياكم التى أترفتم فيها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وارجعوا الى ما أترفتم فيه قال الى ما أترفتم فيه من دنياكم * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله لعلكم تسئلون فقال بعضهم معناه لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسئلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لعلكم تسئلون قال تفقهون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لعلكم تسئلون قال تفقهون * وقال آخرون بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيأ على وجه السخرية والاستهزاء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلكم تسئلون استهزاء بهم حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لعلكم تسئلون من دنياكم شيأ استهزاء بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء الذين أحل الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله ياويلنا انا كنا ظالمين بكفرنا بربنا فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم حين أتاهم بأس الله بظلمهم أنفسهم ياويلنا انا كنا ظالمين حتى قتلهم الله فحصدهم بالسيف كما يحصد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل وقوله خامدين يقول هالكين قد انطفأت شرارتهم وسكنت حركتهم فصاروا همودا كما تخمد النار فتطفأ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما زالت تلك دعواهم الآية فلما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لهم هجيرى الا قولهم ياويلنا انا كنا ظالمين حتى دمر الله عليهم وأهلكهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين يقول حتى هلكوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

عن مورد النص وقد مر فى آخر سورة يوسف الفرق بين قوله وما أرسلنا من قبلك وقوله وما أرسلنا قبلك بغير من وليس الا ههنا وفى أوائل الفرقان وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ثم أكد كون الرسل من جنس البشر بقوله (وما جعلناهم جسدا) الآية كأنهم قالوا انه بشر يأكل كما نأكل ويموت كما نموت فلعلهم اعتقدوا خلود الملائكة لا أقل من العمر الطويل ولا بد من تقدير مضاف محذوف أى وما جعلنا الانبياء قبلك ذوى جسد غير طاعمين والاقيل وما جعلناهم أجسادا ووحد الجسد لارادة الجنس أى ذوى ضرب من الاجساد أو أراد كل واحد منهم قوله (صدقناهم الوعد) أصله فى الوعد فنصب بنزع الخافض ثم فسر الوعد بقوله (فأنجيناهم ومن نشاء) وهم المؤمنون ثم نبههم على عظيم نعمه عليهم بقوله (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) أى شرفكم وصيتكم أو فيه بيان مكارم الأخلاق التى بها يبقى الذكر الجميل مع الثواب الجزيل ثم أوعدهم وحذرهم ما جرى على الأمم المكذبة فقال (وكم قصمنا) والقصم القطع الكبير وهو الذى يبين تلاؤم الاجزاء واذا لم يبين فهو الفصم بالفاء وذلك أن القاف حرف شديد والفاء رخو لوحظ جانب المعنى فى اللفظ ومعنى (من قرية) من أهل قرية لقوله (وأنشأنا بعدها قوما آخرين) وللضمائر فى قوله (فلما أحسوا) الى آخر القصة والمراد بالاحساس الادراك بحاسة اللمس أو علم لاشك فيه كالمحسوس المشاهد والركض ضرب الدابة بالرجل كأنهم ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم حين أدركتهم مقدمة العذاب قال الجوهرى الركض تحريك الرجل على الدابة استحثاثا لها ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا فعلى هذا يجوز أن القوم كانوا يعدون على أرجلهم فقيل لهم لاتركضوا والقائل اما من الملائكة أو من المؤمنين أو يجعلون أحقاء بأن يقال لهم ذلك وأسمع رب العزة ملائكته هذا القول لينفعهم فى دينهم أو ألهم الله الكفار ذلك فحدثوا به أنفسهم (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من العيش الهنىء والاتراف ابطار النعمة (لعلكم تسئلون) غدا عما جرى عليكم وعلى أموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو اجلسوا فى مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم عما تأمرون وماذا ترسمون فينفذ فيهم أمركم ونهيكم أو يسألكم الناس مستعينين بتدابيركم وآرائكم أو يسألكم الوافدون وأرباب الطمع مستمطرين سحاب أكفكم اما لانهم كانوا أسخياء ولكن سمعة

قال ابن عباس حصيدا الحصاد خامدين خمود النار اذا طفئت حدثنا سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انهم كانوا أهل حصون وان الله بعث عليهم بختنصر فبعث اليهم جيشا فقتلهم بالسيف وقتلوا نبيا لهم فحصدوا بالسيف وذلك قوله فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالسيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا حجة عليكم أيها الناس ولتعتبروا بذلك كله فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شئ وأنه لا تكون الالوهة الا له ولا تصلح العبادة لشئ غيره ولم يخلق ذلك عبثا ولعبا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين يقول ما خلقناهما عبثا ولا باطلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين﴾ يقول تعالى ذكره لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا ولكنا لا نفعل ذلك ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله الغيلاني قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا سلام بن مسكين قال ثنا عقبة بن أبي حمزة قال شهدت الحسن بمكة قال وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه قال الحسن اللهو المرأة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن محمد عن ليث عن مجاهد في قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا قال زوجة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا الآية أي ان ذلك لا يكون ولا ينبغي واللهو بلغة أهل اليمن المرأة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو أردنا أن نتخذ لهوا قال اللهو في بعض لغة أهل اليمن المرأة لاتخذناه من لدنا وقوله ان كنا فاعلين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله ان كنا فاعلين يقول ما كنا فاعلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قالوا مريم صاحبته وعيسى ولده فقال تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا نساء وولدا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قال من عندنا ولا خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لاتخذناه من لدنا من عندنا وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ يقول تعالى ذكره ولكن ننزل الحق من عندنا وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله فيدمغه يقول فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة

ورياء وأما لانهم بخلاء وفي كل هذه الوجوه تهكم بهم وتوبيخ لهم (فما زالت تلك) الدعوى وهي قولهم يا ويلنا لان المولول كأنه يدعو الويل (دعواهم) الاول اسم ما زال والثاني خبره أو بالعكس والدعوى بمعنى الدعوة وقد مر في قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والحصيد المحصود كقوله منها قائم وحصيد شبهوا بالزرع المستأصل والنار التي تخمد فتصير رمادا أي جعلناهم مشبهين بالمحصود والخامد ووحد حصيدا لان المراد زرعا حصيدا ولان فعيلا قد يستوي (٨) فيه الواحد والجمع عن ابن عباس أن الآية نزلت في حضور وسحول قريتين باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم فكأن القوم حصدوا بالسيف وروي أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يالثارات الأنبياء قال أهل النظم لما بين اهلاك كثير من القرى لأجل ظلمهم وتكذيبهم منها اللتان رواهما ابن عباس أتبعه ما يدل على أنه فعل ذلك عدلا ومجازاة لا عبثا ولا مجازفة فقال (وما خلقنا السماء والارض) الآية أي وما سويناهذا السقف المرفوع والمهاد الموضوع (وما بينهما) من الاركان والمواليد كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناهما للغايات صحيحة ومنافع للخلق دينية ودنيوية كما مر طرف منها في أول البقرة ويمكن أن يقال المقصود من سياق الآية تقرير نبوة محمد والرد على منكريه لانه ظهر المعجز عليه فان كان صادقا فهو المطلوب وان كان كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وهو منفي عنه سبحانه قال القاضي عبد الجبار فيه دليل على أنه لا يخلق اللعب وكل قبيح والا كان لاعبا وعورض بما ألى العلم والداعي ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب ليس هو العجز والضعف ولكن لان الحكمة تبلغ فافيه معنى (من لدنا) من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن أو المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الانس ردا على من قال عزير ابن الله والمسيح ابن الله ويحتمل أن يقال من لدنا أي من عندنا على سبيل الخفية فلا تعرفونه ولا تسمعون اسمه فيكون الرد شاملا لكل من ادعى لله ولدا ولو من الملائكة ثم أضرب عن اتخاذ اللهو واللعب فوصف نفسه بما يضاد فعل العبث قائلا (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا

هو) يعني الباطل (زاهق) أي فيفاجأ الدمغ زهوق الباطل قال علماء المعاني هذا من باب استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلي فأصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام لان القذف الرمي بنحو الحجارة والدمغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل بجامع الزهوق ثم وبخهم ونعى عليهم بما وصفوه بالولد وغير ذلك مما لا يجوز عليه وينافي وجوب الوجود وبما وصفوا رسوله به من السحر (٩) والشعر وغير ذلك من الأوصاف المضادة

تبلغ الدماغ واذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة وقوله فاذا هو زاهق يقول فاذا هو هالك مضمحل كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاذا هو زاهق قال هالك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا هو زاهق قال ذاهب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والحق كتاب الله القرآن والباطل ابليس فيدمغه فاذا هو زاهق أي ذاهب وقوله ولكم الويل مما تصفون يقول ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته وقيلكم انه اتخذ زوجة وولدا وفريتكم عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل الا أن بعضهم قال معنى تصفون تكذبون * وقال آخرون معنى ذلك تشركون وذلك وان اختلفت به الالفاظ فتتفق معانيه لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه اياه بذلك وأشرك به ووصفه بغير صفته غير أن أولى العبارات أن يعبر بها عن معاني القرآن أقربها الى فهم سامعيه ذكر من قال ما قلنا في ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم الويل مما تصفون أي تكذبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولكم الويل مما تصفون قال تشركون وقوله عما يصفون قال يشركون قال وقال مجاهد سيجزيهم وصفهم قال قولهم الكذب في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) يقول تعالى ذكره وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا وله ملك جميع من في السموات والارض والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم اياه ولا يعيون من طول خدمتهم له وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته وكل من في السموات والارض عبيده فأنى يكون له صاحبة وولد يقول أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يستحسرون لا يرجعون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يستحسرون لا يحسرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قال لا يستحسرون لا يملون ذلك الاستحسار قال ولا يفترون ولا يسأمون هذا كله معناه واحد والكلام مختلف وهو

للرسالة فقال (ولكم الويل مما تصفون) أي تصفونه به ثم بين كمال قدرته ونهاية حلمه وحكمته فقال (وله من في السموات والارض) والمراد عن عنده الملائكة المقربون والمقصود عندية الشرف والرتبة فأما عندية المكان ففيها بحث طويل قال الزجاج (لا يستحسرون) أي لا يتعبون ولا يعيون الاعياء قال جار الله كان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور ولكنه ذكر بلفظ المبالغة وهو استفعل لبيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأنهم أحقاء بتلك العبادات الشاقة بأن يستحسروا ومع ذلك لا يعدونها تعبا عليهم ثم أكد ذلك بقوله (يسبحون الليل والنهار) منصوبان على الظرفية (لا يفترون) لا يلحقهم الفتور والكلال وحاصل الآية أن الملائكة مع غاية شرفهم ونهاية قربهم لا يستنكفون عن طاعة الله فكيف يليق بالبشر مع ضعفهم ونقصهم أن يتمردوا عن طاعته وقد مر في أول سورة البقرة استدلال مفضلي الملائكة على الأنبياء بهذه الآية وبغيرها فلا حاجة الى اعادته عن عبدالله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب

الأحبار أرأيت قول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة أليس الرسالة واللعن مانعين لهم عن التسبيح أجاب كعب بأن التسبيح لهم كالنفس لنا لا يمنعهم عن الاشتغال بشئ آخر واعترض بأن آلة التنفس فينا مغايرة للسان فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم وأجيب بأنه لا استبعاد في أن يكون لهم ألسن كثيرة أو يكون المراد بعدم الفتور أنهم لا يتركون التسبيح في أوقاته

من قولهم بعير حسير اذا أعيا وقام ومنه قول علقمة بن عبدة

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

* القول في تأويل قوله تعالى {يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون} يقول تعالى ذكره يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكته ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم اياه كما **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون (1) ويسبحون الليل والنهار لا يسأمون فقال هل يؤدك طرفك هل يؤدك نفسك قال لا قال فانهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطرف والنفس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو معاوية عن أبي اسحق الشيباني عن حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحرث قال قلت لكعب الأحبار يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم رسالة أو عمل قال يا ابن أخي انهم جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفس قلت بلى قال فكذلك جعل لهم التسبيح **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن وأبو داود قالا ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمر قال ان الله خلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزأ سائر الخلق وجزأ الملائكة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزأ لرسالته وجزأ الخلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الجن وجزأ سائر بني آدم وجزأ بني آدم عشرة أجزاء فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزأ سائر بني آدم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون يقول الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيها وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه اذ قال تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء يا نبي الله قال اني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وليس فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد أو قائم وقوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون يقول تعالى ذكره أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون يعني بقوله هم الآلهة يقول هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الاموات يقول يحيون الأموات وينشرون الخلق فان الله هو الذي يحيي ويميت كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى ح **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ينشرون يقول يحيون **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون يقول أفي آلهتهم أحد يحيي ذلك ينشرون وقرأ قول الله قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله مالكم كيف تحكمون

(1) التلاوة يسبحون له بالليل والنهار وهم الخ

اللائقة به * التأويل اقترب لأهل النسيان أن يحاسبوا أنفسهم كقوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ما يأتيهم من ذكر وعظ وتذكير من عالم رباني محدث الهامه الا أنكروه عليه ونسبوه الى التخليط ونحوه وما جعلناهم جسدا فيه ان الله قادر على أن لا يجعل النبي والولي ذا جسد ولكن اقتضت حكمته كونهم ذوي أجساد آكلين للطعام فان الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الانساني كالدهن للسراج وبالقوى الحيوانية تتم الكمالات النفسانية وتدرك المحسوسات وتستفاد العلوم المستندة الى الاحساس والتجربة وتفصيله أكثر من أن يحصى قال بعض المشايخ لولا الهوى ما سلك أحد طريقا الى الله وما كانوا خالدين والسر فيه أن يعلموا من الموت حقيقة اسم المميت كما علموا من الحياة حقيقة اسم المحيي ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم حين أهبطوا الى الأرض فأنجيناهم ومن نشاء من متابعيهم من هاوية الهوان وعالم الطبيعة وأهلكنا المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم بالركون الى أسفل سافلين الطبائع وكم قصمنا من أهل قرية قال فلما أحسوا بأسنا وهي شدة قطع التعلق عن الكونين فان الفطام عن المألوف شديد لا تركضوا منا بل ففروا الينا وارجعوا الى التنعمات الروحانية ومساكنكم الاصلية لعلكم تسئلون عزة وكرامة وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار من غير غاية وانما خلقناها لتكون لطفنا وقهرنا بل نقذف بالحق على الباطل للحق ثلاث مراتب مرتبة أفعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق ففي كل مرتبة يتجلى الحق فيها للعبد أزهق باطل تلك المرتبة عن العبد حتى اذا تجلى له بأفعاله ذهب عنه باطل الأفعال واذا تجلى له بصفاته ذهب باطل صفاته واذا تجلى له بذاته في ذاته فيقول أنا الحق وسبحاني والويل لمن لم يذهب باطله باحدى هذه المراتب فيبقى متصفا بالوجود المجازي

* القول {أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم
انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شئ حى أفلا يؤمنون وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم
عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك (١١) يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
أفان مت فهم الخالدون كل
نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر
والخير فتنة والينا ترجعون واذا
رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم
وهم بذكر الرحمن هم كافرون
خلق الانسان من عجل سأريكم
آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم
الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من
يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
بل هم عن ذكر ربهم معرضون
أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا
لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا
هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء
وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا
يرون أنا نأتى الارض ننقصها من
أطرافها أفهم الغالبون قل انما
أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء
اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة
من عذاب ربك ليقولن ياويلنا
انا كنا ظالمين ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم
نفس شيأ وان كان مثقال حبة من
خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين
ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ يقول تعالى ذكره لو كان فى السموات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذى هو خالق الأشياء وله العبادة والألوهة التى لا تصلح الا له لفسدتا يقول لفسد أهل السموات والأرض فسبحان الله رب العرش عما يصفون يقول جل ثناؤه فتنزيه لله وتبرئة له مما يفترى به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ يقول تعالى ذكره لا سائل يسأل رب العرش عن الذى يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت واعزاز واذلال وغير ذلك من حكمه فيهم لانهم خلقه وعبيده وجميعهم فى ملكه وسلطانه والحكم حكمه والقضاء قضاؤه لا شئ فوقه يسأله عما يفعل فيقول له لم فعلت ولم لم تفعل وهم يسئلون يقول جل ثناؤه وجميع من فى السموات والأرض من عباده مسؤلون عن أفعالهم ومحاسبون على أعمالهم وهو الذى يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه لانه فوقهم ومالكهم وهم فى سلطانه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون يقول لا يسئل عما يفعل بعباده وهم يسئلون عن أعمالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عن قضائه فى خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عما يقضى فى خلقه والخلق مسؤلون عن أعمالهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر وتخلق وتحيى وتميت قل يا محمد لهم هاتوا برهانكم يعنى حجتكم يقول هاتوا ان كنتم تزعمون أنكم محقون فى قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل هاتوا برهانكم يقول هاتوا بينتكم على ما تقولون وقوله هذا ذكر من معى يقول هذا الذى جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل ذكر من معى يقول خبر من معى مما لهم من ثواب الله على ايمانهم به وطاعتهم اياه وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم اياه وكفرهم به وذكر من قبلى يقول وخبر من قبلى من الامم التى سلفت قبلى وما فعل الله بهم فى الدنيا وهو فاعل بهم فى الآخرة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا ذكر من معى يقول هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام وذكر من قبلى يقول

﴿ القراآت الا نوحى اليه بالنون حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد انى اله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ابن ذكوان أولم ير بغير واو ابن كثير الآخرون بواو متوسطة بين همزة الاستفهام والفعل ونظائرها كثيرة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان ولا تسمع من الاسماع خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم الصم بالنصب ابن عامر الآخرون على الغيبة من السماع

الصم بالرفع مثقال حبة بالرفع على كان التامة وكذلك فى سورة لقمان أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب ۞ الوقوف ينشرون ○ لفسدتا
ج للابتداء بسبحان للتعظيم مع فاء التعقيب تعجيلا للتنزيه يصفون ○ يسئلون ○ آلهة ط برهانكم ج لاتحاد المقول من غير عاطف
قبلى ط لايعلمون ○ لا لأن مابعده مفعول معرضون ○ فاعبدون ○ سبحانه ط مكرمون ○ ط لان مابعده صفة بعد صفة يعملون
○ ولايشفعون ○ لا للاستثناء مشفقون ○ (١٣) جهنم ط الظالمين ○ ففتقناهما ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حى
ط يؤمنون ○ يهتدون ○
محفوظا ج لاحتمال الواو الاستئناف
والحال معرضون ○ والقمر ط
يسبحون ○ الخلد ط الخالدون
○ الموت ط فتنة ط ترجعون
○ هزوا ط آلهتكم ج
لاحتمال الواو الاستئناف والحال
كافرون ○ من عجل ط فلا
تستعجلون ○ صادقين ○
ينصرون ○ ينظرون ○
يستهزؤن ○ ط من الرحمن
ط معرضون ○ من دوننا ط
فصلا بين الاستفهام والاخبار
يصحبون ○ العمر ط من
أطرافها ط الغالبون ○ بالوحى
ط لاستئناف ولايسمع بالياء
التحتانية والوصل أجوز لتميم
المقول ومن قرأ على الخطاب وقف
لانه خرج عن المقول ينذرون ○
ظالمين ○ شيأ ط أتينا بها ط
حاسبين ○ للمتقين ○ لا لاتصال
الصفة ولايخفى أنه يحتمل النصب
أو الرفع على المدح فيجوز أن لايوصل
مشفقون ○ أنزلناه ط منكرون
۞ التفسير انه سبحانه بدأ فى أول
السورة بذكر المعاد ثم انجر
الكلام الى النبوات ومايتصل
بها سؤالا وجوابا فختم الكلام
بالالهيات لانها المقصود بالذات
فقال على سبيل الاضراب عما
قبلها والانكار لما بعدها بواسطة
أم المنقطعة أم اتخذوا آلهة من الارض نسبت الى الارض كما يقال فلان من مكة لانها أصنام تعبد فى الارض مما
لا الآلهة على ضربين أرضية وسماوية أو أراد أنها من جنس الارض لانها تنحت من حجر أو تعمل من جوهر آخر أرضى و يقال أنشر
الله الموتى ونشرها أى أحياها ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات كأنهم بادعائهم لها الالهية ادعوا لها الانشار وان كانوا
منكرين البعث فضلا عن قدرة الاصنام عليه لانه لايستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات بالدلائل

ذكر أعمال الأمم السالفة وماصنع الله بهم والى ماصاروا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج هذا ذكر من معى قال حديث من معى وحديث من قبلى وقوله
بل أكثرهم لايعلمون الحق يقول بل أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون الصواب فيما يقولون
ولافيما يأتون ويذرون فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به وقلة فهم وكان قتادة يقول فى ذلك
ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم
معرضون عن كتاب الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى
اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون﴾ يقول تعالى ذكره وما أرسلنا يامحمد من قبلك من رسول الى
أمة من الأمم الا نوحى اليه أنه لامعبود فى السموات والأرض تصلح العبادة له سواى فاعبدون
يقول فأخلصوا لى العبادة وأفردوا لى الالوهة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من قبلك
من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون قال أرسلت الرسل بالاخلاص والتوحيد لايقبل
منهم «قال أبو جعفر أظنه أنا قال» عمل حتى يقولوه ويقروا به والشرائع مختلفة فى التوراة
شريعة وفى الانجيل شريعة وفى القرآن شريعة حلال وحرام وهذا كله فى الاخلاص لله
والتوحيد له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون
لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بربهم اتخذ
الرحمن ولدا من ملائكته فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا وتبريا مما وصفوه به سبحانه يقول
تنزيها له عن ذلك ماذلك من صفته بل عباد مكرمون يقول ماالملائكة كما وصفهم به هؤلاء
الكافرون من بنى آدم ولكنهم عباد مكرمون يقول أكرمهم الله كما **حدثنا** بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون قال قالت
اليهود ان الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت منهم الملائكة قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم
وردا عليهم بل عباد مكرمون وان الملائكة ليس كما قالوا انما هم عباد أكرمهم الله بعبادته **حدثنا**
محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة **وحدثنا** الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قالت اليهود وطوائف من الناس
ان الله تبارك وتعالى خاتن الى الجن والملائكة من الجن قال الله تبارك وتعالى سبحانه بل عباد
مكرمون وقوله لايسبقونه بالقول يقول جل ثناؤه لايتكلمون الا بما يأمرهم به ربهم ولايعملون
عملا الا به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله لايسبقونه
بالقول يثنى عليهم وهم بأمره يعملون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم
ولايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ يقول تعالى ذكره يعلم ما بين أيدى
ملائكته مالم يبلغوه ماهو وماهم فيه قائلون وعاملون وما خلفهم يقول وما مضى من قبل اليوم

عما خلفوه وراءهم من الازمان والدهور وما عملوا فيه قالوا ذلك كله محصى لهم وعلمهم لا يخفى عليه من ذلك شئ * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول يعلم ما قدموا وما أضاعوا من أعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى يقول ولا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يقول الذين ارتضى لهم شهادة أن لا اله الا الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الا لمن ارتضى قال لمن رضى عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يوم القيامة وهم من خشيته مشفقون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يقول ولا يشفعون يوم القيامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله وقوله وهم من خشيته مشفقون يقول وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحل بهم مشفقون يقول حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) يقول تعالى ذكره ومن يقل من الملائكة اني اله من دون الله فذلك الذي يقول ذلك منهم نجزيه جهنم يقول نثيبه على قيله ذلك جهنم كذلك نجزي الظالمين يقول كما نجزي من قال من الملائكة اني اله من دون الله جهنم كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه فكفر بالله وعبد غيره وقيل عني بهذه الآية ابليس وقال قائلو ذلك انما قلنا ذلك لانه لا أحد من الملائكة قال اني اله من دون الله سواه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومن يقل منهم قال قال ابن جريج من يقل من الملائكة اني اله من دونه فلم يقله الا ابليس دعا الى عبادة نفسه فنزلت هذه في ابليس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وانما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله ابليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيما فقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم قال هي خاصة لابليس ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون) يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم

الباهرة وفيه باب من التهكم والتسجيل واشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الاقتدار على الابداء والاعادة من لوازم الالهية ومعنى (هم) أفادت الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وفيه رمز الى أن الأمر المختص بالاهتداء هو وحده ولما قدم الانكار شرع في دليل التوحيد فقال (لو كان فيهما) أي في السموات والأرض وقد مر ذكرهما (آلهة الا الله) أي غير الله قال النحويون الا ههنا بمعنى غير لتعذر حمل الا على الاستثناء لانها تابعة لجمع منكور غير محصور والاستثناء لا يصح الا اذا كان المستثنى داخلا في المستثنى منه لولا الاستثناء وقد يقال ان الا في هذه المادة لا يمكن أن تكون للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء لصار المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله لم يحصل الفساد وللمفسرين في تفسير الآية طريقان أحدهما حمل الغائب على الشاهد والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة غير الواحد الذي هو فاطرهما (لفسدتا) وفيه دلالة على أمرين الاول وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه لقوله غير الله وانما وجب الامران لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وثانيهما طريق التمانع بأن يقال لو فرضنا الهين وأراد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه فان وقع مرادهما لزم اجتماع الضدين في محل واحد وان لم يقع مرادهما لزم عجزهما وان وقع مراد أحدهما دون الآخر فذلك الآخر عاجز لا يصلح للالهية والاعتراض على هذا التقدير من وجهين الاول أن اختلافهما في الارادة أمر ممكن والممكن لا يجب أن يقع * والثاني أن الفساد في السموات والأرض كيف يترتب على اختلافهما وفي الجواب طريقان أحدهما الرجوع الى التفسير الأول وهو احالة الأمر على ما هو الغالب المعتاد من أن الملك عقيم ولا يجتمع فحلان على شول والشول جماعة النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فلا بد من وقوع التنازع والاختلاف وحدوث الهرج والمرج عند ذلك الطريق الثاني العدول الى ضرب آخر من البيان وهو أن اتفاق الالهين على مقدور واحد محال لان كلا منهما مستقل بالتأثير كامل في القدرة فلو [illegible] المقدور بأحدهما استحال أن يقع بالآخر مرة أخرى على أنه

فيروابها ويعلموا أن السموات والارض كانتا رتقا يقول ليس فيهما ثقب بل كانتا ملتصقتين يقال منه رتق فلان الفتق اذا شده فهو يرتقه رتقا ورتوقا ومن ذلك قيل للمرأة التى فرجها ملتحم رتقاء ووحد الرتق وهو من صفة السماء والارض وقد جاء بعد قوله كانتا لانه مصدر مثل قول الزور والصوم والفطر وقوله ففتقناهما يقول فصدعناهما وفرجناهما ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله السموات والارض بالرتق وكيف كان الرتق وبأى معنى فتق فقال بعضهم عنى بذلك أن السموات والارض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا يقول ملتصقتين **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الآية يقول كانتا ملتصقتين فرفع السماء ووضع الارض **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما كان ابن عباس يقول كانتا ملتزقتين ففتقهما الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كان الحسن وقتادة يقولان كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء * وقال آخرون بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى رتقا ففتقناهما من الارض ست أرضين معها فتلك سبع أرضين معها ومن السماء ست سموات معها فتلك سبع سموات معها قال ولم تكن الارض والسماء متماستين **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد رتقا ففتقناهما قال فتقهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو عن أبى عاصم **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل قال سألت أبا صالح عن قوله كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت الارض رتقا والسموات رتقا ففتق من السماء سبع سموات ومن الارض سبع أرضين **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كانت سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض فذلك حين يقول خلق السموات والارض فى ستة أيام يقول كانتا رتقا ففتقناهما

أراد كل واحد منهما أن يوجده هو فهذا أيضا اختلاف ولو قيل انه يريد كل واحد منهما أن يكون الموجد له أحدهما لا بعينه فهذه ارادة مبهمة لا تصلح للتأثير فلا بد من الاختلاف وقد عرفت حاله ولزوم الفساد حينئذ ظاهر لأن كل ما يصدر عن الهين عاجزين أو اله عاجز لم يكن على الوجه الأصلح والنمط الأصوب بل العاجز لا يصلح للايجاد أصلا فلا يوجد على ذلك التقدير شئ من الممكنات وهو الفساد الكلى ومنهم من يقرر دليل التمانع على وجوه أخر منها أنا لو قدرنا الهين فهل يقدر كل واحد منهما على أن يمنع صاحبه عن مراده أم لا فان قلت يقدر كان كل منهما مقهورا للآخر وان قلت لا يقدر فقد ثبت عجز كل واحد منهما ومنها أن أحدهما هل يقدر على أن يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أولا فان قدر فالمستور عنه جاهل عاجز والا فالاول عاجز ولا يخفى ما فى أمثال هذين الوجهين من الضعف لان عدم القدرة على المحال لا يسمى عجزا ولهذا لا يمكن أن يقال انه تعالى عاجز عن خلق مثله أو انه اذا أوجد شيأ نفدت قدرته عن خلق ذلك الشئ وحصل له عجز ومن الطاعنين فى دليل التمانع من فسر الآية بأن المراد لو كان فى السماء والارض آلهة غير الله كما تزعم عبدة الأصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على وجوه التدبير والتصرف لأنفسها فضلا عن غيرها ولقائل أن يقول ان الآلهة لو كانت منفردة بالتدبير يلزم الفساد أما انها لو كانت وسائط أو معاونة للاله الاعظم كما تزعم عبدة الاوثان فمن أين يلزم الفساد واعلم انا قد بينا دلائل التوحيد فى مواضع من هذا الكتاب ولاسيما فى سورة البقرة فى تفسير قوله والهكم اله واحد ولنا فى هذا المقام طريقة أخرى ما أظنها وطئت قبلى فأقول وبالله التوفيق ان الوحدة من صفات الكمال وقد تقرر ذلك فى العقول حتى ان كل عامل مهما تم له أمر واحد لم يتعد فيه الى اثنين واذا اضطر الى الشركة والتعاون راعى فيه الأبسط فالأبسط لا يزيد العدد الا بقدر الافتقار وعلى هذا مدار الأمور السياسية والمنزلية هذا فى المؤثر وأما فى الأثر فلا ريب أنه اذا استند الى ما هو بسيط حقيقى لم يكن فيه الا جهة واحدة افتقارية واذا استند الى ما فوق ذلك كان فيه من الجهات الافتقارية بحسب ذلك فيكون النقص تابعا لقلة جهات الافتقار وكثرتها وكل مرتبة للممكنات تفرض من العقول والنفوس والافلاك والعناصر والمواليد فان كان مبدأ تلك السلسلة الطويلة واحدا كانت

* وقال

الجهات الاعتبارية الافتقارية فيها أقل مما لو كان المبدأ أزيد من واحد وهذه قضية يقينية اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه سبحانه أراد أن يدفع هذا النقص من الممكنات ولو هذه بمعنى ان والمراد أن هذا النقص والفساد لازم لوجود آلهة غير الله سواء كان الله من جملتهم أم لا ولن يرضى العاقل بما فيه نقصه وفساده فوجب أن لا يعتقد الها غير الله وهذه النتيجة هي المراد بقوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الانداد والشركاء فتكون هذه الآية نظيرة قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء (١٥) متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا وفيه قول زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

ثم أكد تفرده بالالهية بقوله (لا يسئل عما يفعل) وفيه رد على الثنوية والمجوس الذين أثبتوا لله شريكا فاعلا للشرور والآلام وذلك أنهم طلبوا الحكمة في أفعال الله تعالى فقالوا لو كان مدبر العالم واحدا لم يخص هذا بانواع الخيرات من الصحة والغنى وذلك بأصناف الشرور من المرض والفقر فذكر سبحانه أن الاعتراض على أفعاله ينافي الديانة وأن له أن يفعل ما يشاء كما يشاء ولا مجال للسؤال عن أفعاله فكل من الاشاعرة والمعتزلة سلموا أنه لا يجوز أن يقال لله لم فعلت ولكنهم جعلوا عدم جواز السؤال على مأخذ آخر أما الاشاعرة فذهبوا الى أن أفعاله لا تعلل بالمصالح والأغراض وله بحكم المالكية أن يفعل في مخلوقاته ما شاء فان من تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت وكيف يتصور في حقه استحقاق الذم واستحقاق المدح له قديم وما يثبت للشئ لذاته يستحيل أن يتبدل لاجل تبدل الصفات وكما أن ذاته غير معللة بشئ فكذلك صفاته وأفعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسائط والاغراض والمقاصد وأما المعتزلة فقد قالوا انه تعالى عالم بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل أن يفعل القبيح واذا عرف المكلف اجمالا أن كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب وجب أن يسكت عن لم واذا كان الملوك الجبابرة لا يسألهم من في مملكتهم عما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا لهم مع جواز الخطأ والزلل عليهم فملك الملوك ورب الارباب أولى بان لا يسئل عن أفعاله مع ما ركز في العقول من أن كل ما يفعله فهو حسن مشتمل على الغايات الصحيحة ثم زاد الا [illegible] تأكيدا بقوله (وهم يسئلون) وفيه رد على منكري التكليف

---

* وقال آخرون بل عنى بذلك أن السموات كانت رتقا لا تمطر والارض كذلك رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانتا رتقا لا يخرج منهما شئ ففتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات قال وهو قوله والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبي عن الفضيل ابن مرزوق عن عطية في قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات وجعل من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السموات رتقا لا ينزل منها مطر وكانت الارض رتقا لا يخرج منها نبات ففتقهما الله فأنزل مطر السماء وشق الارض فأخرج نباتها وقرأ ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون * وقال آخرون انما قيل ففتقناهما لان الليل كان قبل النهار ففتق النهار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال خلق الليل قبل النهار ثم قال كانتا رتقا ففتقناهما * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث والارض بالنبات وانما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي على ذلك وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة الا والذي تقدمه من ذكر أسبابه فان قال قائل فان كان ذلك كذلك فكيف قيل أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا والغيث انما ينزل من السماء الدنيا قيل ان ذلك مختلف فيه قد قال قوم انه انما ينزل من السماء السابعة وقال آخرون من السماء الرابعة ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا لم يكن في قوله أن السموات والارض دليل على خلاف ما قلنا لأنه لا يمتنع أن يقال السموات والمراد منها واحدة فتجمع لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب أخلاق وقميص أسمال فان قال قائل وكيف قيل ان السموات والارض كانتا فالسموات جمع وحكم جمع الاناث أن يقال في قليله كن وفي كثيره كانت قيل انما قيل ذلك كذلك لانهما صنفان فالسموات نوع والارض آخر وذلك نظير قول الأسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * توفي المخارم يرقبان سوادي

فقال كلاهما وقد ذكر المنية والحتوف لما وصفت من أنه عنى النوعين وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال أنشدني غالب النفيلي للقطامي

الذاهبين الى أن العباد لا يسئلون عما فعلوا فى دار الدنيا قالوا ان التكليف أمر غير معقول لانه اما أن توجه على العبد حال استواء داعيته الى الفعل والترك وهو محال لان صدور الفعل عن المكلف يستدعى الترجيح فالتكليف بالترجيح فى حال عدم الترجيح تكليف بالمحال واما أن يتوجه حال الرجحان ويكون الفعل حينئذ واجب الوقوع فيكون التكليف عبثا وأيضا التكليف بما هو معلوم الوقوع لله عبث لانه واجب الوقوع وبما هو غير معلوم الوقوع تكليف بما لا يطاق وأيضا سؤال العبد لعبده ان لم يكن فيه فائدة فعبث وان كان فيه فائدة فان عادت الى الله تعالى كان محتاجا مستكملا وان عادت الى العبد فالله تعالى قادر على ايصالها اليه من غير واسطة التكليف على أن السؤال ان كان لاجل ايصال الضرر فذلك لا يليق بالكريم الرحيم وجوابهم أن الاسباب والوسائط معتبرة فى كل شئ من عالم الاسباب حتى الثواب والعقاب على أن حاصل الشبهات يرجع الى أن المنكر كأنه قال انه تعالى لم كلف عباده ولم كلفهم ما لا يطيقون وهو يناقض القاعدة الممهدة انه لا يسئل عما يفعل ثم كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لكفرهم وليرتب عليه قوله (قل هاتوا برهانكم) على ذلك عقلا أو نقلا أما العقل فقد مر أنه يقضى بعدم الشريك حذرا من الفساد وأما النقل فقوله (هذا ذكر من معى) هو من اضافة المصدر الى المفعول أى عظة لامتى عن ابن عباس واختاره القفال والزجاج أنه أراد هذا هو الكتاب المنزل على من معى من الامة وهذا هو الكتاب المنزل على من تقدمنى من الانبياء وأممهم يعنى التوراة والانجيل والزبور والصحف والكل وارد فى معنى التوحيد ونفى الشركاء وعن سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدى أن قوله وذكر من قبلى صفة للقرآن أيضا لانه اشتمل على أحوال الامم الماضية كما اشتمل على أحوال هذه الامة ثم ختم الآية بقوله (بل أكثرهم) تنبيها على أن وقوعهم فى هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان عندهم ما هو أصل الشر والفساد وهو عدم العلم وفقد التمييز بين الحق والباطل فلذلك أعرضوا عن استماع الحق وطلبه وفى لفظ الاكثر اشارة الى أن فيهم من يعلم ولكنه يعاند وأجرى لفظ الاكثر على الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع ثم قرر آى التوحيد خصوصا قوله هذا ذكر من معى وذكر من قبلى على أحد التفسيرين بقوله (وما أرسلناك) الآية ثم رد

ألم يحزنك أن حبال قيس * وتغلب قد تباينتا انقطاعا

فجعل حبال قيس وهى جمع وحبال تغلب وهى جمع اثنين وقوله وجعلنا من الماء كل شئ حى يقول تعالى ذكره وأحيينا بالماء الذى ننزله من السماء كل شئ كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلنا من الماء كل شئ حى قال كل شئ حى خلق من الماء فان قال قائل وكيف خص كل شئ حى بأنه جعل من الماء دون سائر الاشياء غيره فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والاشجار وغير ذلك مما لا حياة له ولا يقال له حى ولا ميت قيل لانه لا شئ من ذلك الا وله حياة وموت وان خالف معناه فى ذلك معنى ذوات الارواح فى أنه لا أرواح فيهن وان فى ذوات الارواح أرواحا فلذلك قيل وجعلنا من الماء كل شئ حى وقوله أفلا يؤمنون يقول أفلا يصدقون بذلك ويقرون بألوهة من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا أنا جعلنا فى الارض جبالا راسية والرواسى جمع راسية وهى الثابتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا فى الارض رواسى أى جبالا وقوله أن تميد بهم يقول أن لا تتكفأ بهم يقول جل ثناؤه فجعلنا فى هذه الارض هذه الرواسى من الجبال فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس وليقدروا بالثبات على ظهرها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانوا على الارض تمور بهم لا تستقر فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهى الرواسى أوتادا للارض وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعنى مسالك واحدها فج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا فيها فجاجا أى أعلاما وقوله سبلا أى طرقا وهى جمع السبيل وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول انما عنى بقوله وجعلنا فيها فجاجا وجعلنا فى الرواسى فالهاء والألف فى قوله وجعلنا فيها من ذكر الرواسى حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بين الجبال وانما اخترنا القول الآخر فى ذلك وجعلنا الهاء والالف من ذكر الارض لانها اذا كانت من ذكرها دخل فى ذلك السهل والجبل وذلك أن ذلك كله من الارض وقد جعل الله لخلقه فى ذلك كله فجاجا سبلا ولا دلالة تدل على أنه عنى بذلك فجاج بعض الارض التى جعلها لهم سبلا دون بعض فالعموم بها أولى وقوله لعلهم يهتدون يقول تعالى ذكره جعلنا هذه الفجاج فى الارض ليهتدوا الى السير فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا السماء سقفا للارض مسموكا وقوله محفوظا يقول حفظناها من كل شيطان رجيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى

وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سقفا محفوظا قال مرفوعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا الآية سقفا مرفوعا وموجا مكفوفا وقوله وهم عن آياتها معرضون يقول وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ويعني بآياتها شمسها وقمرها ونجومها معرضون يقول يعرضون عن التفكر فيها وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ودلالتها على وحدانية خالقها وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها ولا تصلح إلا له * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم عن آياتها معرضون قال الشمس والقمر والنجوم آيات السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون يقول تعالى ذكره والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار نعمة منه عليكم وحجة ودلالة على عظيم سلطانه وأن الالوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم وخلق الشمس والقمر أيضا كل في فلك يسبحون يقول كل ذلك في فلك يسبحون * واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية فقال بعضهم هو كهيئة حديدة الرحى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كل في فلك يسبحون قال فلك كهيئة حديدة الرحى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج كل في فلك قال فلك كهيئة حديدة الرحى حدثنا ابن حميد قال ثني جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس كل في فلك يسبحون قال فلك السماء * وقال آخرون بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كل في فلك يسبحون الفلك الجري والسرعة * وقال آخرون الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه * وقال آخرون بل هو القطب الذي تدور به النجوم واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز

باتت تناجي الفلك الدوارا * حتى الصباح تعمل الأقتارا

* وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل في فلك يسبحون أي في فلك السماء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن

على خزاعة وأمثالهم القائلين بأن الملائكة بنات الله بقوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) ثم نزه نفسه عن ذلك بقوله (سبحانه) ثم أخبر عما هم عليه في الواقع وهو أن الملائكة عباد الله (مكرمون) مقربون (لا يسبقونه بالقول) أي بقولهم أي يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله (وهم بأمره يعملون) فهم التابعون لأمر الله في أقوالهم وأفعالهم (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قد مر تفسيره في طه وفي آية الكرسي (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) كقوله في طه لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا وقد مر البحث فيه قال في الكشاف (وهم من خشيته مشفقون) أي متوقعون من أمارة ضعيفة قلت لعله أراد أنهم يتوقعون ما هو سبب لخشيته وهو العقاب من أدنى أمارة بخلاف البشر فإنهم لا يتوقعون ذلك إلا من أمارة قوية ويحتمل أن يقال إنهم يخشون الله ومع ذلك يحذرون من أن تلك الخشية يقع فيها تقصير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله عز وجل ثم نبه على غاية عظمته ونهاية جبروته بقوله (ومن يقل منهم إني إله من دونه) فيحتمل أن يدعي الالهية لنفسه دون الله أو يدعي أنه إله مع الله أي بعد مجاوزة الهيته وهذا على سبيل الفرض والتقدير كقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وفي قوله (فذلك) دون أن يقول فهو تبعيد للمشرك الجاحد عن ساحة عزته وفيه تفظيع لأمر الشرك وتهديد عظيم لمن أشرك وأراد بالظلم ههنا الشرك والمعتزلة عمموه والاول أظهر ثم عدل في أدلة التوحيد الى منهج آخر من البيان وهو الاستدلال بالآفاق والأنفس قائلا (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض) أي جماعة السموات وجماعة الارض (كانتا رتقا ففتقناهما) الرتق بالسكون السد رتقت الشيء فارتتق أي التأم ومنه امرأة رتقاء ومصدرها الرتق بالتحريك والفتق ضدها أي كانتا مرتوقتين فجعلناهما مفتوقتين عن ابن عباس في رواية عكرمة وهو قول الحسن وقتادة أن المراد كانتا شيأ واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي وأقر الارض ومثله قول كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما فحصل الفتق وقال أبو صالح ومجاهد كانت السموات متلاصقات لا فرج بينها ففتقها الله بأن جعلها سبعا وكذلك

معمر عن قتادة كل فى فلك يسبحون قال يجرى فى فلك السماء كما رأيت **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كل فى فلك يسبحون قال الفلك الذى بين السماء والارض من مجارى النجوم والشمس والقمر وقرأ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقال تلك البروج بين السماء والارض وليست فى الارض كل فى فلك يسبحون قال فيما بين السماء والارض النجوم والشمس والقمر * وذكر عن الحسن أنه كان يقول الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل * والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل كل فى فلك يسبحون وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحى وجائز أن يكون موجا مكفوفا وأن يكون قطب السماء وذلك أن الفلك فى كلام العرب هو كل شئ دائر فجمعه أفلاك وقد ذكرت قول الراجز

* باتت تناجى الفلك الدوارا *

واذ كان كل ما دار فى كلامها فلكا ولم يكن فى كتاب الله ولا فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أى ذلك هو من أى كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا به فاذا كان الصواب فى ذلك من القول عندنا ما ذكرنا فتأويل الكلام والشمس والقمر كل ذلك فى دائر يسبحون وأما قوله يسبحون فان معناه يجرون ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كل فى فلك يسبحون قال يجرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يسبحون قال يجرون وقيل كل فى فلك يسبحون فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بنى آدم بالواو والنون ولم يقل يسبحن أو تسبح كما قيل والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين لان السجود من أفعال بنى آدم فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما خلدنا أحدا من بنى آدم يا محمد قبلك فى الدنيا فنخلدك فيها ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا أفان مت فهم الخالدون يقول فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون فى الدنيا بعدك لا ما ذلك كذلك بل هم ميتون بكل حال عشت أو مت فأدخلت الفاء فى ان وهى جزاء وفى جوابه لان الجزاء متصل بكلام قبله ودخلت أيضا فى قوله فهم لانه جواب للجزاء ولو لم يكن فى قوله فهم الفاء جاز على وجهين أحدهما أن تكون محذوفة وهى مرادة والآخر أن يكون مرادا تقديمها الى الجزاء فكأنه قال أفهم الخالدون ان مت وقوله كل نفس ذائقة الموت يقول تعالى ذكره كل نفس منفوسة

الارضون وعن ابن عباس فى رواية أخرى وعليه كثير من المفسرين أن السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ويشبه أن يراد بالسموات على هذا التفسير السحب نظيره قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ويؤيده قوله عقيبه وجعلنا من الماء كل شئ حى وقيل انما جمع السموات وان كان نزول المطر من السماء الدنيا فقط باعتبار الجهة لان جهتها هى جهتهن أو باعتبار أن كل قطعة منها سماء (١٨) فيكون كقولهم ثوب أخلاق وبرمة أعشار وقريب من هذا قول من قال المعنى أن السموات والارض كانتا مظلمتين ففتقهما الله تعالى باظهار النور فيهما كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال أبو مسلم الاصفهانى الرتق حالة العدم اذ ليس فيها ذوات متميزة فكأنها أمر واحد متصل متشابه والفتق الايجاد لحصول التميز وانفصال بعض الحقائق عن البعض فيكون كقوله فاطر السموات والارض والفطر الشق وعن بعض علماء الاسلام أن الرتق انطباق منطقتى الحركتين الاولى والثانية الموجب لبطلان العمارات وفصول السنة والفتق افتراقهما المقتضى لامكان العمارة ولتغير الفصول وفيه بعد * وههنا سؤال وهو أن الكفار متى رأوهما رتقا حتى صح هذا الاستفهام للتقرير كيف وقد قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض والجواب على الاقوال الاخيرة ظاهر فان فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات أو فتقهما بتنفيذ النور فيهما واظهاره عليهما أمور محسوسة وكذا ادخالهما من العدم الى الوجود مما يشهد به الحس السليم والعقل المستقيم وأما على القولين الاولين فلعلهم علموا ذلك من أهل الكتاب وكانوا يقبلون قولهم لما بينهما من التوافق فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقال صاحب الكشاف فى الجواب انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد من
وأن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه قوله (وجعلنا من الماء كل شئ حى) قال السكاكى صاحب المفتاح أى جعلنا مبدأ كل حى من هذا الجنس الذى هو جنس الماء واعترض عليه بأنه كيف يصح ذلك وآدم من تراب والجن من نار والمشهور أن الملائكة ليست أجساما مائية وأجاب بأنه يأتى فى الروايات أنه جل وعز خلق الملائكة

من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه وقال صاحب الكشاف انما قال خلقنا كل شئ حى من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وجوز أن لا يكون الجعل بمعنى الخلق بل يكون بمعنى التصيير متعديا الى مفعولين فالمعنى صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا بد له منه وقال فى التفسير الكبير اللفظ وان كان عاما الا أن القرينة قائمة فان الدليل لا بد أن يكون مشاهدا محسوسا ليكون أقرب الى المقصود فبهذا الطريق تخرج الملائكة والجن وآدم لان الكفار لم يروا شيأ من ذلك قلت فعلى هذا يكون قوله وجعلنا داخلا فى حيز الاستفهام كأنه قيل ألم يروا أنا فتقنا السموات والارض بعد رتقهما وجعلنا من الماء كل حيوان ومن المفسرين من جعل الحى شاملا للنبات أيضا كقوله فأحيا به الارض بعد موتها قوله (وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم) قدمر تفسيره فى أول النحل وباقى الآية كقوله فى طه وسلك لكم فيها سبلا والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع وهى صفة سبلا قدمت عليه فصارت حالا عنه أراد أنه حين خلقها جعلها على تلك الصفة فهذا كالبيان لما أبهم فى قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا والاهتداء اما حسى أى تهتدون الى البلاد واما عقلى وهو الاهتداء الى وحدانية الله تعالى ومنهم من زعم أن الضمير فى قوله وجعلنا فيها عائد الى الجبال وهذا قول مقاتل والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس وروى عن ابن عمر أنه قال كانت الجبال منضمة فلما أغرق قوم نوح فرقها فجاجا وجعل فيها طرقا قال علماء الاسلام ليس فى قوله (وجعلنا السماء سقفا) أن السماء للارض كالسقف للبيت لانها فوق لا يقابله مثله ولكنه أطلق عليها اسم السقف لانها كذلك فى النظر بالنسبة الى سكان كل بقعة وفى المحفوظ وجهان أى (محفوظا) بقدرته من أن يقع على الارض أو محفوظ بالشهب عن الشياطين (وهم عن آياتها معرضون) فلا يتدبرون فى ترتيبها ومسيراتها وطلوع أجرامها وغروبها واتصالاتها وانصرافاتها وتأثيراتها فيما دونها باذن خالقها ومبدعها قوله (كل فى فلك) من مقلوب الكل والفلك فى اللغة كل شئ دائر وجمعه أفلاك وزعم الضحاك أنه ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والاكثرون على أن الفلك جسم تدور النجوم عليه ثم اختلفوا فى حقيقته فقال الكلبى ماء مكفوف أى مجموع تجرى فيه الكواكب

من خلقه معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول تعالى ذكره ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها وبالخير وهو الرخاء والسعة والعافية فنفتنكم به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال بالرخاء والشدة وكلاهما بلاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول نبلوكم بالشر بلاء والخير فتنة والينا ترجعون حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قال نبلوهم عما يحبون وعما يكرهون نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون وكيف صبرهم فيما يكرهون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونبلوكم بالشر والخير يقول نبتليكم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلالة وقوله والينا ترجعون يقول والينا تردون فيجازون بأعمالهم حسنها وسيئها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رآك يا محمد الذين كفروا بالله ان يتخذونك إلا هزوا يقول ما يتخذونك الا سخريا يقول بعضهم لبعض أهذا الذى يذكر آلهتكم يعنى بقوله يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها تعجبا منهم من ذلك يقول الله تعالى ذكره فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التى لا تضر ولا تنفع بسوء وهم بذكر الرحمن الذى خلقهم وأنعم عليهم ومنه نفعهم وبيده ضرهم واليه مرجعهم بما هو أهله منهم أن يذكروه به كافرون والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم فيقولون سمعنا فلانا يذكر فلانا وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح ويعيبه ومن ذلك قول عنترة

لا تذكرى مهرى وما أطعمته * فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

يعنى بذلك لا تعيبى مهرى وسمعناه يذكره بخير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره خلق الانسان يعنى آدم من عجل * واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه من عجل فى بنيته وخلقته كان من العجلة وعلى العجلة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله خلق الانسان من عجل قال لما نفخ فيه الروح فى ركبتيه ذهب لينهض فقال الله خلق الانسان من عجل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما نفخ فيه يعنى فى آدم الروح فدخل فى رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما

بدليل قوله يسبحون والسباحة لا تكون الا فى الماء ورد بأنه يقال فرس سابح اذا امتد فى الجرى وقالت الحكماء هو جسم كروى لا ثقيل ولا خفيف غير قابل للخرق والالتئام والنمو والذبول ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا والكواكب متحركة فيه كالسمك فى الماء واعتذروا عن السباحة بأنها فى النظر كذلك قال صاحب الكشاف التنوين فى كل عوض من المضاف اليه أى كلهم فورد عليه اشكالان أحدهما أنه لم يسبق الا ذكر الشمس والقمر فكيف

يعود ضمير الجمع اليهما وأجاب بأن ذلك باعتبار كثرة مطالعهما كما يجمع بالشموس والاقمار لذلك ويمكن أن يقال أقل الجمع اثنان أو أنه جعل النجوم تبعا لذكرهما الثانى أن كلهم ليسوا فى فلك ولكن كل منهم فى فلك آخر على ما يشهد به علم الهيئة وأجاب بأنه أراد جنس الفلك كقولك كسانا الامير حلة أو أراد كل واحد قلت لو صح هذا التقدير الثانى لم يرد الاشكال الاول ولكنه ينافى قوله يسبحون مجموعا قال بعض الحكماء فى هذا الجمع دلالة على أن الكواكب أحياء ناطقة وأجيب بأنه انما جمع جمع العقلاء لان السباحة من فعلهم قلت قد يسبح كثير من الحيوانات فلعل المختص بالعقلاء هو السباحة الصناعية المكتسبة وههنا بحث وهو أن الامام فخر الدين الرازى استحسن قول بعض الاوائل ان الحركة السماوية صنف واحد وهى الآخذة من المشرق الى المغرب الا أن بعضها أبطأ من البعض كالحركات الغربية وكذا اختلافات تلك الحركات بسبب تلك المختلفات قال وهذا أقرب ليكون غاية سرعة الحركة للفلك الاعظم وغاية السكون للجرم الذى هو أبعد عن المحيط وهو الارض ولئلا يلزم بسبب حركة ما دون الفلك الاعظم بحركته وبحركاتها الخاصة تحرك الجرم الواحد فى زمان واحد بحركتين مختلفتين الى جهتين فانه يستلزم كون الجسم دفعة واحدة فى مكانين قلت أما حديث كون ما هو أبعد عن المركز أسرع حركة فاقناعى يريد وأما لزوم كون الجسم دفعة واحدة فى مكانين فممنوع لان التى تظهر فى المتحرك هى الحركة المركبة الحاصلة من فضل الأسرع على الابطا لا كل من الحركتين وهذا مشاهد من حركة النملة الى خلاف جهة حركة الرحى ومن حركة راكب السفينة فيها الى خلاف جهة حركتها وأما الذى استحسنه من كلام الاوائل فباطل لانه لو كان كذلك لحصلت الاظلال اللائقة بكل جزء من أجزاء فلك البروج فى يوم بليلة وكذا

دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل يقول خلق الانسان عجولا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة خلق الانسان من عجل قال خلق عجولا * وقال آخرون معناه خلق الانسان من عجل أى من تعجيل فى خلق الله اياه ومن سرعة فيه وعلى عجل وقالوا خلقه الله فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل فى خلقه اياه قبل مغيبها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله خلق الانسان من عجل قال قول آدم حين خلق بعد كل شئ آخر النهار من يوم خلق الخلق فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم تبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس (١) حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد خلق الانسان من عجل قال آدم حين خلق بعد كل شئ ثم ذكر نحوه غير أنه قال فى حديثه استعجل بخلقى فقد غربت الشمس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خلق الانسان من عجل قال على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين يريد يوم الجمعة وخلقه على عجل وجعله عجولا * وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة انما قال خلق الانسان من عجل وهو يعنى أنه خلقه من تعجيل من الأمر لانه قال انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون قال فهذا العجل وقوله فلا تستعجلون انى سأريكم آياتى وعلى قول صاحب هذه المقالة يجب أن يكون كل خلق الله خلق على عجل لان كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان فاذا كان ذلك كذلك فما وجه خصوص الانسان اذا بذكر أنه خلق من عجل دون الاشياء كلها وكلها مخلوق من عجل وفى خصوص الله تعالى ذكره الانسان بذلك الدليل الواضح على أن القول فى ذلك غير الذى قاله صاحب هذه المقالة * وقال آخرون منهم هذا من المقلوب وانما خلق العجل من الانسان وخلقت العجلة من الانسان وقالوا ذلك مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة انما هو لتنوء العصبة بها متثاقلة وقالوا هذا وما أشبهه فى كلام العرب كثير مشهور قالوا وانما كلم القوم بما يعقلون قالوا وذلك مثل قولهم عرضت الناقة وكقولهم اذا طلعت الشعرى واستوت العود على الحرباء أى استوت الحرباء على العود كقول الشاعر

وتركب خيلا لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وكقول ابن مقبل

حسرت كفى عن السربال آخذه * فردا يجر على أيدى المفدينا

(١) لعل هذا السند زيادة من قلم الناسخ فليتأمل وليحرر كتبه مصححه

يريد حسرت السربال عن كفي ونحو ذلك من المقلوب وفي اجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره * قال أبو جعفر والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عمن قال معناه خلق الانسان من عجل في خلقه أي على عجل وسرعة في ذلك وانما قيل ذلك كذلك لانه بودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح وانما قلنا أولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب لدلالة قوله تعالى سأريكم آياتي فلا تستعجلون على ذلك وأن أبا كريب حدثنا قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجمعة لساعة (١) يقللها قال لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا آتاه الله اياه فقال عبد الله بن سلام قد علمت أي ساعة هي هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة قال الله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي وعبدة بن سليمن وأسير بن عمرو عن محمد ابن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وذكر كلام عبد الله ابن سلام بنحوه فتأويل الكلام اذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا خلق الانسان من عجل ولذلك يستعجل ربه بالعذاب سأريكم آياتي فلا تستعجلون أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون آياتي كما أريتها من قبلكم من الامم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل اذا أتتها الآيات فلا تستعجلون يقول فلا تستعجلوا ربكم بها فانا سنأتيكم بها ونريكموها * واختلفت القراء في قراءة قوله خلق الانسان من عجل فقرأته عامة قراء الأمصار خلق الانسان من عجل بضم الخاء على مذهب ما لم يسم فاعله وقرأه حميد الأعرج خلق بفتحها بمعنى خلق الله الانسان والقراءة التي عليها قراء الامصار هي القراءة التي لا أستجيز خلافها وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد يقول متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك وقيل هذا الوعد والمعنى الموعود لمعرفة السامعين معناه وقيل ان كنتم صادقين كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ومتى في موضع نصب لان معناه أي وقت هذا الوعد وأي يوم هو فهو نصب على الظرف لانه وقت * القول في تأويل قوله تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) يقول تعالى ذكره لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ولا هم ينصرون يقول ولا لهم ناصر ينصرهم فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ولسارعوا الى التوبة منه والايمان بالله ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء * القول

(١) في ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم وقبض أصابعه يقللها فتنبه كتبه مصححه

الارتفاعات المناسبة لها في البلاد المتفقة العرض وليس كذلك وقد ذكرنا هذا المعنى في كتبنا النجومية أيضا وحين فرغ من بيان طرف من هيئة الاجرام السماوية ومنافعها الدنيوية نبه بقوله (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) على أن هذه الآثار لا تدوم ولا تخلق للبقاء وانما خلقت للابتلاء والامتحان ولكي يتوصل بها المكلفون الى السعادات المدخرة لهم في الآخرة وهي دار الخلود وبوجه آخر لما فرغ من دلائل الآفاق شرع في دلائل الانفس فقال وما جعلنا الآية عن مقاتل أن ناسا كانوا يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت وقيل لعلهم ظنوا أنه لو مات لتغير الشرع وهذا ينافي كونه خاتم الانبياء فبين الله سبحانه أن حاله كحال من تقدمه من الانبياء في المفارقة من دار الدنيا والاكثرون على أن سبب النزول هو أنهم كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذه وفي معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

قوله (كل نفس ذائقة الموت) قد تقدم في آخر آل عمران تفسيره قوله (ونبلوكم) أي نعاملكم معاملة المختبر بما نسوق اليكم من الشرور والخيرات فيظهر عندهما صبركم وشكركم وقدم الشر لان الموت من باب الشر ورفي نظر أهل الظاهر و (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وحين أثبت الموت الذي هو الفراق عن دار التكليف بين بقوله (والينا ترجعون) أن الجزاء على الاعمال ثابت مرئي البتة بعد المفارقة استدلت المجسمة بقوله والينا أنه تعالى جسم ليمكن الرجوع الى حيث هو والتناسخية بأن الرجوع مسبوق بالكون في المكان المرجوع اليه وجواب الاولين أنه أراد الرجوع الى حيث لا حكم الا له وجواب الآخرين التسليم لكنه لا يفيد مطلوبهم لان الرجوع الى المبدأ غير الرجوع الى دار الدنيا واعلم أن مثل هذه الآية سيجيء في سورة العنكبوت الا أنه قال هنالك ثم الينا ولم يذكر قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فكأن هذه الفاصلة قامت مقام التراخي في ثم قال السدي ومقاتل مر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي جهل وأبي سفيان فقال أبو جهل لأبي سفيان هذا نبي بني عبد مناف فقال أبو سفيان وما تنكر أن يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لأبي جهل ما أراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أبا سفيان فانما قلت ما قلت حمية فأنزل الله تعالى (واذا رآك الذين كفروا ان

يتخذونك) أي ما يتخذونك (الاهزوا) ثم فسر ذلك بقوله (أهذا الذي يذكر آلهتكم) والذكر أعم من أن يكون بالخير أو بالشر الا أنه اذا كان من العدوّ يفهم منه الذم لا الثناء والمعنى أنه يبطل معبوديتها وينكر عبادتها ويقبح أمرها ثم بين غاية جهالتهم وتعكيس قضيتهم بقوله (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) قدم الجار والمجرور وكرر الضمير ليفيد أنهم عاكفون هممهم على ذكر آلهتهم من كونها شفعاء وشهداء ولو ذكرها ذاكر بخلاف ذلك ساءهم وأما ذكر (٢٢) الرحمن الذي منه جلائل النعم ودقائقها وأصولها وفروعها فلا يخطر منهم ببال

ولو ذكره ذاكر استهزؤا به حتى ان بعضهم يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فهم أحق أن يتخذوا هزوا ويحتمل أن تكون الباء للسببية أي هم كافرون بسبب ذكرهم الرحمن لا على ما ينبغي فيكون الذكر في الموضعين بمعنى واحد وقيل بذكر الرحمن أي بما أنزل اليك من القرآن وكانوا يستعجلون بعذاب الله كما يجيء من قوله ويقولون متى هذا الوعد فقدم لذلك أولا مقدمة هي قوله (خلق الانسان) أي هذا الجنس (من عجل) أراد أنه مجبول على افراط العجلة كما مر في قوله وكان الانسان عجولا وعن ابن عباس أنه آدم أراد أن يقوم حين بلغ الروح صدره وعن مجاهد أن آدم لما دخل الروح رأسه وعينه رأى الشمس قاربت الغروب فقال يارب عجل خلقي قبل أن تغيب الشمس وعن ابن عباس أيضا انه النضر بن الحرث والاول أظهر وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال الاخفش أي من تعجيل في الامر وهو قوله كن وقيل هو على القلب أي خلق العجل من الانسان (سأريكم آياتي) وهي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الآخرة (فلا تستعجلون) فانها كائنة لا محالة في وقتها وقيل هي أدلة التوحيد وصدق الرسول وقيل آثار القرون الخالية بالشام واليمن * سؤال قوله خلق الانسان

من عجل فيه أن الآدمي معذور على الاستعجال لانه له كالامر الطبيعي الذي لا بد منه فلم رتب عليه النهي بقوله لا يتدبرون
فلا تستعجلون وأجيب بأن فيه تنبيها على أن ترك العجلة حالة شريفة وخصلة عزيزة وقال جار الله هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها * آخر القوم استعجلوا الوعد على جهة التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا في الحقيقة أجيب بأن الاستعجال على هذا الوجه أدخل في الذم لانه استعجال على أمر موهوم عندهم لا معلوم (لو يعلم) جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم والمعنى لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه وهو

في تأويل قوله تعالى ﴿بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم يقول فتغشاهم فجأة وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء حتى يبقى المبهوت كالحيران منه فلا يستطيعون ردها يقول فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم ولاهم ينظرون يقول ولاهم وان لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها وانابة ينيبون لانها ليست حين عمل وساعة توبة وانابة بل هي ساعة مجازاة وانابة ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون اذ رأوك هزوا ويقولون هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله واجتراء عليه فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك الى أممهم يقول فوجب ونزل بالذين استهزؤا بهم وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزؤن يقول حل ثناؤه حل بهم الذي كانوا به يستهزؤن من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوفهم نزوله بهم يستهزؤن يقول جل ثناؤه فلن يعدو هؤلاء المستهزؤن بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الامم المكذبة رسلها فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المستعجليك بالعذاب القائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم يقول من يحفظكم ويحرسكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا تصرفتم من الرحمن يقول من أمر الرحمن ان نزل بكم ومن عذابه ان حل بكم وترك ذكر الامر وقيل من الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن قال يحرسكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن يقال منه كلأت القوم اذا حرستهم أكلؤهم كما قال ابن هرمة

ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشيء ما كان يرزؤها

قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون وقوله بل تحقيق لجحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام وان لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا ومعنى الكلام وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالئ لهم من أمر الله اذا هو حل بهم ليلا أو نهارا بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتج بها عليهم معرضين

وقت احاطة النار بهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول أي لو كانوا من أهل العلم لما كانوا مستعجلين وعلى هذا يكون حين منصوبا بمضمر أي حين لا يكفون يعلمون أنهم كانوا على الباطل وخص الوجوه والظهور بالذكر لان نكاية النار في هذين العضوين أشد مع أن الاحاطة التامة تفهم منهما ثم بين أن وقت مجيء العذاب غير معلوم لهم فان مجيء الساعة مخفي عن المكلفين ليكونوا أقرب الى تلافي الذنوب فقال (بل تأتيهم بغتة فتبهتهم) قال جار الله **(٢٣)** أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم قلت فائدة بل في هذه المقامات للانتقال من جملة الى أخرى أهم من الاولى ويحتمل أن تكون لو لظاهر التمني والضمير للنار وقيل للساعة وفي قوله (ولا هم ينظرون) تذكير بامهالهم في دار الدنيا أي ثم يهلكون بعد طول الامهال ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد استهزئ) الآية وقد مرت في أول الانعام ولما بين أن الكفار في الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ذكر أنهم في الدنيا أيضا مفتقرون الى حراسة الله وكلاءته فقال (قل من يكلؤكم بالليل) اذا نمتم (والنهار) اذا تقلبتم في وجوه المصالح (من الرحمن) أي من بأسه وعذابه كالقتل والسبي ونحوهما قيل انما خص الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل أنت الكالئ يا الهنا لكل الخلائق برحمتك ونظيره ما غرك بربك الكريم ثم أضرب عن الأمر بالاستفهام قائلا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه كأنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم أما قوله (أم لهم آلهة تمنعهم) فذكر في الكشاف أنه اضراب عن الكلام السابق بما في أم من معنى بل وقال غيره الميم زائدة وانه استفهام مستأنف والتقدير ألهم آلهة تمنعهم من دوننا من العذاب ومعنى (من دوننا) أن تلك الآلهة لا تجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فقال (لا يستطيعون) ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أي تلك الآلهة ليست تقدر على نصر أنفسها فكيف تحفظ غيرها وتنصرها وقوله (ولا هم منا يصحبون) قال المازني هو من أصحبت الرجل اذا منعته والاكثرون على أنه من الصحبة بمعنى النصرة والمعونة ومنه قولهم صحبك الله والحاصل أن من لا يكون قادرا على دفع الآفات ولا يكون مصحوبا من الله بالاعانة والنصرة كيف يتوقع منه دفع ضر أو جلب نفع ولما أبطل كون الاصنام

لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به جهلا منهم وسفها ۞ القول في تأويل قوله ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ يقول تعالى ذكره ألهؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم ان نحن أحللنا بهم عذابنا وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا ومعناه أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة وما هي به من صفتها فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها وقوله ولا هم منا يصحبون اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك وفي معنى يصحبون فقال بعضهم عنى بذلك الآلهة وأنها لا تصحب من الله بخير ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم يعني الآلهة ولا هم منا يصحبون يقول لا يصحبون من الله بخير * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا هم منا ينصرون ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا هم منا يصحبون قال لا ينصرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الى قوله يصحبون قال ينصرون قال قال مجاهد ولا هم يحفظون **حدثنا** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا هم منا يصحبون يجارون (١) ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا هم منا يصحبون يقول ولا هم منا يجارون وهو قوله وهو يجير ولا يجار عليه يعني الصاحب وهو الانسان يكون له خفير مما يخاف فهو قوله يصحبون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس وأن هم من قوله ولا هم من ذكر الكفار وأن قوله يصحبون بمعنى يجارون يصحبون بالجوار لان العرب تحكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجيرك وأمنعك وهم اذا لم يصحبوا بالجوار ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا ولا جار يجيرهم من عذابنا اذا نحن أردنا عذابهم فاتكلوا على ذلك وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر وهم على كفرهم مقيمون لا تأتيهم منا واعظة من عذاب ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا وعبادتهم الاوثان والاصنام فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم ولم يعرفوا موضع الشكر وقوله أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها يقول تعالى ذكره أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلوه بالعذاب أنا نأتي الارض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها وغلبتناهم واجلائهم عنها وقتلهم

(١) هنا سقط كما يظهر من سابق عادته فتأمل كتبه مصححه

نافعة أضرب عن ذلك منتقلا الى بيان أن ماهم فيه من الحفظ والكلاءة والتمتع بالحياة العاجلة هو من الله لا من مانع يمنعهم من الاهلاك ولا من ناصر يعينهم على أسباب التمتع سوى الله وفى قوله (حتى طال عليهم العمر) اشارة الى أنه لما امتدت أيام الروح والطمأنينة حسبوا أن ذلك لن يزول عنهم فاغتروا به ونسوا المنعم فاستأهلوا العقاب كما أشار اليه بقوله (أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) وفى لفظ الاتيان تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين الذين هم حزب الله من نقص ديار الكفر وتخريبها وعمارة حوزة الاسلام وتشييد مبانيه وقدمر مثله فى آخر سورة الرعد والاستفهام فى قوله (أفهم الغالبون) للتقرير أى لنحن الغالبون وهم المغلوبون ثم بين أن هذه الانذارات ليست من قبل الرسول ولكنه بالوحى ثم مهد عذر الرسول ان لم تنجع فيهم رسالته بأن الصم لا يسمعون دعاء المنذر واللام فى الصم للعهد أى لا يسمع هؤلاء الانذار فوضع الصم فى موضع اسم الاشارة ايذانا بأنهم هم الموسومون بالصمم عن استماع الحق ولو كان اللام للجنس لكان الانسب اطلاق الدعاء لان الصم لاتسمع الدعاء بشروا أو أنذروا ثم ذكر أنهم لا يعترفون بالتقصير والظلم الا عند معاينة العذاب فقال (ولئن مستهم نفحة) وفى ذكر المس وبناء المرة من النفح الذى هو بمعنى القلة والنزارة منه قولهم نفحه بعطية أى رضخه ونفحته الدابة وهو رمح يسير دليل على أنهم فى غاية الضعف يجزعون من أدنى أثر من عذاب الله قوله (ونضع الموازين القسط) المراد من الوضع الاحضار والقسط أى العدل صفة الموازين وان كان موحدا كقولهم للقوم انهم عدل قاله الفراء وعن الزجاج أراد ذوات القسط واللام فى (ليوم القيامة) بمعنى الوقت كما يقال جئت لتاريخ كذا وقيل أراد لأجل حساب يوم القيامة وقدمر تحقيق الوزن وما يتعلق به من الابحاث فى أول سورة الاعراف يروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة وفى قوله (فلا تظلم نفس شيأ) بحث بين المعتزلة والاشاعرة وقدمر مرارا (وان كان) أى الوزن أو العمل (مثقال حبة من خردل أتينا بها) أنث ضمير المثقال باعتبار اضافته الى الحبة قيل الحبة أعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل وأجيب بأن الوجه فيه أن تفرض الخردلة كالدينار

غير

بالسيوف فيعتبروا بذلك ويتعظوا به ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذى قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم فى سورة الرعد بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله أفهم الغالبون يقول تبارك وتعالى أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمد بالعذاب الغالبونا وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا فى أطراف الارضين ليس ذلك كذلك بل نحن الغالبون وانما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم يقول أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه وقد قهر من ناوأه من أهل أطراف الارض غيرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفهم الغالبون يقول ليسوا بغالبين ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الاولون انما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذى يوحيه الى من عنده وأخوفكم به بأسه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل انما أنذركم بالوحى أى بهذا القرآن وقوله ولا يسمع الصم الدعاء اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار ولا يسمع بفتح الياء من يسمع بمعنى أنه فعل للصم والصم حينئذ مرفوعون وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرأ ولا تسمع بالتاء وضمها فالصم على هذه القراءة مرفوعة لان قوله ولا تسمع لم يسم فاعله ومعناه على هذه القراءة ولا يسمع الله الصم الدعاء * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه ومعنى ذلك ولا يصغى الكافر بالله بسمع قلبه الى تذكر ما فى وحى الله من المواعظ والذكر فيتذكر به ويعتبر فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله اذا تلى عليه وأريد به ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه فعل الأصم الذى لا يسمع ما يقال له فيعمل به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون يقول ان الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه ولا ينتفع به ولا يعقله كما يسمعه المؤمن وأهل الايمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك يعنى بالنفحة النصيب والحظ من قولهم نفح فلان لفلان من عطائه اذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك الآية يقول لئن أصابتهم عقوبة وقوله ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين يقول لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم ليعلمن حينئذ غب تكذيبهم بك وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله واحسانه اليهم وكفرانهم أياديه عندهم وليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين فى عبادتنا الآلهة والانداد وتركنا عبادة الله الذى خلقنا وأنعم علينا ووضعنا العبادة

غيرموضعها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ يقول تعالى ذكره ونضع الموازين العدل وهو القسط وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لانه فى مذهب عدل ورضا ونظر وقوله ليوم القيامة يقول لاهل يوم القيامة ومن ورد على الله فى ذلك اليوم من خلقه وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك الى فى كأن معناه عنده ونضع الموازين القسط فى يوم القيامة وقوله فلا تظلم نفس شيأ يقول فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيأ بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها ولكن يجازى المحسن باحسانه ولا يعاقب مسيأ الا باساءته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الى آخر الآية وهو كقوله والوزن يومئذ الحق يعنى بالوزن القسط بينهم بالحق فى الاعمال الحسنات والسيئات فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يقول أذهبت حسناته سيئاته ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه وأمه هاوية يقول أذهبت سيئاته حسناته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال انما هو مثل كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحق قال الثورى قال ليث عن مجاهد ونضع الموازين القسط قال العدل وقوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها يقول وان كان الذى له من عمل الحسنات أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتينا بها يقول جئنا بها فأحضرناها اياه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها قال كتبناها وأحصيناها له وعليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها قال يؤتى بها لك وعليك ثم يعفو إن شاء أو يأخذ ويجزى بما عمل له من طاعة وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها قال جازينا بها حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد أنه كان يقول وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها قال جازينا بها وقال أتينا بها فأخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث وان كان الذى تقدم ذلك قوله مثقال حبة لانه عنى بقوله بها الحبة دون المثقال ولو عنى به المثقال لقيل به وقد ذكر أن مجاهدا انما تأول قوله آتينا بها على ما ذكرنا عنه لانه كان يقرأ ذلك آتينا بها بمد الألف وقوله وكفى بنا حاسبين يقول وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين لانه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف فى الدنيا من صالح أو سيئ منا

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾

ثم تعتبر الحبة من ذلك الدينار والظاهر أنه أراد الحبة من حيث اللغة وقوله من خردل بيان لها لان الحبة أعم من أن تكون من الخردل أو من الحنطة أو من غيرهما ولكن المبالغة فى الاول أكثر وذلك أن الخردلة سدس شعيرة وهى نصف سدس ثمن الدينار عند الحساب ونصف سدس سدسه فى الشرع والحبة ثمن تسع الدينار فى عرف حساب فارس والعراق فمثقال حبة من خردل يكون على الوجه الاول ثمن تسع خردلة وعلى ما قلنا يكون هو الخردل بعينه والحاصل أن شيأ من الاعمال صغيرا كان أو كبيرا غير ضائع من علم الله وأنه يجازى عليه

رؤى الشبلى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونى فدققوا * ثم منوا فأعتقوا

قال فى التفسير الكبير زعم الجبائى أن من استحق مائة جزء من العقاب فأتى بطاعة يستحق بها خمسين جزأ من الثواب فهذا الأقل منحبط بالاكثر ويبقى الاكثر كما كان والآية تبطل قوله لان الله تعالى تمدح بأن اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قاله الجبائى لسقطت الطاعة من غير فائدة قلت للجبائى أن يقول الاتيان بالطاعة مشروط عندى بعدم الاحباط كما أن العقاب على المعصية مشروط عندكم بعدم العفو (وكفى بنا حاسبين) كقوله وكفى بالله حسيبا وحين فرغ من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع فى قصص الأنبياء تسلية لنبيه وتثبيتا وعظة لامته وتذكيرا وقدم قصة موسى الا أنه أوجز فيها ههنا والموجز تقدمه الفصحاء غالبا ولان موسى أقوى حالا ومعجزة ولان ذكر التوراة يناسب ما تقدم من قوله قل انما أنذركم بالوحى ووصف التوراة بأنها جامعة لكونها فرقانا يفرق به بين الحق والباطل وقد مر سائر تفاسير الفرقان فى أول البقرة (وضياء) كقوله فيها هدى ونور (وذكرا للمتقين) أى شرفا وموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ودنياهم وقوله (بالغيب) اما حال من الرب أى حال كونه غائبا عن حسهم والله لا يغيب عنه شئ فيكون كقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك واما حال منهم أى حال كونهم غائبين عن عذاب الآخرة وأهوالها أو غائبين عن الناس أى يخشون ربهم فى الخلوات ثم عظم شأن القرآن بقوله (وهذا ذكر مبارك) أى كثير البركة (أنزلناه أفأنتم له منكرون) أى أنتم دون سائر الناس مع علمكم بفصاحته واعجازه تخصونه بالانكار ولا يخفى ما فيه من التوبيخ للعرب ومن داناهم

۞ التأويل أم اتخذوا آلهة من أرض البشرية ثم هم يحيون القلوب الميتة بل الله يحييها بنور ذكره وطاعته لو كان في سماء الروحانية وأرض البشرية آلهة الا الله كالعقل والهوى لفسدتا كما فسد سماء أرواح الفلاسفة حين أثبتت عقولهم للواجب صفات لا تليق به وفسد أرض بشرية الطبائعية حين زلت قدمهم عن استعمال قوانين الشريعة بمقتضى هوى الطبيعة لا يسئل عما يفعل لان أفعاله تعالى صادرة عن الحكمة والقدرة وهم يسئلون لان أفعالهم منشؤها الظلومية والجهولية لا يسبقونه بالقول لانه ليس فيهم ما يخالف داعية العقل وهو الطبع الذي يجذب صاحبه الى السفل ولهذا وصفهم بالاكرام ووصف بني آدم بالتكريم في قوله ولقد كرمنا بني آدم ففي التكريم تكثير ليس في الاكرام والسبب أن أمر بني آدم أشكل وحالهم أصعب يعلم ما بين أيديهم من خجالة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما خلفهم من الامر بسجود آدم والاستغفار لمن في الارض أولم ير الذين كفروا يعني أنهم رأوها في عالم الارواح لانها خلقت قبل الاجساد بألفي عام وفي رواية بأربعة آلاف سنة كانتا رتقا أي كانت سموات الارواح متعلقة بأرض القوالب ففتقناهما بالمفارقة وقطع التعلق وجعلنا من ماء حياة العلم كل شيء حي بالحياة الأبدية وجعلنا في الارض أرض القالب رواسي هي هموم العلائق البدنية أن تميد بهم فلولاها لمالت كل نفس الى عالمها وبطل الغرض من التكليف ويمكن أن يكون الرواسي اشارة الى الأبدال الذين هم أوتاد الارض بهم يرزق ويمطر الناس فجاجا سبلا هي طرق الارشاد والتسليك وجعلنا سماء القلب سقفا محفوظا من وساوس شياطين الانس والجن وهو الذي خلق ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس المعرفة وقمر الاسلام كل في فلك يسبحون فأهل الاسلام في فلك الشريعة وأهل الايمان في فلك الطريقة وأهل الولاية في فلك أطوار الحقيقة كل نفس ذائقة الموت أما النفس با آية الحيوانية فلأن من خواصها أن تصير الغذاء من جنسها فلا جرم اذا عجز الغذاء عن التشبيه بها لعجز القوة الغاذية حل أجلها وأما النفس الناطقة فلأن من خواصها أنها تصير من جنس غذائها وهو الكمالات العلمية والعملية التي هي فيوض ربانية يتجوهر الروح بجوهرها فيحصل له الفناء عن وجوده والبقاء بشهود ربه ونبلوكم بالمكروهات التي تسمونها شرا وبالمحبوبات التي تحسبونها خيرا فتنة فربما كان

يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هرون الفرقان يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل وذلك هو التوراة في قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الفرقان قال الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان الفرقان التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله بين الحق والباطل وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان قال الفرقان الحق آتاه الله موسى وهرون فرق بينهما وبين فرعون قضى بينهم بالحق وقرأ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان قال يوم بدر * قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل وذلك لدخول الواو في الضياء ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك لكان التنزيل ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء لان الضياء الذي آتى الله موسى وهرون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرهم الحلال والحرام ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الابصار وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء فان قال قائل وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان وان كانت فيه واو فيكون معناه وضياء آتيناه ذلك كما قال بزينة الكواكب وحفظا قيل له ان ذلك وان كان الكلام يحتمله فان الأغلب من معانيه ما قلنا والواجب أن يوجه معاني كلام الله الى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل وقوله وذكرا للمتقين يقول وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه ذكرهم بما آتى موسى وهرون من التوراة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾ يقول تعالى ذكره آتينا موسى وهرون الفرقان الذكر الذي آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة اذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون حذرون أن تقوم عليهم فيردوا على ربهم قد فرطوا في الواجب عليهم لله فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبل لهم به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون﴾ يقول جل ثناؤه وهذا القرآن الذي أنزلناه الى محمد صلى الله عليه وسلم ذكر لمن تذكر به وموعظة لمن اتعظ به مبارك أنزلناه كما أنزلنا التوراة الى موسى وهرون ذكرا للمتقين أفأنتم له منكرون يقول تعالى ذكره أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه الى محمد منكرون وتقولون هو أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا

بآية كما أرسل الاولون وانما الذي آتيناه من ذلك ذكرا للمتقين كالذي آتينا موسى وهرون ذكرا للمتقين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ذكر مبارك الى قوله أفأنتم له منكرون أي هذا القرآن

۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل موسى وهرون ووفقناه للحق وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الاوثان كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الاوثان وهديناه الى سبيل الرشاد توفيقا مناله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هديناه صغيرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل يقول آتيناه هداه وقوله وكنا به عالمين يقول وكنا عالمين به أنه ذو يقين وايمان بالله وتوحيد له لا يشرك به شيأ اذ قال لأبيه وقومه يعني في وقت قيله وحين قيله لهم ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون يقول قال لهم أي شئ هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قال الاصنام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشئ المقيم عليه بشواهد ذلك وذكرنا الرواية عن أهل التأويل

۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يقول تعالى ذكره قال أبو ابراهيم وقومه لابراهيم وجدنا آباءنا لهذه الاوثان عابدين فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون قال ابراهيم لقد كنتم أيها القوم أنتم وآباؤكم بعبادتكم اياها في ضلال مبين يقول في ذهاب عن سبيل الحق وجور عن قصد السبيل مبين يقول بين لمن تأمله بعقل أنكم كذلك في جور عن الحق قالوا أجئتنا بالحق يقول قال أبوه وقومه له أجئتنا بالحق فيما تقول أم أنت هازل لاعب من اللاعبين

۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال بل ربكم

الامر عكس ما تصورتم والينا ترجعون اختيارا او قهرا واذا رآك الذين كفروا فيه أن الاغيار لا ينظرون الى الاخيار الا بعين الانكار خلق الانسان من عجل بالنسبة الى خلق السموات والارض وما بينهما فانها خلقت في ستة أيام وخمرت طينة آدم أربعين صباحا مع أن فيها أنموذجا من الكل واستعداد القبول الخلافة وقابلية تجلي الذات والصفات ومظهرية الكنز الخفي وأشار الى هذه المعاني بقوله سأريكم آياتي أي في مظاهر الآفاق ومرايا أنفسكم بالتدريج وبالتربية في كل طور فلا تستعجلون فان حد الاستكمال من المهد الى اللحد بل من الازل الى الابد وهذا منطق الطير لا يفهمه الا سليمان الوقت ويمكن أيضا أن يقال ان الروح الانساني أول شئ تعلقت به القدرة وهذا معنى العجلة قل من يكلؤكم فيه أن ملوك الارض لو حرسوهم بالليل والنهار من الخصوم والاعداء فمن لهم حتى يحفظوهم في ليل البشرية ونهار الروحانية من سطوات قهر الجلال الذي الرحمانية من صفاته كما أن الرحيمية من صفات الجمال فلو وكلهم بالخذلان الى ظلمة البشرية بقوا في الجهل ولو وكلهم بالاضلال في نور المعقولات تاهوا في أودية الحيرة والحجب النورية والمنع من الحجب الظلمانية والجهل البسيط أسرع من ازالة الجهل المركب بل متعنا هؤلاء الجهال وآباءهم الذين علموهم تلك المعقولات التي صارت حجبا نورية لهم حتى اغتروا بظاهر الحال وأنكروا المعاد والشريعة ثم بين أن الحق يغلب على الباطل البتة فقال أولم يروا أنا نأتي الارض البشرية ونضع الموازين ميزان الفضل قد نصب في الازل نحن قسمنا تلك الرسل فضلنا وميزان العدل ينصب في الابد ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فالاول كالبذرة والثاني كالثمرة (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم

فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم
ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا
فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة
يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات (٣٨) واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من

القرية التى كانت تعمل الخبائث
انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه
فى رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ
نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه
وأهله من الكرب العظيم ونصرناه
من القوم الذين كذبوا بآياتنا
انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم
أجمعين وداود وسليمن اذ يحكمان
فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمن وكلا آتينا حكما وعلما
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة
لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم
فهل أنتم شاكرون ولسليمن
الريح عاصفة تجرى بأمره الى
الارض التى باركنا فيها وكنا بكل
شئ عالمين ومن الشياطين من
يغوصون له ويعملون عملا دون
ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ
نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت
أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم
معهم رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين واسمعيل وادريس وذا
الكفل كل من الصابرين
وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من
الصالحين وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى
الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك
انى كنت من الظالمين فاستجبنا له
ونجيناه من الغم وكذلك ننجى
المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم أعجبك
كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾

رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لهم بل جئتكم بالحق لا اللعب ربكم رب السموات والارض الذى خلقهن وأنا على ذلكم من أن ربكم هو رب السموات والارض الذى فطرهن دون التماثيل التى أنتم لها عاكفون ودون كل أحد سواه شاهد من الشاهدين يقول فاياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التى هى خلقه التى لا تضر ولا تنفع

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ﴾ ذكر أن ابراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين فى سر من قومه وخفاء وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذى أفشاه عليه حين قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وتالله لأكيدن أصنامكم قال قول ابراهيم حين استتبعه قومه الى عيد لهم فأبى وقال انى سقيم فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر وهو الذى يقول سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتالله لأكيدن أصنامكم قال نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولوا مدبرين وقوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار سوى يحيى بن وثاب والاعمش والكسائى فجعلهم جذاذا (١) بمعنى جمع جذيذ كأنهم أرادوا به جمع جذيذ وجذاذ كما يجمع الخفيف خفاف والكريم كرام * وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه جذاذا بضم الجيم لاجماع قراء الامصار عليه وأن ما أجمعت عليه فهو الصواب وهو اذا قرئ كذلك مصدر مثل الرفات والفتات والدقاق لا واحد وأما من كسر الجيم فانه جمع للجذيذ والجذيذ هو فعيل صرف من مجذوذ اليه مثل كسير وهشيم والمجذوذة المكسورة قطعا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فجعلهم جذاذا يقول حطاما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جذاذا كالصريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فجعلهم جذاذا أى قطعا وكان سبب فعل ابراهيم صلوات الله عليه بآلهة قومه ذلك كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أن ابراهيم قال له أبوه يا ابراهيم ان لنا عيدا لو قد خرجت معنا اليه قد

(١) لعل فى العبارة سقطا والحاصل أن الناس قرؤه جذاذا بالضم وابن وثاب ومن معه بالكسر فتنبه

﴿ القراآت جذاذا بكسر الجيم على الآخرون بضمها أف بفتح الفاء ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب أف بالكسر والتنوين أبو جعفر ونافع وحفص الباقون بالكسر من غير تنوين لنحصنكم بالنون أبو بكر وحماد ورويس وبالتاء الفوقانية والضمير للصنعة أو للدرع لانها

أعجبك دينا فلما كان يوم العيد خرجوا اليه خرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى
نفسه وقال انى سقيم يقول أشتكى رجلى فتواطؤا رجليه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم
وقد بقى ضعفى الناس تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم
الى بيت الآلهة فاذا هن فى بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه بعضها الى
بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين أيدى
الآلهة قالوا اذا كان حين نرجع رجعنا وقد بركت الآلهة فى طعامنا فأكلنا فلما نظر اليهم ابراهيم
والى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا
باليمين فأخذ فأس حديد فنقر كل صنم فى حافتيه ثم علق الفأس فى عنق الصنم الأكبر ثم خرج فلما
جاء القوم الى طعامهم نظروا الى آلهتهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله إلا كبيرا لهم يقول إلا عظيما للآلهة فان ابراهيم لم يكسره
ولكنه فيما ذكر علق الفأس فى عنقه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج إلا كبيرا لهم قال
قال ابن عباس إلا عظيما لهم عظيم آلهتهم قال ابن جريج وقال مجاهد وجعل ابراهيم الفأس التى
أهلك أصنامهم مسندا الى صدر كبيرهم الذى ترك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قال جعل ابراهيم الفأس التى أهلك بها أصنامهم مسندة الى صدر كبيرهم الذى ترك
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أقبل عليهن كما قال الله تبارك وتعالى ضربا
باليمين ثم جعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا بقى أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن فلما
رجع قومه رأوا ما صنع بأصنامهم فراعهم ذلك وأعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين
وقوله لعلهم اليه يرجعون يقول فعل ذلك ابراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها اذا لم تدفع عن
نفسها ما فعل بها ابراهيم فهى من أن تدفع عن غيرها من أراده بسوء أبعد فيرجعوا عما هم عليه
مقيمون من عبادتها الى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله والبراءة من الاوثان * وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة لعلهم اليه يرجعون قال كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا
فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم لما رأوا آلهتهم قد
جذت الا الذى ربط به الفأس ابراهيم من فعل هذا بآلهتنا ان الذى فعل هذا بآلهتنا لمن
الظالمين أى لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم يقول قال الذين

مؤنثة سماعا ابن عامر ويزيد وحفص والمفضل وروح وزيد الباقون بالياء التحتانية والضمير لداود عليه السلام أو للبوس والكل بتخفيف
الصاد والرياح على الجمع يزيد بطريق المفضل الآخرون على التوحيد مسنى الضر وعبادى الصالحون فى آخر السورة مرسلة الياء حمزة
الباقون بفتحها وأن لن نقدر بالياء مجهولا يعقوب نجى بضم النون الواحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء ابن عامر وعباس وأبو بكر وحماد
الآخرون من الانجاء مخففا ۞ الوقوف عالمين ج ○ لان اذ يصلح ظرفا لآتينا أو لرشده أو للعلم به ومفعولا
لاذكر محذوفا عاكفون ○
عابدين ○ مبين ○ اللاعبين ○
فطرهن ز لواو الابتداء والحال
أولى الشاهدين ○ يرجعون ○
الظالمين ○ ابراهيم ○ يشهدون
○ ياابراهيم ○ط فعله ز وفيه بعد
ويجىء فى التفسير ينطقون ○
الظالمون ○ لا للعطف على رؤسهم
ج لاتحاد المقصود مع اضمار
القول ينطقون ○ ولا يضركم ط
لاستئناف الدعاء عليهم من دون
الله ط تعقلون ○ فاعلين ○
على ابرهيم ○ لا بناء على أن
التقدير وقد أرادوا الأخسرين
ج ○ للعطف والآية للعالمين ○
اسحق ط بناء على أن المراد
ووهبنا له يعقوب حال كونه نافلة
نافلة ط صالحين ○ الزكاة ج
لاحتمال الاستئناف والحال عابدين
○ وكان ينبغى أن لا يوقف للعطف
ولكنهم حكموا بالوقف لتمام القصة
وكذلك أمثالها الخبائث ط
فاسقين ○ لا بناء على أن
التقدير وقد أدخلناه رحمتنا ط
الصالحين ○ العظيم ○ ج للعطف
مع الآية بآياتنا ط أجمعين ○
غنم القوم ج لاحتمال الواو
بعده الاستئناف والحال شاهدين
○ لا للعطف بالفاء سليمان ج
لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع
اتحاد الكلام وعلما ز لعطف
المتفقين مع نوع عدول والطير ط فاعلين ○ من بأسكم ج للاستفهام مع الفاء شاكرون ○ فيها ط عالمين ○ دون ذلك ج
لاحتمال الاستئناف والحال حافظين ○ الراحمين ○ ط للفاء وللآية للعابدين ○ وذا الكفل ط الصابرين ○ وقد يوصل لعطف
وأدخلناهم على نحينا للقدرة فى رحمتنا ط الصالحين ○ سبحانك قد يوقف لاجل ان ولكنه داخل فى حكم النداء الظالمين ج ○
على ما ذكر فى الوجهين فاستجبنا له لا لاتفاق الجملتين واتصال الفاء باستجابة من الغم ط المؤمنين ○ الوارثين ○ فاستجبنا له ○ لامكان

الفصل بين الاستجابة المعجلة وحصول الولد الموهوب على المهلة زوجه ط ورهبا ط خاشعين ط للعالمين ٥ ۞ التفسير الرشد الاهتداء لوجوه المصالح فى الدين والدنيا وقد يخص ههنا بالنبوة لقوله رشده ومعنى الاضافة أن لهذا الرشد شأنا ولقوله (وكنابه عالمين) وفيه أنه علم منه أسرارا عجيبة وأحوالا بديعة حتى اتخذه خليلا واصطفاه نبيا نظيره الله أعلم حيث يجعل رسالته وعلى هذا فمعنى قوله من قبل أى من قبل موسى وهرون قاله ابن عباس وعلى الاول يحتمل هذا وأن يراد من قبل البلوغ حين استدل بالكواكب قاله مقاتل وعن ابن عباس فى رواية الضحاك حين أخذ الله ميثاق النبيين فى صلب آدم قالت الاشاعرة أراد بايتاء الرشد خلق ذلك فيه اذ لو حمل على أسباب ذلك تناول الكفار أجاب الكعبي بأن هذا انما يقال فيمن قبل لا فيمن رد نظيره بأن يعطى الاب كل واحد من ولديه ألفا فقبله أحدهما وثمره ورده الآخر أو أخذه ثم ضيعه فيقال أغنى فلان ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال مثله فيمن ضيع واعترض بأن قبوله على هذا التقدير يكون جزأ من مسمى الرشد وحينئذ لا يصح استناد ايتاء الرشد الى الله وحده وهذا خلاف نص القرآن والتمثال اسم للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى من مثلت الشئ بالشئ شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال جعل ابراهيم عليه السلام هذا التجاهل والتغابى ابتداء كلامه لينظر فيما عساهم يوردونه من شبهة فيحلها لهم مع ما فى هذا السؤال من تحقير آلهتهم وتسفيه أخلافهم وفى قوله (أنتم لها عاكفون) دون أن يقول عليها كقوله يعكفون على أصنام لهم نوع آخر من التجهيل والتوبيخ لانه ادعى عليهم أنهم جعلوا العكوف مختصا بها دون خالقها وخالق كل شئ (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) لا يمكن لهم أن يتمسكوا بشئ آخر سوى التقليد فزيف طريقتهم بالتنبيه على خطئهم وخطأ أسلافهم فقال (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) لان كل مذهب لا يستند الى دليل كان صاحبه ضالا أو فى حكم ذلك ثم ان القوم تعجبوا من تضليلهم مع كثرتهم ووحدته ومنعهم عما ألفوه وضروا به فقالوا (أجئتنا بالحق) أى عما ليس بهزل بدعابة (أم أنت من اللاعبين) فحينئذ عدل ابراهيم عن مجرد التنبيه الى اثبات الدعوى بالبينة والدليل وجاهدهم أولا باللسان قائلا (بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) الظاهر أن الضمير للسموات والارض

سمعوه يقول تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له ابراهيم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قالوا سمعنا فتى يذكرهم قال ابن جريج يذكرهم يعيبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره وهو الذى نظن صنع هذا بها وقوله فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم بعضهم لبعض فأتوا بالذى فعل هذا بآلهتنا الذى سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس فقيل معنى ذلك على رؤس الناس وقال بعضهم معناه بأعين الناس ومرأى منهم وقالوا انما أريد بذلك أظهروا الذى فعل ذلك للناس كما تقول العرب اذا أظهر الأمر وشهر كان ذلك على أعين الناس يراد به كان بأيدى الناس * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لعلهم يشهدون فقال بعضهم معناه لعل الناس يشهدون عليه أنه الذى فعل ذلك فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه وقالوا انما فعلوا ذلك لانهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه فعل ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قال كرهوا أن يأخذوه بغير بينة * وقال آخرون بل معنى ذلك لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به فيعاينونه ويرونه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بلغ ما فعل ابراهيم بآلهة قومه نمرود وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون أى ما يصنع به وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقوبتنا اياه لانه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال انظروا من شهده يفعل ذلك ولم يقل أحضروه بمجمع من الناس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون﴾ يقول تعالى ذكره فأتوا بابراهيم فلما أتوا به قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا ابراهيم فأجابهم ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها ان كانت تنطق أو تعبر عن نفسها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية وهى هذه الخصلة التى كادهم بها وقد زعم بعض من لا يصدق بالآثار ولا يقبل من الاخبار إلا ما استفاض به النقل من العوام أن معنى قوله بل فعله كبيرهم هذا انما هو بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم أى ان كانت الآلهة المكسورة

تنطق

الا أنه قيل كونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وقوله (وأنا على ذلكم من الشاهدين) فيه تأكيد وتحقيق لما قاله كقول الرجل اذا بالغ في مدح أحد أو ذمه أشهد إنه كريم أو لئيم لان الشهادة خبر قاطع وفيه أنه قادر على اثبات ما ادعاه بالحجج والبينات كم شاؤا ثم أخبر أنه سيجاهدهم جهادا بالفعل من غير تقية وخوف فقال (وتالله لأكيدن أصنامكم) قال جار الله في تاء القسم مع أنه عوض عن الباء زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من سهولة الكيد على يده لان ذلك لصعوبته كان كالمقنوط منه خصوصا في زمن نمرود مع شدة شكيمته وقوة سلطانه قلت لا ريب أن هذا مستبعد عادة ولكنه سهل لمن أيده الله ونصره كما قال علي رضي الله عنه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة رحمانية * سؤال الكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به فكيف يتصور ذلك في حق الأصنام وجوابه أنه قال ذلك بناء على زعمهم أنه يجوز ذلك عليها أو أراد لأكيدنكم في أصنامكم لانه بذلك الفعل أهمهم وأحزنهم قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم اشتكى رجلي فلما بقي هو وضعفاء الناس نادى وقال تالله لأكيدن أصنامكم وروى الكلبي أن ابراهيم كان من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء فقال لاصحابه أني أراني أشتكي غدا فذلك قوله في الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وأصبح من الغد معصوبا رأسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف أحد غيره فقال سرا أما والله لأكيدن أصنامكم فسمعه رجل واحد وأخبر به غيره وانتشر الخبر وعلى الوجهين يصح قوله فيما بعد قالوا سمعنا فتى يذكرهم وروى أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه (فجعلهم جذاذا) قال الجوهري جذذت

ينطق فان كبيرهم هو الذي كسرهم وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلها في الله قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وقوله لسارة هي أختي وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك ليقرع قومه به ويحتج به عليهم ويعرفهم موضع خطئهم وسوء نظرهم لانفسهم كما قال مؤذن يوسف لاخوته أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا شيأ * القول في تأويل قوله تعالى (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) يقول تعالى ذكره فذكروا حين قال لهم ابراهيم صلوات الله عليه بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون في أنفسهم ورجعوا الى عقولهم ونظر بعضهم الى بعض فقالوا انكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم اياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون قال ارعووا ورجعوا عنه يعني عن ابراهيم فيما ادعوا عليه من كسرهن الى أنفسهم فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فرجعوا الى أنفسهم قال نظر بعضهم الى بعض فقالوا انكم أنتم الظالمون وقوله ثم نكسوا على رؤسهم يقول جل ثناؤه ثم غلبوا في الحجة فاحتجوا على ابراهيم بما هو حجة لابراهيم عليهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء الاصنام ينطقون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم قالوا يعني قوم ابراهيم وعرفوا أنها يعني آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تبطش لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أي لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها وما تبطش بالايدي فنصدقك يقول الله ثم نكسوا على رؤسهم في الحجة عليهم لابراهيم حين جادلهم فقال عند ذلك ابراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله ثم نكسوا على رؤسهم أدركت الناس حيرة سوء * وقال آخرون معنى ذلك ثم نكسوا في الفتنة ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ثم نكسوا على رؤسهم قال نكسوا في الفتنة على رؤسهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * وقال بعض أهل العربية معنى ذلك ثم رجعوا عما عرفوا من حجة ابراهيم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وانما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك لان نكس الشئ على رأسه قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رؤس أنفسهم وأنهم انما نكست حجتهم فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم واذ كان ذلك كذلك فنكس الحجة لا شك انما هو احتجاج المحتج على خصمه بما هو حجة لخصمه وأما قول السدي ثم نكسوا في الفتنة فانهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك فنكسوا فيها وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه فقول بعيد من الفهوم لانهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا

الشئ جذاقطعته وكسرته والجذاذ والجذاذ ما كسر منه وضمه أفصح من كسره قلت فعلى هذا هو اسم جمع لا جمع (الا كبيرالهم) أى فى الخلقة كبار و بناوقيل فى التعظيم ويحتمل أن يكون جامعا للامرين أما الضمير الواحد فى قوله (لعلهم اليه يرجعون) فيحتمل عوده الى ابراهيم أى جعلهم جذاذا واستبقى الكبير رجاء أنهم يرجعون الى دينه أوالى السؤال عنه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ويحتمل عوده الى الكبير كما ذهب اليه الكلبى والمعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم فى حل المشكلات فيقولون مالهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك وهذا بناء على ظنهم ان الاصنام قد تتكلم وتجيب على أن نفس ذلك الكبير كان دليلا على فساد مذهبهم لان الاله يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ لانهم كانوا يعظمونها و يقولون ان المستخف بها يلحقه ضرر عظيم حين كسرها ابراهيم ولم ينله ضرر من تلك الجهة بطل ما اعتقدوه فلما انكشفت لهم جلية الحال و (قالوا من فعل هذا) الكسر والحطم والاستخفاف (بآلهتنا انه لمن الظالمين) المعدودين فى جملة من يضع الشئ فى غير موضعه لانه وضع الاهانة مكان التعظيم (قالوا سمعنا) احتمل أن يكون القائل واحدا ونسب القول الى الجماعة لانه منهم واحتمل أن يكون جمعا على الوجهين اللذين رويناهما أولا انهم سمعوا منه قوله على وجه الاستهزاء ساهدته التماثيل والفعلان بعد (فتى) صفتان له الا أن الاول ضرورى ذكره لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع والثانى ليس كذلك والأصح أن قوله ابراهيم فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى وقيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى (قالوا أى فيما بينهم (فأتوا به على أعين الناس) الجار والمجرور فى محل الحال أى بمرأى منهم ومنظر أى معاينا ومشاهدا قال فى الكشاف معنى الاستعلاء فى على أنه يثبت اتيانه فى الاعين و يتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه و بما فعله فيكون حجة عليه قاله الحسن وقتادة والسدى وعطاء عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق معناه لعلهم يحضرون عقوبتنا له لتكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله وههنا اضمار أى فأتوا به ثم (قالوا أأنت فعلت هذا) الظلم والاستخفاف (بآلهتنا يا ابراهيم) طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على ايذائه ف(قال بل فعله كبيرهم) وقوله (هذا)

من حجة ابراهيم ما احتجوا عليه بما هو حجة له بل كانوا يقولون له لا نسألهم ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك بها وقد سمعنا أنك فعلت ذلك ولكن صدقوا القول فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون وليس ذلك رجوعا عما كانوا عليه فوا بل هو اقرار به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أفتعبدون أيها القوم مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء ولا هى تقدر أن تنطق ان سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم الآية يقول يرحمه الله ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضر الذى أصابهم وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم فكيف ينفعونكم أو يضرون وقوله أف لكم يقول قبحا لكم وللآلهة التى تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم مالا يضر ولا ينفع فتتركوا عبادته وتعبدوا الله الذى فطر السموات والارض والذى بيده النفع والضر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾ يقول تعالى ذكره قال بعض قوم ابراهيم لبعض حرقوا ابراهيم بالنار وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين يقول ان كنتم ناصريها ولم تريدوا ترك عبادتها وقيل ان الذى قال ذلك رجل من أكراد فارس ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فى قوله حرقوه وانصروا آلهتكم قال قالها رجل من أعراب فارس يعنى الأكراد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن عن شعيب الجبائى قال ان الذى قال حرقوه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أجمع نمرود وقومه فى ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين أى لا تنصروها منه الا بالتحريق بالنار ان كنتم ناصريها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر فقال أتدرى يا مجاهد من الذى أشار بتحريق ابراهيم بالنار قال قلت لا قال رجل من أعراب فارس قلت يا أبا عبد الرحمن أوهل للفرس أعراب قال نعم الكرد هم أعراب فارس فرجل منهم هو الذى أشار بتحريق ابراهيم بالنار وقوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فى الكلام متروك اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه منه وهو فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها فقلنا للنار يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وذكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالوا ابنوا له بنيانا

فألقوه

صفة كبيرهم زعم الطاعنون فى عصمة الانبياء أن هذا القول من ابراهيم كذب وأكدوا قولهم بما جاء فى الحديث ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات والعلماء فى جوابهم طريقان أحدهما تسليم أنه كذب ولكنهم قالوا الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب اذا اشتمل على مصلحة كتخليص نبى ونحوه وزيف هذا الطريق بأنا لو جوزنا أن يكذب النبى لمصلحة لبطل الوثوق بالشرائع فلعل الأنبياء أخبروا عما أخبروا والمصلحة المكلفين فى باب المعاش مع أنه ليس للمخبر عنه وجود كما فى الواقع الطريق الثانى وعليه جمهور المحققين المنع من أنه كذب وبيانه من وجوه الاول أنه من المعاريض التى يقصد بها الحق وهو الزام الخصم وتبكيته كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط فى غاية الحسن أنت كتبت هذا وصاحبك أمى لا يحسن الخط فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع استهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى الثانى أن ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مزينة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها الثالث أن يكون ذلك حكاية لما يؤول اليه مذهبهم كأنه قال ماتنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على أمثال هذه الافعال ويؤيد هذا الوجه ما يحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار الرابع ما روى عن الكسائى أنه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا أى فعله من فعله الخامس عن بعضهم أنه يقف عند قوله كبيرهم هذا فاسئلوهم وأراد بالكبير نفسه لان الانسان أكبر من كل صنم السادس أن فى الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكونوا فاعلين السابع قراءة محمد بن السميفع فعله كبيرهم بالتشديد أى فلعل الفاعل كبيرهم وفيه تعسف وأما قول ابراهيم عليه السلام انى سقيم فلعله كان به سقم قليل وسوف يجىء تمام البحث فيه وأما قوله لسارة انها أختى فالمراد أنها أخته فى الدين فلم يكن وقتئذ على وجه الارض مسلم سواهما (فرجعوا الى أنفسهم) حين نبههم على قبح طريقتهم (فقالوا انكم أنتم الظالمون) لانكم تعبدون من لا يستحق العبادة

فألقوه فى الجحيم قال فحبسوه فى بيت وجمعوا له حطبا حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله لأجمعن حطبا لابراهيم فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب (١) حتى ان الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها فعمدوا اليه فرفعوه على رأس البنيان فرفع ابراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه الى السماء فقالت السماء والارض والجبال والملائكة ربنا ابراهيم يحرق فيك فقال أنا أعلم به وان دعاكم فأغيثوه وقال ابراهيم حين رفع رأسه الى السماء اللهم أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل فقذفوه فى النار فناداها فقال يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فكان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها وقال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار فى الارض إلا طفئت ظنت أنها هى تعنى فلما طفئت النار نظروا الى ابراهيم فاذا هو ورجل آخر معه واذا رأس ابراهيم فى حجره يمسح عن وجهه العرق وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم وأخرجوا ابراهيم فأدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه **حدثنى** ابراهيم بن المقدام أبو الأشعث قال ثنا المعتمر قال سمعت أبى قال ثنا قتادة عن أبى سليمن عن كعب قال ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال ذكر لنا أن كعبا كان يقول ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس وكان كعب يقول ما أحرقت النار يومئذ الا وثاقه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شيخ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال بردت عليه حتى كادت تقتله حتى قيل وسلاما قال لا تضريه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل عن المنهال بن عمرو قال قال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم منى من الايام التى كنت فيها فى النار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال لما ألقى ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم فى النار قال الملك خازن المطر رب خليلك ابراهيم رجا أن يؤذن له فيرسل المطر قال فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلم يبق فى الارض نار إلا طفئت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الحرث عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال ان أحسن شئ قاله أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو فى النار وجده يرشح جبينه فقال عند ذلك نعم الرب ربك يا ابراهيم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن عن شعيب الجبائى قال ألقى ابراهيم فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت ايلياء على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بطنت يومين وماتت اليوم الثالث قال ابن جريج قال كعب الأحبار ما أحرقت النار من ابراهيم شيأ غير وثاقه الذى أوثقوه به **حدثنا** الحسن قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن

(١) أى أشعلوه حتى كما يستفاد من عبارة الخطيب المفسر فتنبه كتبه مصححه

التيمي عن بعض أصحابه قال جاء جبريل الى ابراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمط ليلقى في النار قال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا * قال ثنا معتمر قال ثنا ابن كعب عن أرقم أن ابراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال السلام لا يؤذيه بردها ولولا أنه قال وسلاما لكان البرد أشد عليه من الحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله بردا قال بردت عليه وسلاما لا تؤذيه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال قال كعب ما انتفع أحد من أهل الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيئا إلا وثاق ابراهيم * وقال قتادة لم تأت يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ * وقال الزهري أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا وقوله وأرادوا به كيدا يقول تعالى ذكره وأرادوا بابراهيم كيدا فجعلناهم الأخسرين يعني الهالكين وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين قال ألقوا شيخا منهم في النار لأن يصيبوا نجاته كما نجى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاحترق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يقول تعالى ذكره ونجينا ابراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وهي أرض الشأم فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر الى الشأم وهذه القصة التي قص الله من نبا ابراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الاوثان وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها ودعائهم الى عبادة الله مخلصين له الدين مسلك أعداء أبيهم ابراهيم ومخالفتهم دينه وأن محمدا في براءته من عبادتها واخلاصه العبادة لله وفي دعائهم الى البراءة من الاصنام وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه ابراهيم وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج ابراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم الى مهاجره من أرض الشأم ومسل بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه من المكروه والأذى ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه ابراهيم من كفرة قومه * وقد اختلف أهل التأويل في الارض التي ذكر الله أنه نجى ابراهيم ولوطا اليها ووصفها أنه بارك فيها للعالمين فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن حريث المروزي أبو عمار قال ثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الشأم وما من ماء عذب الا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن فرات القزاز عن الحسن في قوله الى الارض التي باركنا فيها قال الشام حدثنا

وقال مقاتل معناه فلاموا أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون لابراهيم حيث تزعمون أنه كسرها مع أن الفأس بين يدي الصنم الكبير وقيل أنتم الظالمون لانفسكم اذ سألتم منه ذلك حتى أخذ يستهزئ بكم في الجواب يقال نكسته أي قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب وانتكاس الانسان هو أن يكون رأسه من تحت فلهذا قال (ثم نكسوا على رؤسهم) والمراد أنهم استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة (٣٤) قائلين (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) وفيه أنهم رضوا بالاهتمام مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق وقال ابن جرير المعنى نكست حجتهم فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم وبيان انتكاس الحجة قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فان هذه حجة عليهم لا لهم وقيل المراد بانتكاس رؤسهم اطراقهم خجلا وانكسارا ثم زاد ابراهيم في توبيخهم قائلا (أفتعبدون) الآية وقد مر في سورة سبحان أن أف صوت يدل على التضجر واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف وذلك أنه أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم (قالوا حرقوه) المشهور أن الذي أشار بتحريقه هو نمرود بن كنعان ابن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انه رجل من أعراب العجم يريد الأكراد وعن ابن جريج عن وهب أن الذي قال هذا القول قد خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة روى مقاتل أن نمرود وقومه أجمعوا على احراقه فحبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وهي من قرى الانباط وذلك قوله ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير أربعين يوما حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لأجمعن حطبا لابراهيم فلما اشتعلت النار اشتدت وصار الهواء بحيث لو مر الطير في أقصى الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فضجت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين ضجة واحدة أي ربنا ليس في أرضك أحد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فأذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث بأحد منكم فأغيثوه وان لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن الرياح وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليك ثم رفع رأسه الى السماء فقال أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الارض

بشر

ليس في الارض أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروى أنه قال لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم أتاه جبريل في الهواء فقال يا ابراهيم هل لك من حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فأرسل الله ملائكة أخذوا بضبعيه وأقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وأتاه جبرائيل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي قال المنهال بن عمرو أخبرت أن ابراهيم مكث في النار أربعين يوما أو خمسين وقال ما كنت أياما أطيب عيشا مني اذ كنت فيها قلت وذلك لاستغراقه في بحر الغموض والآثار الربانية ولو لم يكن فيه الا القرب من لطف خليله والبعد من قهر عدوه لكفى ثم نظر نمرود من صرح له مشرف على ابراهيم فرآه جالسا في روضة ومعه جليس له من الملائكة والحطب يحترق حواليه فناداه يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم فقام يمشي حتى خرج فقال نمرود اني مقرب الى ربك قربانا فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة قال العلماء اختاروا العقاب بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولهذا جاء في الحديث لا يعذب في النار الا خالقها ومن ثم قالوا (وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا قويا فاختاروا له أشد العقاب وهو الاحراق والا كنتم مقصرين في نصرتها (قلنا) عن السدي أن القائل هو جبرائيل عليه السلام والأكثرون على أنه سبحانه وذهب أبو مسلم الاصفهاني الى أنه لا قول هنالك بل أراد به الجعل لان النار جماد فلا فائدة في خطابه ويمكن أن يجاب بأن الله قادر على أن يخلق لها فهما يصح به التخاطب ولو سلم فلعل في ذلك الخطاب مصلحة للملائكة والظاهر أن قوله (يا نار) خطاب لتلك النار المخصوصة فان الغرض تعلق ببردها فقط وفي النار منافع للخلائق فلا يحسن من الكريم ابطالها وقيل المذكور اسم الماهية فلا بد من حصول البرد في تلك الماهية أينما وجدت ويناسبه رواية مجاهد عن ابن عباس أنه لم يبق يومئذ في الدنيا نار الا طفئت واختلفوا في أن النار كيف بردت فقيل انه تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيهما من الاضاءة والاشراق والله على كل شئ قدير وقيل خلق في جسد ابراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار كما يفعل بخزنة جهنم وكذلك في النعامة

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين كانا بأرض العراق فأنجيا الى أرض الشأم وكان يقال للشأم عماد دار الهجرة وما نقص من الارض زيد في الشأم وما نقص من الشأم زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر وبها مجمع الناس وبها ينزل عيسى بن مريم وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال وحدثنا أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملت عمود الكتاب فوضعته بالشأم فأولته أن الفتن اذا وقعت فان الايمان بالشأم وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبة انه كائن بالشأم جند وبالعراق جند وباليمن جند فقال رجل يا رسول الله خر لي فقال عليك بالشأم فان الله قد تكفل لي بالشأم وأهله فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق بغدره وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا كعب ألا تحول الى المدينة فانها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره فقال له كعب يا أمير المؤمنين اني أجد في كتاب الله المنزل أن الشأم كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال هاجرا جميعا من كوثى الى الشأم حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال انطلق ابراهيم ولوط قبل الشأم فلقي ابراهيم سارة وهي بنت ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها (١) على أن لا يغيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال خرج ابراهيم مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط مهاجرا وتزوج سارة ابنة عمه فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشأم فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشأم ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة أو أقرب من ذلك فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال نجاه من أرض العراق الى أرض الشأم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أنه قال في هذه الآية باركنا فيها للعالمين قال ليس ماء عذب الا يهبط الى الصخرة التي ببيت المقدس قال ثم يتفرق في الارض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الى الشأم * وقال آخرون بل يعني مكة وهي الارض التي قال الله تعالى التي باركنا فيها للعالمين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني مكة ونزول اسمعيل البيت ألا ترى أنه يقول ان أول بيت وضع للناس للذي

(١) في ابن كثير على أن يفر بها فليحرر

بكة مباركا وهدى للعالمين * قال أبو جعفر وانما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لانه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة ابراهيم من العراق كانت الى الشام وبها كان مقامه أيام حياته وان كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها اسمعيل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لم يقم بها ولم يتخذها وطنا لنفسه ولا لوط والله انما أخبر عن ابراهيم ولوط أنهما أنجاهما الى الارض التي بارك فيها للعالمين ¤ القول في تأويل قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) يقول تعالى ذكره ووهبنا لابراهيم اسحق ولدا ويعقوب ولد ولده نافلة له ¤ واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله نافلة فقال بعضهم عني به يعقوب خاصة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة يقول ووهبنا له اسحق ولدا ويعقوب ابن ابن نافلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والنافلة ابن ابنه يعقوب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال سأل واحدا فقال رب هب لي من الصالحين فأعطاه واحدا وزاده يعقوب ويعقوب ولد ولده ¤ وقال آخرون بل عني بذلك اسحق ويعقوب قالوا وانما معنى النافلة العطية وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما اياه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال عطية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اسحق ويعقوب نافلة قال عطاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وقد بينا فيما مضى قبل أن النافلة الفضل من الشيء يصير الى الرجل من أي شيء كان ذلك وكلا ولديه اسحق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على ابراهيم وهبة منه له وجائز أن يكون عني به أنه آتاهما اياه جميعا نافلة منه له وأن يكون عني أنه آتاه نافلة يعقوب ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله لابراهيم اسحق ويعقوب نافلة وقوله وكلا جعلنا صالحين يعني عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه وعني بقوله كلا ابراهيم واسحق ويعقوب وقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا يقول تعالى ذكره وجعلنا ابراهيم واسحق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه ويقتدى بهم ويتبعون عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا جعلهم أئمة يقتدى بهم في أمر الله وقوله يهدون بأمرنا يقول يهدون الناس بأمر الله اياهم بذلك ويدعونهم

لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة والسمندل ولا يؤذيه المقام في النار وقيل جعل بينه وبين النار حائلا منع من وصول أثر النار اليه والمحققون على القول الاول لان النص دل ظاهره على أن نفس النار صارت باردة وليست الحرارة جزأ من مسمى النار حتى يمتنع كونها نارا وهي باردة وأما على القولين الآخرين فيلزم أن لا يحصل البرد فيها وهو خلاف النص قوله (وسلاما) أي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك حتى كأن ذاتها برد وسلام والمعنى ابردي حتى يسلم منك ابراهيم أو ابردي

بردا غير ضار ويناسبه ما روي عن ابن عباس لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها وقوله (على ابراهيم) حال من فاعل السكون أو متعلق بالبرد والسلام ولولا هذا القيد لكانت النار بردا على كافة الخلق قوله (فجعلناهم الاخسرين) وفي الصافات فجعلناهم الاسفلين لان في هذه السورة كادهم ابراهيم لقوله لأكيدن أصنامكم وكادوه لقوله وأرادوا به كيدا فغلبهم ابراهيم لانه كسر أصنامهم وسلم من نارهم فكانوا هم الأخسرين وفي الصافات قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأججوا نارا عظيمة وبنوا بناء عاليا ورفعوه اليه ورموا به الى أسفل فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من السافلين وفي العقبى في السافلين وروي أنهم بنوا لابراهيم بنيانا وألقوه فيه ثم أوقدوا عليه النار سبعة أيام ثم أطبقوا عليه ثم فتحوا عنه فاذا هو غير محترق يعرق عرقا فقال لهم هاران أبو لوط ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بير وأوقدوا تحته فطارت شرارة فوقعت في لحية أبي لوط فأحرقته فآمن له لوط كما يجيء في العنكبوت وهاجر الى أرض الشام فذلك قوله (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها) أي بالخصب وسعة الارزاق أو بالمنافع الدينية لان أكثر الانبياء بعثوا فيها وقيل ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت صخرة بيت المقدس يروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقيل الى الارض مكة (ووهبنا له) أي لابراهيم (اسحق ويعقوب نافلة) هي ولد الولد وهي حال من يعقوب فقط وقيل النافلة العطية الزائدة ومنه الصلاة النافلة ونوفل للرجل الكثير العطاء وعلى هذا احتمل أن يكون حالا من يعقوب فقط أي سأل اسحق فأعطيه وأعطي يعقوب زيادة وفضلا من غير سؤال واحتمل أن يكون حالا من كليهما أي وهبناهما له عطية منا والاول قول مجاهد وعطاء والثاني وهو أن النافلة العطية قول ابن

الى الله والى عبادته وقوله وأوحينا اليهم فعل الخيرات يقول تعالى ذكره وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك وكانوا لنا عابدين يقول كانوا لنا خاشعين لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره وآتينا لوطا حكما وهو فصل القضاء بين الخصوم وعلما يقول وآتيناه أيضا علما بأمر دينه وما يجب عليه لله من فرائضه وفي نصب لوط وجهان أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا وآتينا لوطا والآخر بمضمر بمعنى واذكر لوطا وقوله ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يقول ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث وهي قرية سدوم التي كان لوط بعث الى أهلها وكانت الخبائث التي كانوا يعملونها اتيان الذكران في أدبارهم وخذفهم الناس وتضارطهم في أنديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر فأخرجه الله حين أراد اهلاكهم الى الشام كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أخرجهم الله يعني لوطا وابنتيه زيتا وزعرثا الى الشام حين أراد اهلاك قومه وقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين مخالفين أمر الله خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره وأدخلنا لوطا في رحمتنا بانجائنا اياه مما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء وانقاذناه منه انه من الصالحين يقول ان لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا وينتهون الى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا وكان ابن زيد يقول في معنى قوله وأدخلناه في رحمتنا ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأدخلناه في رحمتنا قال في الاسلام ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد نوحا اذ نادى ربه من قبلك ومن قبل ابراهيم ولوط وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده وكذبوا نوحا فيما آتاهم به من الحق من عند ربه وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له دعاءه ونجيناه وأهله يعني بأهله أهل الايمان به من ولده وحلائلهم من الكرب العظيم يعني بالكرب العظيم العذاب الذي أحل بالمكذبين من الطوفان والغرق والكرب شدة الغم يقال منه قد كربني هذا الامر فهو يكربني كربا وقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فأنجيناه منهم فأغرقناهم أجمعين انهم كانوا قوم سوء يقول تعالى ذكره ان قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء يسيئون الاعمال فيعصون الله ويخالفون أمره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ يقول

عباس وأبي بن كعب وقتادة والفراء والزجاج (وكلا) من ابراهيم واسحق ويعقوب (جعلنا صالحين) قال الضحاك أي مرسلين وقال غيره عالمين عاملين وفي قوله جعلنا صالحين وكذا في قوله (وجعلناهم أئمة) دلالة الاشاعرة على أن الصلاح بجعل الله وكذا الامامة وغيرها من الافعال أجاب الجبائي بأنه أراد تسميتهم بذلك ومدحهم وأنه حكم به لهم كما يقال ان الحاكم عدل فلانا وجرحه اذا حكم بالعدالة والجرح وضعف بأنه خلاف الظاهر وقوله (يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس الى دين الله بأمرنا وارادتنا قال أهل السنة فيه أن الدعوة الى الحق والمنع من الباطل لا يجوز الا بأمر الله تعالى وقالت المعتزلة فيه أن من صلح لأن يقتدى به في الدين فالهداية واجبة عليه ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها ولا خلاف في أن الهادي اذا كان مهتديا بنفسه كان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء به أميل فلذلك قال (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي أن يفعلوها لان المراد هو ايحاء أن يحدثوا الخيرات من أنفسهم ونفس الفعل الخير لا يمكن ايحاؤه فرد الى فعل الخيرات تخفيفا فان المقصود معلوم ثم أضيف المصدر الى المفعول لافادة تخفيف آخر في اللفظ وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة أي أوحينا اليهم أن يقيموا ويؤتوا قال الزجاج حذف الهاء من اقامة لان المضاف اليه عوض منها وقال غيره الاقام والاقامة مصدران ولا ريب أن تخصيص هاتين الخصلتين بالذكر دليل على شرفهما والاولى أصل التعظيم لامر الله والثانية أصل الشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) فيه أنه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية فآتاهم النبوة والدرجات العالية فهم أيضا وفوا بعهد العبودية فلم يغفلوا عنها طرفة عين قوله (ولوطا) عن الزجاج أنه معطوف على أوحينا وعن أبي مسلم أنه معطوف على قوله ولقد آتينا ابراهيم والحكم الحكمة وقيل الفصل بين الخصوم وقيل النبوة والقرية سذوم والمراد أهلها وخبائثهم مشهورة قد عددت في الاعراف وفي هود و(قوم سوء) نقيض رجل صدق (وأدخلناه في رحمتنا) أي أهل رحمتنا أو في الجنة والثواب عن ابن عباس والضحاك وقال مقاتل هي النبوة أي أنه كان من الصالحين آتيناه النبوة كي يقوم بحقها وقال أهل التحقيق حين آتاه الحكم والعلم وتخلص من جلساء السوء فتحت عليه أبواب المكاشفات وتجلت له أنوار الذات والصفات وانما هي الرحمة في الحقيقة قوله (ونوحا) وكذا نظائره معطوف على قوله ولقد آتينا أو المراد واذكر

نوحا و (اذ نادى) بدل منه أى اذكر وقت ندائه (من قبل) هؤلاء المذكورين والنداء هو دعاؤه على قومه بنحو قوله رب انى مغلوب فانتصر وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بدليل قوله (فاستجبنا له فنجيناه وأهله) أى أهل دينه وهم من معه فى الفلك (من الكرب العظيم) وهو الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وايذائهم وفى لفظ الكرب وهو الغم الذى يأخذ النفس ثم وصفه بالعظم اشعار بأنه عليه السلام لقى من قومه أذى شديدا لا يكتنه كنهه ثم زاده (٣٨) بيانا بقوله (ونصرناه) الآية تقول نصرته منه فانتصر اذا جعلته منتصرا منه أى

منتقما (وداود وسليمن اذ يحكمان فى) شأن (الحرث اذ نفشت) ظرف ليحكمان وهو حكاية حال ماضية قال ابن السكيت النفش بالتحريك أن ينتشر الغنم بالليل من غير راع وعليه جمهور المفسرين وعن الحسن انه يكون ليلا ونهارا وليس فى قوله (وكنا لحكمهم) دلالة على أن أقل الجمع اثنان لاحتمال أنه أرادهما والمتحاكمين اليهما والضمير فى (ففهمناها) للحكومة أو الفتوى ويروى أنه دخل رجلان على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث أى زرع وقيل كرم والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت حرثى وأكلت منه شيأ فقال داود اذهب فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال لو كنت أنا القاضى لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك أبوه فدعاه وقال كيف كنت تقضى بينهما قال أدفع الغنم الى صاحب الحرث فتكون له منافعها من الدر والنسل والوبر حتى اذا عاد الحرث من العام القابل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه قال أبو بكر الاصم الحكمان واحد لان الثانى بيان للاول والمشهور عن الصحابة ومن بعدهم أنهما متغايران لقوله وكنا لحكمهم ولقوله ففهمناها والفاء للتعقيب فدل على أنه فهم حكما خلاف الاول وعلى تقدير الاختلاف فهما الله بالوحى أو بالاجتهاد فيه خلاف بين العلماء فمنهم من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء أصلا كالجبائى لقوله وما ينطق عن الهوى ان أتبع الا ما يوحى الى ولان النبى قادر على تحصيل حكم الواقعة بالنص ولان مقتضى الاجتهاد مظنون وخلاف المظنون لا يوجب الكفر وخلاف الرسول يوجب الكفر ولما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوقف فى بعض الاحكام انتظارا للوحى ولو جاز له الاجتهاد لم يتوقف ولانه لو جاز

تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر داود وسليمن يا محمد اذ يحكمان فى الحرث * واختلف أهل التأويل فى ذلك الحرث ما كان فقال بعضهم كان نبتا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن مرة فى قوله اذ يحكمان فى الحرث قال كان الحرث نبتا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن غنم القوم وقعت فى زرع ليلا * وقال آخرون بل كان ذلك الحرث كرما ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربى عن أشعث عن أبى اسحق عن مرة عن ابن مسعود فى قوله وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث قال كرم قد أنبتت عناقيده **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبى اسحق عن مسروق عن شريح قال كان الحرث كرما * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى اذ يحكمان فى الحرث والحرث انما هو حرث الارض وجائز أن يكون ذلك كان زرعا وجائز أن يكون غرسا وغير ضائر الجهل بأى ذلك كان وقوله اذ نفشت فيه غنم القوم يقول حين دخلت فى هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو أفسدته وكنا لحكمهم شاهدين يقول وكنا لحكم داود وسليمن والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث شاهدين لا يخفى علينا منه شئ ولا يغيب عنا علمه وقوله ففهمناها يقول ففهمنا القضية فى ذلك سليمن دون داود وكلا آتينا حكما وعلما يقول وكلهم من داود وسليمن والرسل الذين ذكرهم فى أول هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة وعلما يعنى وعلما بأحكام الله وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وهرون بن ادريس الاصم قالا ثنا المحاربى عن أشعث عن أبى اسحق عن مرة عن ابن مسعود فى قوله وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كرم قد أنبتت عناقيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمن غير هذا يا نبى الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها فذلك قوله ففهمناها سليمن **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين يقول كنا لما حكما شاهدين وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا أرسل غنمه فى حرثى فلم يبق من حرثى شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم كلها لك فقضى بذلك داود ومر صاحب الغنم بسليمن فأخبره بالذى قضى به داود فدخل سليمن على داود فقال يا نبى الله ان القضاء سوى الذى قضيت فقال كيف قال سليمن ان الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه فى كل عام فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفى ثمن الحرث فان الغنم لها نسل فى كل عام فقال داود قد أصبت القضاء كما قضيت ففهمها

على النبي لجاز على جبرائيل أيضا وحينئذ يرتفع الأمان عن الوحي فلعل هذه الشرائع من مجتهدات جبرائيل وأجيب بأنه اذا أوحى اليه جواز الاجتهاد له صح قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وبأن الحكم الحاصل عن الاجتهاد مقطوع لا مظنون لأنه تعالى اذا قال له مهما غلب على ظنك كون الحكم في الأصل معللا بكذا ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة أخرى فاحكم بذلك فهذا الحكم مقطوع به والظن واقع في طريقه سلمنا جواز المخالفة لكنه مشروط بصدوره عن غير معصوم ولهذا لو اجتمعت الأمة على مسئلة اجتهادية امتنع خلافهم وكان الرسول أوكد وبأن التوقف لعله وجد منه حين لم يظهر له وجه الاجتهاد وبأن الأمة أجمعوا على عدم جواز اجتهاد جبرائيل ومما يدل على جواز الاجتهاد انا أنه اذا غلب على ظن المجتهد أحد الطرفين فان عمل بهما كان جمعا بين النقيضين وان أهملهما لزم ارتفاع النقيضين وان عمل بالمرجوح دون الراجح فذلك باطل بالاتفاق فلم يبق الا العمل بالراجح قال الجبائي ولئن سلمنا أن الاجتهاد على الأنبياء جائز لكن هذه المسئلة غير اجتهادية لان الذي أتلفه صاحب الماشية مجهول المقدار فكيف يجعل الغنم في مقابلة ذلك وأيضا ان اجتهاد داود ان كان صوابا فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطأ فكيف لم يذكر الله توبته بل مدحه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما وأيضا الوحي كم بالاجتهاد لم يسم ذلك علما وأيضا قوله ففهمناها يدل على أنه من الله لا من سليمن وأجيب بأن الجهالة بعد تسليمها قد تكون معفوا عنها كما في حكم المصراة ولعل الخطأ في اجتهاده كان من الصغائر فلهذا أهمل ذكره والاجتهاد من باب العلوم والظن في الطريق كما مر والذي يحصل في نظر المجتهد مستند الى الله أما الذين منعوا من الاجتهاد مطلقا أو في هذه المسئلة فذهبوا الى أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمن ولا استبعاد في أن يوحى الناسخ الى غير من أوحى اليه المنسوخ قال الفقهاء مثال حكومة داود في شرعنا قول أبي حنيفة في العبد اذا جنى على النفس خطأ يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ومثال حكومة سليمن قول الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده فانه يضمن القيمة فينتفع به المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد يردو يقال له ضمان الحيلولة هذا ولو وقعت هذه القضية في شرعنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه

الله سليمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن علي ابن زيد قال ثني خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاة معهم الكلاب فقال سليمن كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهم قال أدفع الغنم الى أصحاب الحرث فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذ أصحاب الحرث الحرث وردوا الغنم الى أصحابها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذ نفشت فيه غنم القوم قال أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث وحكم سليمن بجزة الغنم وألبانها لاهل الحرث وعليهم رعايتها على أهل الحرث ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل ثم يدفعونه الى أهله ويأخذون غنمهم حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثني ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج بنحوه الا أنه قال وعليهم رعيها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن مرة في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان الحرث نبتا فنفشت فيه ليلا فاختصموا فيه الى داود فقضى بالغنم لأصحاب الحرث فمروا على سليمن فذكروا ذلك له فقال لا تدفع الغنم فيصيبون منها يعني أصحاب الحرث ويقوم هؤلاء على حرثهم فاذا كان كما كان ردوا عليهم فنزلت ففهمناها سليمن حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن مسروق عن شريح في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا وكان الحرث كرما قال فجعل داود الغنم لصاحب الكرم قال فقال سليمن ان صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه فاجعل له أصوافها وألبانها قال فهو قول الله ففهمناها سليمن حدثنا ابن أبي زياد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل عن عامر قال جاء رجلان الى شريح فقال أحدهما ان شياه هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهارا أم ليلا قال ان كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن عامر عن شريح بنحوه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن شريح مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث الآية النفش بالليل والهمل بالنهار ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا فرفع ذلك الى داود فقضى بالغنم لاصحاب الزرع فقال سليمن ليس كذلك ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزازها حتى اذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم الى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه فقال الله ففهمناها سليمن حدثنا ابن

لا بالليل ولا بالنهار لان جرح العجماء جبار الا أن يكون معها راع والشافعي يوجب الضمان بالليل دون النهار لأن الليل وقت الهدء وجمع الماشية فتسريحها تقصير من صاحبها بخلاف النهار وعن البراء بن عازب أنه كانت له ناقة ضارية فدخلت حائطا فأفسدته فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها وأن حفظ الماشية بالليل على أهلها لان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل قال بعض الأصوليين كل مجتهد مصيب لقوله وكلا آتينا حكما وعلما (٤٠) وقال بعضهم المصيب واحد لقوله ففهمناها سليمن ولو كان كلاهما مصيبا لم يكن لتخصيص سليمن بالفهم فائدة وضعف بعضهم كلا الاستدلالين بعد تسليمهما بأن ماثبت في شرعهم لا يلزم أن يكون ثابتا في شرعنا ولما مدح داود على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص بكل منهما فبدأ بداود قائلا (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) أي حال كونهن مسبحات أو هو استئناف كأنه قيل كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) وهو معطوف على الجبال أو مفعول معه وتسبيح الجبال اما حقيقة أو مجاز وعلى الأول قال مقاتل كان اذا سبح داود سبح الجبال والطير معه وقال الكلبي اذا سبح داود أجابته الجبال وقال سليمن بن حيان كان داود اذا وجد فترة أمر الله تعالى الجبال فسبحت فيزداد نشاطا واشتياقا وعلى الثاني قيل كانت الجبال تسير معه حيث سار فكل من رآها كان يسبح الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وهذا القول اختيار كثير من أصحاب المعانى والمعتزلة لان الجماد غير قابل للحياة والفهم عندهم ولان المتكلم هو الذى يفعل الكلام لا الذى يكون محلا للكلام ولهذا يقال ان المتكلم هو الله حين كلم موسى لا الشجرة وانما قدم تسبيح الجبال على الطير لأن ذلك أدل على القدرة وأدخل في الاعجاز فان الطير أقرب الى الحيوان الناطق من الجماد ولا يلزم من نطق الطير قال أو الجبل أن يكونا مكلفين فليس كل ناطق مكلفا كالأطفال والمجانين (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل أمثال هذه الخوارق على أيدى الأنبياء لأجلهم وان كانت عجيبة عندكم واللبوس اللباس يقال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع عن قتادة أنها كانت صفائح فسردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين وتوارث الناس منه وعمت النعمة بها لكل المحاربين فلذلك قال (فهل أنتم شاكرون) قال علماء المعانى

عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهرى اذ نفشت فيه غنم القوم قال نفشت غنم فى حرث قوم قال الزهرى والنفش لا يكون الا ليلا فقضى داود أن يأخذ الغنم ففهمها الله سليمن قال فلما أخبر بقضاء داود قال لا ولكن خذوا الغنم ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها الى الحول حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال فى حرث قوم قال معمر قال الزهرى النفش لا يكون الا بالليل والهمل بالنهار قال قتادة فقضى ان يأخذوا الغنم ففهمها الله سليمن ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث ابن عبد الأعلى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الآيتين قال انفلتت غنم رجل على حرث رجل فأكلته فجاء الى داود فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت وكأنه رأى أنه وجه ذلك فمروا بسليمن فقال ما قضى بينكم نبى الله فأخبروه فقال ألا أقضى بينكما عسى أن ترضيا به فقالا نعم فقال أما أنت يا صاحب الحرث فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب واحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل حتى اذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك فأعطه حرثه وخذ غنمك فذلك قول الله تبارك وتعالى وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وقرأ حتى بلغ قوله وكلا آتينا حكما وعلما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال رعت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال النفش الرعية تحت الليل * قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن حرام بن محيصة بن مسعود قال دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الانصار فأفسدته فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذ نفشت فيه غنم القوم فقضى على البراء بما أفسدت الناقة وقال على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم بالنهار قال الزهرى وكان قضاء داود وسليمن فى ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرعا لرجل فأفسدته ولا يكون النفوش الا بالليل فارتفعا الى داود فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع فانصرفا فمرا بسليمن فقال بماذا قضى بينكما نبى الله فقالا قضى بالغنم لصاحب الزرع فقال ان الحكم لعلى غير هذا انصرفا معى فأتى أباه داود فقال يا نبى الله قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع قال نعم قال يا نبى الله ان الحكم لعلى غير هذا قال وكيف يا بنى قال تدفع الغنم الى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها وتدفع الزرع الى صاحب الغنم يقوم عليه فاذا عاد الزرع الى حاله التى أصابته الغنم عليها ردت الغنم على صاحب الغنم ورد الزرع الى صاحب الزرع فقال داود لا يقطع الله فمك فقضى بما قضى سليمن قال الزهرى فذلك قوله وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث الى قوله حكما وعلما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى بن مجاهد عن محمد بن اسحق

هذا التركيب أدخل في الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل أنتم تشكرون اذ المختار فيه أن يقدر مفسر محذوف أي هل تشكرون تشكرون ومن قولنا أفأنتم شاكرون لانه وان كان ينبئ عن عدم التجدد لمكان الجملة الاسمية الا أنه دون المذكور في القرآن فان هل أدعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون أدخل في الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد لان تخلف المعلول عن العلة القوية يدل على وجود مانع أقوى منه اذا تخلف عن العلة الضعيفة ثم حكى ما أنعم به على سليمن فقال (ولسليمن) أي (٤١) وسخرنا له (الريح) حال كونها عاصفة ولا ينافي هذا قوله في ص فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب لان المراد أنها مع كونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم كانت في عملها عاصفة تحمل كرسيه من اصطخر الى الشام أو أنها كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا الهبوب بها على حسب ارادته وأمره وفي قوله (وكنا بكل شيء عالمين) اشارة الى أنه فعل كل ما فعل بالانبياء المذكورين عن حكمة بالغة وتدبير محكم واحاطة بأحوالهم وعلم باستئهالهم قوله (ومن الشياطين) أي سخرنا من الشياطين (من يغوصون له) ويجوز أن يكون الكلام خبرا ومبتدأ ومن موصولة أو موصوفة كانوا يغوصون لأجله في البحار فيستخرجون الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي متجاوزا لما ذكر من بناء المدائن والقصور وسائر الصنائع العجيبة قالت العلماء الظاهر أن التسخير لكفارهم دون المؤمنين منهم لاطلاق الشياطين ولقوله وكنا لهم حافظين أي من أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد في الجملة اذ كان من دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار والحفظ اما بسبب الملائكة أو مؤمني الجن الموكلين بهم أو بأن حبب اليهم طاعته وخوفهم مخالفته قال ابن عباس في تفسيره يريد أن سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء قال الجبائي كيف تهيأ منهم هذه الاعمال وأجسامهم رقيقة وانما تمكنهم الوسوسة فقط فلعل به تعالى كثف أجسامهم خاصة وقواهم على تلك الاعمال الشاقة وزاد في عظمهم معجزة لسليمن فلما مات سليمن ردهم الى الخلقة الاولى اذ لو أبقاهم على الخلقة الثانية لكان شبهة على الناس فلعل بعض الناس يدعي النبوة يجعله دلالة عليها واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه بأنك لم قلت ان الجن أجسام فلعلهم من الموجودات

قال فحدثني من سمع الحسن يقول كان الحكم بما قضى به سليمن ولم يعنف الله داود في حكمه وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير يقول تعالى ذكره وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه اذا سبح وكان قتادة يقول في معنى قوله يسبحن في هذا الموضع ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير أي يصلين مع داود اذا صلى وقوله وكنا فاعلين يقول وكنا قد قضينا أنا فاعلوا ذلك ومسخروا الجبال والطير في أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ يقول تعالى ذكره وعلمنا داود صنعة لبوس لكم واللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا يدل على ذلك قول الهذلي

ومعي لبوس للبئيس كأنه * روق بجبهة ذي نعاج مجفل

وانما يصف بذلك رمحا وأما في هذا الموضع فان أهل التأويل قالوا عنى الدروع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية قال كانت قبل داود صفائح قال وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وعلمناه صنعة لبوس لكم قال كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام * واختلفت القراء في قراءة قوله لتحصنكم فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار ليحصنكم بالياء بمعنى ليحصنكم اللبوس من بأسكم ذكروه لتذكير اللبوس وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع لتحصنكم بالتاء بمعنى لتحصنكم الصنعة فأنث لتأنيث الصنعة وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النجود لنحصنكم بالنون بمعنى لنحصنكم نحن من بأسكم * قال أبو جعفر وأولى القراآت في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالياء لانها القراءة التي عليها الحجة من قراء الامصار وان كانت القراآت الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني وذلك أن الصنعة هي اللبوس واللبوس هي الصنعة والله هو المحصن به من البأس وهو المحصن بتصيير الله اياه كذلك ومعنى قوله ليحصنكم ليحرزكم وهو من قوله قد أحصن فلان جاريته وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل والبأس القتال وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم اذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل وقوله فهل أنتم شاكرون يقول فهل أنتم أيها الناس شاكروا الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم يقول فاشكروني على ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولسليمن الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمن بن داود الريح عاصفة وعصوفها شدة هبوبها تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها يقول تجري الريح بأمر سليمن الى الارض التي باركنا فيها يعني الى الشام وذلك أنها كانت تجري بسليمن وأصحابه الى حيث شاء سليمن ثم تعود به الى منزله بالشام فلذلك

التي ليست متحيزة ولا حالة في المتحيز ولا يلزم منه الاشتراك مع الباري فان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فضلا عن اللوازم السلبية سلمنا أن الجن أجسام لكن لم قلت ان البنية شرط للقدرة وليس في يدكم الا الاستقراء الضعيف سلمنا أنه لا بد من تكثيف أجسامهم فمن أين يلزم ردهم الى الخلقة الاولى فان قال لئلا يفضي الى التلبيس قلنا اذا ثبت أن ذلك كان معجزة لنبي قبله لم يتمكن المتنبي من الاستدلال ومن عجيب قدرة الله سبحانه أن أصلب الاجسام في هذا العالم الحجارة والحديد وقد سخرهما الله تعالى لداود فأنطق الحجر وألين الحديد وفي ذلك دلالة باهرة على أنه تعالى قادر على احياء العظام الرميمة ومن الغرائب أن الشياطين مخلوقة من النار وكان يأمرهم بالغوص في الماء وفيه اظهار الضد بالضد فتبارك الله رب العالمين * ومن عجائب القصص والاخبار حكاية أيوب عليه السلام وصبره على بلائه حتى صار مثلا عن وهب بن منبه أنه كان من الروم من ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط اصطفاه الله وجعله نبيا ومع ذلك بسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف المواشي وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل وكان ابليس لا يحجب عن السموات حين أخرجه الله من الجنة حتى رفع عيسى عليه السلام فحجب عن أربع حتى اذا ولد نبينا صلى الله عليه وسلم حجب عن جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس تجاور الملائكة في شأن أيوب فأدركه الحسد فقال يارب انك أنعمت على عبدك أيوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلاء وأنا زعيم ان ضربته بالبلاء ليكفرن بك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال أيوب فقال عفريت أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من النار فأحرقت كل شيء فقال ابليس فأت الابل ورعاتها فذهب ولم يشعر الناس حتى ظهر من تحت الارض اعصار لا يدنو منها شيء الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فذهب ابليس على شكل أولئك الرعاة الى أيوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا أيوب هل تدري ما الذي صنع ربك وأخبره بحال الابل ورعاتها فقال أيوب انها ماله اذا شاء نزعه فقال ابليس ان الناس منهم من يقول ما كان أيوب يعبد

قيل الى الارض التي باركنا فيها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمن اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس الى سريره وكان امرأ غزاء قلما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت أمر الرخاء فدته شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد يقول الله عز وجل فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال فذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمن اما من الجن واما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راحلون منه ان شاء الله فبائتون الشام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولسليمن الريح عاصفة الى قوله وكنا لهم حافظين قال ورث الله سليمن داود فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولسليمن الريح عاصفة تجري بأمره قال عاصفة شديدة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها قال الشام واختلفت القراء في قراءة قوله ولسليمن الريح فقرأته عامة قراء الامصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه وقرأ ذلك عبد الرحمن الاعرج الريح رفعا باللام في سليمن على ابتداء الخبر عن أن لسليمن الريح قال أبو جعفر والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله وكنا بكل شيء عالمين يقول وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمن من تسخيرنا له واعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء القول في تأويل قوله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين) يقول تعالى ذكره وسخرنا أيضا لسليمن من الشياطين من يغوصون له في البحر ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب وكنا لهم حافظين يقول وكنا لاعمالهم ولاعدادهم حافظين لا يؤدنا حفظ ذلك كله القول في تأويل قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيوب يا محمد اذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له يقول تعالى ذكره فاستجبنا لايوب دعاءه اذ نادانا فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانا من الله له واختبارا وكان سبب ذلك كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم بن (١) هشام قال ثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول

(١) لعله ابن معقل أبو هشام كما يعلم من الخلاصة فتدبر كتبه مصححه

كان

شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الهه يقدر على شيء لمنع من وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به
أعداءه ويفجع به أصدقاءه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني خرجت من بطن أمي عريانا وأضجع في التراب عريانا وأحشر الى
الله عريانا ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا وأوجر فيك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا فقال
عفريت آخر عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت روحه فقال ابليس فأت الغنم ورعاءها فانطلق
فصاح بها فماتت ومات رعاؤها
فخرج ابليس متمثلا بقهرمان
الرعاة الى أيوب فقال له القول الاول
ورد عليه أيوب الرد الاول فرجع
ابليس صاغرا فقال له عفريت آخر
عندي من القوة اذا شئت تحولت
ريحا عاصفة أقلع كل شيء أتيت
عليه قال فاذهب الى الحرث والثيران
فأتاهم فأهلكهم وأخبر ابليس به
أيوب فرد عليه مثل الرد الاول فجعل
ابليس يصيب أمواله شيأ فشيأ حتى
أتى على جميعها فلما رأى ابليس
صبره على ذلك صعد الى السماء وقال
يا الهي هل أنت مسلطي على ولده
فانها الفتنة الكاملة فقال الله
انطلق فقد سلطتك فأتى أولاد أيوب
في قصرهم فقلب القصر عليهم ثم جاء
الى أيوب متمثلا بالمعلم وهو جريح
مشدوخ الرأس يسيل دمه ودماغه
فقال لو رأيت بنيك كيف انقلبوا
منكوسين على رؤسهم تسيل جميع
أدمغتهم من أنوفهم لتقطع قلبك فلم
يزل يقول هذا ويرققه حتى رق أيوب
وبكى وقبض قبضة من التراب فحثاها
على رأسه فاغتنم ذلك ابليس ثم لم
يلبث أيوب حتى استغفر واسترجع
فصعد ابليس ووقف موقفه وقال
الهي انما هون أيوب خطب المال
والولد لعلمه أنك تعيد له المال والولد
فهل أنت مسلطي على جسده واني
لك زعيم لو ابتليته في جسده ليكفرن بك فقال تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه ولسانه فأتاه فنفخ
في منخره حين هو ساجد واشتعل منه جسده وخرج من فرقه الى قدمه ثآليل وقد وقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك بأظفاره حتى كشطت
أظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على
كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم غير امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف عليه السلام فكانت تصلح أموره ثم ان وهبا طول في

كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه أنه كان صابرا نعم العبد قال وهب ان لجبريل بين يدي
الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة من الله والفضيلة عنده وان جبريل هو الذي يتلقى
الكلام فاذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه ثم تلقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين
من حول العرش وشاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات
فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب
بشيء من السموات وكان يقف فيهن حيث شاء ما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من
الجنة فلم يزل على ذلك يصعد في السموات حتى رفع الله عيسى بن مريم فحجب من أربع وكان يصعد
في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية فهو محجوب هو وجميع
جنوده من جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب ولذلك أنكرت
الجن ما كانت تعرف حين قالت وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا الى قوله شهابا رصدا
قال وهب فلم يرع ابليس الا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فلما سمع
ابليس صلاة الملائكة أدركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه فقال
يا الهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه
بشدة ولم تجربه ببلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك وليعبدن غيرك
قال الله تبارك وتعالى له انطلق فقد سلطتك على ماله فانه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني
ليس لك سلطان على جسده ولا على عقله فانقض عدو الله حتى وقع الأرض ثم جمع عفاريت
الشياطين وعظماءهم وكان لأيوب البثنية من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها وكان له بها ألف
شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وحمل آلة كل فدان
أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك فلما جمع ابليس الشياطين قال لهم ماذا
عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر
عليها الرجال قال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار
فأحرقت كل شيء آتي عليه فقال له ابليس فأت الابل ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت
رؤسها وثبتت في مراعيها فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار تنفخ منها أرواح
السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل
ابليس على قعود منها براعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال يا أيوب قال لبيك قال
هل تدري ما الذي صنع بك الذي اخترت وعبدت ووحدت بابلك ورعاتها قال أيوب انها ماله أعارنيه
وهو أولى به اذا شاء نزعه وقديما ما وطنت نفسي ومالي على الفناء قال ابليس وان ربك أرسل عليها
نارا من السماء فاحترقت ورعاتها حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها فتركت الناس مبهوتين وهم

الحكاية الى أن قال ان أيوب عليه السلام أقبل على الله تعالى مستغيثا متضرعا اليه قائلا يارب لاى شئ خلقتني ياليتني كنت حيضة ألقتني أمي ياليتني كنت عرفت الذي أذنبته والعمل الذي عملت حتى صرفت وجهك الكريم عني ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبد ذليل فان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وسلطت علي ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله الهي تقطعت أصابعي وسقطت لهواتي وتناثر شعري وذهب المال وصرت أسأل اللقمة فيطعمني من يمن بها علي ويعيرني بفقري وهلاك أولادي قال الامام أبو القاسم الانصاري في جملة هذا الكلام ليتك لو كرهتني لم تخلقني ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لاغتنمه ابليس فان قصده أن يحمله على الشكوى وأن يخرجه من زمرة الصابرين قلت ان غرض ابليس لا يحصل بمجرد الشكوى وانما كان غرضه أن يرتد أيوب عليه السلام ولهذا قال سفيان بن عيينة من شكا الى الله تعالى فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان في شكواه راضيا بقضاء الله تعالى اذ ليس من شرط الصبر استحلاء البلاء ألم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله * ومما حكاه الله سبحانه من شكوى أيوب قوله (اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) الضر بالفتح الضرر في كل شئ وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال قال جار الله ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه وذكر ربه بما يجب أن يصدر دعاء الرحمة عنه ولم يصرح بالمطلوب وحسن الطلب باب من أبواب الادب يحكى أن عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصا فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود ولأملأن بيتها حبا وفي قوله وأنت أرحم الراحمين رمز الى أنه جواد مطلق لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه ولا يطلب شيأ ولا يجلب مدحا وكل رحيم سواه فانما رحمته لغرض من الاغراض أو لرقة طبع ونحو ذلك على أن تلك الرحمة أيضا تتوقف على داعية يخلقها الله فيه والآفات والآلام التي نراها في هذا العالم كلها مستندة الى صفة قهره التي لا بد لكل ملك منه أو مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية في الوجود لاشتمالها على خيرات أكثر من الشرور واختلف العلماء في السبب الذي لاجله دعا الله أيوب فعن أنس

وقوف عليها يتعجبون منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع من ذلك شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو فعل الذي فعل ليشمت به عدوه وليفجع به صديقه قال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر الى الله ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح فأجرني فيك وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأخرك من أجله فعراك الله من المصيبة وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخلاص ثم رجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه قال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا وسطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ورعاؤها ثم خرج ابليس متمثلا بقهرمان الرعاء حتى اذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي فقال له القول الأول ورد عليه أيوب الرد الأول ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تأتي عليه حتى لا أبقي شيأ قال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين قربوا الفدادين وأنشؤا في الحرث والاتن وأولادها رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم خرج ابليس متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل رده الاول فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه صعد سريعا حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه فقال يا الهي ان أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح الجدر بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى اذا مثل بهم كل مثلة رفع بهم القصر حتى اذا أقله بهم فصاروا فيه منكسين انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه متغيرا لا يكاد يعرف من شدة التغير والمثلة التي جاء متمثلا فيها فلما نظر اليه أيوب هاله وحزن ودمعت عيناه وقال له يا أيوب لو رأيت كيف أفلت من حيث أفلت والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا ولو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف مثل بهم وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رؤسهم تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم وتقطر من أشفارهم ولو رأيت كيف عفنت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم ولو رأيت كيف قذفوا بالخشب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أيوب عليه السلام بقي في البلاء ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فدخلا عليه ذات يوم فوجدا ريحا فقالا لو كان لأيوب عند الله خير ما بلغ الى هذه الحالة قال فما شق على أيوب شئ مما ابتلي به مثل ما سمع منهما فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت شبعان وأنا أعلم بمكان جائع فصدق وهما يسمعان ثم خر أيوب ساجدا وقال اللهم اني لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي فكشف الله ما به * وقال الحسن مكث أيوب بعدما ألقي على الكناسة سبع سنين وأشهرا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته صبرت معه وكانت تأتيه بالطعام وكان أيوب مواظبا على حمد الله والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزعا من صبر أيوب فاجتمع جنوده من أقطار الارض وقالوا له ما خبرك قال أعياني هذا العبد الذي سألت الله أن يسلطني عليه وعلى ماله وولده فانه لا يزيد بالبلاء الا صبرا وحمدا لله تعالى فقالوا له أين مكرك أين عملك الذي أهلكت به من مضى من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها لانه لا يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق حتى اذا أتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت هو هذا يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فطمع ابليس أنها جزعت فطمع فيها ووسوس اليها وذكرها ما كان بها من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لتذبح هذه باسم أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال وأين الماشية أين الولد أين الصديق أين اللون أين الحسن أين جسمك الذي قد بلي وقد صار مثل الرماد وتتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال أيوب أتاك عدو الله ونفخ فيك ويلك من أعطانا الذي تذكرين من المال والولد والصحة قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتني أن نذبح لغير الله وحرام علي أن أذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذي تأتيني به فطردها فلما نظر أيوب في شأنه وليس عنده لا طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا

بالخشب والجندل يشدخ دماغهم وكيف دق الخشب عظامهم وخرق جلودهم وقطع عصبهم ولو رأيت العصب عريانا ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف ولو رأيت الوجوه مشدوخة ولو رأيت الجدر تتلطخ عليهم ولو رأيت ما رأيت قطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه ولم يزل يرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس عند ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه فبدروا ابليس الى الله فوجدوه قد علم بالذي رفع اليه من توبة أيوب فوقف ابليس خازيا ذليلا فقال يا الهي انما هون على أيوب خطر المال والولد أنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدنك نعمتك قال الله انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل الارض في موضع وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فترهل ونبتت ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حك بالعظام وحك بالحجارة الخشنة وبقطع المسوح الخشنة فلم يزل يحكه حتى نفد لحمه وتقطع ولما نغل جلد أيوب وتغير وأنتن أخرجه أهل القرية فجعلوه على تل وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله غير امرأته فكانت تختلف اليه بما يصلحه ويلزمه وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه يقال لأحدهم يلدد واليفز وصافر قال فانطلق اليه الثلاثة وهو في بلائه فبكتوه فلما سمع منهم أقبل على ربه فقال أيوب صلى الله عليه وسلم رب لأي شئ خلقتني لو كنت اذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني ياليتني كنت حيضة ألقتني أمي وياليتني مت في بطنها فلم أعرف شيأ ولم تعرفني ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي فأسوة لي بالسلاطين الذين صفت من دونهم الجيوش يضربون عنهم بالسيوف بخلا بهم عن الموت وحرصا على بقائهم أصبحوا في القبور جاثمين حتى ظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز وطمروا المطامير وجمعوا الجموع وظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون وعاشوا فيها المئين من السنين ثم أصبحت خرابا مأوى للوحوش ومثنى للشياطين قال اليفز اليماني قد أعيانا أمرك يا أيوب ان كلمناك فما نرى للحديث منك موضعا وان نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء فذلك علينا قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا فانما يحصد امرؤ ما زرع ويجزى بما عمل أشهد على الله الذي لا يقدر قدر عظمته ولا يحصى عدد نعمه الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت ويرفع به الخافض ويقوي به الضعيف الذي تضل حكمة

وقال انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقال ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة الا سقطت ثم ضرب برجله مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن مما كان حتى ذكر أن الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب أنه طردنى أفأتركه حتى يموت وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت ما رأته فى تلك الكناسة ولا تلك الحالة فجعلت تطوف وتبكى فدعاها أيوب وقال ما تريدين يا أمة الله فقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة فقال تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد يراه فتبسم قائلا أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك أمرتنى أن أذبح لابليس وانى أطعت الله وعصيت الشيطان فدعا فانى الله ببركة ذلك

* الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقى فى البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات فلما غلب أيوب ابليس ذهب ابليس الى امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس كمراكب الناس وقال لها أنت صاحبة أيوب قالت نعم قال فهل تعرفينى قالت لا قال أنا اله الارض أنا صنعت بأيوب ما صنعت وذلك أنه عبد اله السماء وتركنى فأغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندى قال وهب وسمعت أنه قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله تعالى لعوفى مما فيه من البلاء وأيضا قال لها لو شئت فاسجدى لى سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافى زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته فقال أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم لئن عافانى الله لأجلدنك مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر يعنى من طمع ابليس فى سجودى وسجود زوجتى له * الرواية الرابعة قال اسمعيل السدى ان ابليس تمثل للقوم فى صورة بشر وقال لئن تركتم أيوب فى قريتكم أعدى اليكم ما به من العلة فأخرجوه الى باب البلد ثم قال لهم ان امرأته تدخل عليكم وتعمل وتمس زوجها أما تخافون أن تعدى اليكم علته فحينئذ لم يستعملها أحد فتحيرت وكان لها ثلاث ذوائب فعمدت الى احداها وقطعتها وباعتها

الحكماء عند حكمته وعلم العلماء عند علمه حتى تراهم من العى فى ظلمة يموجون أن من رجا معونة الله هو القوى وأن من توكل عليه هو المكفى هو الذى يكسر ويجبر ويجرح ويداوى قال أيوب لذلك سكت فعضضت على لسانى ووضعت لسوء الخدمة رأسى لانى علمت أن عقوبته غيرت نور وجهى وأن قوته نزعت قوة جسدى فأنا عبده ماقضى على أصابنى ولا قوة لى الا ما حمل على لو كانت عظامى من حديد وجسدى من نحاس وقلبى من حجارة لم أطق هذا الأمر ولكن هو ابتلانى وهو يحمله عنى أتيتمونى غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم من قبل أن تضربوا كيف بى لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله أن يخلصنى أو قربوا عنى قربانا لعل الله أن يتقبله منى ويرضى عنى اذا استيقظت تمنيت النوم رجاء أن أستريح فاذا نمت كادت تجود نفسى تقطعت أصابعى فانى لأرفع اللقمة من الطعام بيدى جميعا فما تبلغان فى الاعلى الجهد منى تساقطت لهواتى ونخر رأسى فما بين أذنى من سداد حتى ان احداهما لترى من الاخرى وان دماغى ليسيل من فى تساقط شعرى عنى فكأنما حرق بالنار وجهى وحدقتاى هما متدليتان على خدى وورم لسانى حتى يتكفى فما أدخل فيه طعاما الا غصنى ودمت شفتاى حتى غطت العليا أنفى والسفلى ذقنى تقطعت أمعائى فى بطنى فانى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعنى ذهبت قوة رجلى فكأنهما قربتا ماء ملئتا لا أطيق حملهما أحمل لحافى بيدى وأسنانى فما أطيق حمله حتى يحمله معى غيرى ذهب المال فصرت أسأل بكفى فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها على ويعيرنى هلك بنى وبناتى ولو بقى منهم أحد أعاننى على بلائى ونفعنى وليس العذاب بعذاب الدنيا انه يزول عن أهلها ويموتون عنه ولكن طوبى لمن كانت له راحة فى الدار التى لا يموت أهلها ولا يتحولون عن منازلهم السعيد من سعد هنالك والشقى من شقى فيها قال يلدد كيف يقوم لسانك بهذا القول وكيف تفصح به أتقول ان العدل يجور أم تقول ان القوى يضعف ابك على خطيئتك وتضرع الى ربك عسى أن يرحمك ويتجاوز عن ذنبك وعسى ان كنت بريا أن يجعل هذا لك ذخرا فى آخرتك وان كان قلبك قد قسا فان قولنا لن ينفعك ولن يأخذ فيك هيهات أن تنبت الآجام فى المفاوز وهيهات أن ينبت البردى فى الفلاة من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه ومن جحد الحق كيف يرجو أن يوفى حقه قال أيوب انى لأعلم أن هذا هو الحق لن يفلج العبد على ربه ولا يطيق أن يخاصمه فأى كلام لى معه وان كان الى القوة هو الذى سمك السماء فأقامها وحده وهو الذى يكشطها اذا شاء فتنطوى له وهو الذى سطح الارض فدحاها وحده ونصب فيها الجبال الراسيات ثم هو الذى يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها وان كان فى الكلام فأى كلام لى معه من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة فحشاه السموات والارض وما فيهما من الخلق فوسعه وهو فى سعة واسعة وهو الذى كلم البحار ففهمت قوله وأمرها فلم تعد أمره وهو الذى يفقه الحيتان والطير وكل دابة وهو الذى يكلم الموتى

فيحييهم

فأعطوها بذلك خبزا ولحما فقال أيوب من أين هـذا قالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيأ فباعت الثانية وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا آكل أو تخبريني فأخبرته فبلغ ذلك من أيوب ما الله به عليم فقال رب اني مسني الضر * والرواية الخامسة قيل سقطت دودة من فخذه فرفعها وردها الى موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك فعضته عضة شديدة فقال مسني الضر فأوحى الله اليه لولا أني جعلت في كل شعرة منك صبرا لما صبرت واعلم أن مس الضر ههنا مطلق

الا أنه ورد في ص مقيدا وذلك قوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب فصح أن يكون سند الهذه الروايات الا أن الجبائي طعن فيها بأن الشيطان كيف يقدر على احداث الامراض والاسقام والقادر على ذلك قادر على خلق الاجسام وحينئذ يكون الها وأيضا ان هذه التأثيرات تنافي قوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم والجواب أنه كان باذن من الله كما حكينا فلا محذور ولا تنافي وقال ومن البعيد أنه لم يسأل الله الا عند أمور مخصوصة والجواب أن الامور مرهونة بأوقاتها وقال انتهاء أمراض الانبياء الى حد التنفير من القبول غير جائز والجواب المنع ولاسيما بشرط العافية في العاقبة قوله سبحانه (فكشفنا ما به من ضر) مجمل يقتضي اعادته الى ما كان في بدنه وأحواله وقوله (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) تفصيل لذلك المجمل وفيه قولان الاول قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والكلبي ان الله تعالى أحيا له أهله يعني أولاده بأعيانهم والثاني قال الليث أرسل مجاهد الى عكرمة وسئل عن الآية فقال أراد أهلك لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقد روي أن زوجته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا له ثم بين الحكمة في ذلك الابتلاء ثم الاستجابة بقوله (رحمة من عندنا) لايوب (وذكرى) لغيره من العابدين للرحمن أو الرحمة الذكرى كلاهما (للعابدين) لكي يتفكروا فيه فيروا كما صبر حتى يثابوا في الدارين كما أثيب وانما خص الرحمة والتذكرة بالعابدين لانهم هم المنتفعون بذلك لا الذين يعبدون الهوى والشيطان قال أهل البرهان انما قال في هـذه السورة رحمة من عندنا وقال في ص رحمة منا لانه بالغ ههنا في الدعاء بزيادة قوله وأنت أرحم الراحمين فبالغ في الاستجابة لان لفظ عند يدل على مزيد التخصص وأنه سبحانه تولى ذلك من غير واسطة وحين ذكر صبر أيوب وانقطاعه اليه ذكر غيره من

فيجيبهم قوله ويكلم الحجارة فتفهمه ويأمرها فتطيعه * قال اليفر عظيم ما تقول يا أيوب ان الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول ان ما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته مثل هذه الحدة وهذا القول أنزلك هذه المنزلة عظمت خطيئتك وكثر طلابك وغصبت أهل الاموال على أموالهم فلبست وهم عراة وأكلت وهم جياع وحبست عن الضعيف بابك وعن الجائع طعامك وعن المحتاج معروفك وأسررت ذلك وأخفيته في بيتك وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها فظننت أن الله لا يجزيك الا على ما ظهر منك وظننت أن الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء قال أيوب صلى الله عليه وسلم ان تكلمت لم ينفعني الكلام وان سكت لم تعذروني قد وقع على كيدي وأسخطت ربي بخطيئتي وأشمت أعدائي وأمكنتهم من عنقي وجعلتني للبلاء غرضا وجعلتني للفتنة نصبا لم تنفسني مع ذلك ولكن أتبعني ببلاء على اثر بلاء ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما ما رأيت غريبا الا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره ولا رأيت مسكينا الا كنت له مالا مكان ماله وأهلا مكان أهله وما رأيت يتيما الا كنت له أبا مكان أبيه وما رأيت أيما الا كنت لها قيما ترضى قيامه وأنا عبد ذليل ان أحسنت لم يكن لي كلام باحسان لان المن لربي وليس لي وان أسأت فبيده عقوبتي وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي * قال اليفر أتحاج الله يا أيوب في أمره أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ أو تبرئها وأنت غير بريء خلق السموات والارض بالحق وأحصى ما فيهما من الخلق فكيف لا يعلم ما أسررت وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيك به وضع الله ملائكة صفوفا حول عرشه وعلى أرجاء سمواته ثم احتجب بالنور فأبصارهم عنه كليلة وقوتهم عنه ضعيفة وعزيزهم عنه ذليل وأنت تزعم أن لو خاصمك وأدلى الى الحكم معك وهل تراه فتناصفه أم هل تسمعه فتحاوره قد عرفنا فيك قضاءه انه من أراد أن يرتفع وضعه ومن اتضع له رفعه * قال أيوب صلى الله عليه وسلم ان أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره لا يرد غضبه شيء الا رحمته ولا ينفع عبده الا التضرع له قال رب أقبل علي برحمتك وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت أو لأي شيء صرفت وجهك الكريم عني وجعلتني لك مثل العدو وقد كنت تكرمني ليس يغيب عنك شيء تحصي قطر الامطار وورق الاشجار وذر التراب أصبح جلدي كالثوب العفن بأيه أمسكت سقط في يدي فهب لي قربانا من عندك وفرجا من بلائي بالقدرة التي تبعث موتى العباد وتنشر بها ميت البلاد ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي ولا تفسد عمل يديك وان كنت غنيا عني ليس ينبغي في حكمك ظلم ولا في نقمتك عجل وانما يحتاج الى الظلم الضعيف وانما يعجل من يخاف الفوت ولا تذكرني خطئي وذنوبي اذكر كيف خلقتني من طين فجعلت مضغة ثم خلقت المضغة عظاما وكسوت العظام لحما وجلدا وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة وربيتني صغيرا ورزقتني كبيرا ثم حفظت عهدك

الانبياء المشهورين بالصبر منهم اسمعيل عليه السلام صبر على الانقياد للذبح وعلى الاقامة بواد لازرع فيه ولا ضرع وصبر على بناء البيت ورفع قواعده فلا جرم أخرج الله ببركته ذلك من صلبه خاتم النبيين ومنهم ادريس وقد مرذكره فى سورة مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا لهم الى الله فأبوا فأهلكهم الله ورفع ادريس الى السماء ومنهم ذوالكفل قيل هو زكريا وعلى هذا فقد تقدمت قصته أيضا وفى هذا القول نظر لان قصة زكريا تجىء عن عقيب فيلزم التكرار

وقيل هو الياس وكان خمسة من الانبياء ذوى اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذوالكفل وعيسى والمسيح ويونس وذوالنون ومحمد وأحمد وقيل يوشع ابن نون سمى بذلك لانه ذوالحظ من الله دينا ودنيا أولانه كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم وقال أبو موسى الاشعرى ومجاهد انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه من الانبياء وهذا أقرب لانه معطوف عليهم معدود فيما بينهم يروى عن ابن عباس أن اليسع أو نبيا آخر فى بنى اسرائيل قربت وفاته فأراد أن يستخلف رجلا على الناس فقال من يقبل منى خلافتى على أن يصلى بالليل ويصوم بالنهار ويقضى بين الناس فلا يغضب فقام رجل وقال أنا أتكفل لك هذه الثلاثة فدفع اليه ملكه ووفى بها فحسده ابليس فأتاه وقت القيلولة فقال ان لى غريما قد ظلمنى حقى وقد دعوته اليك فأبى فأرسل معى من يأتيك به فأرسل معه وقعد حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلاته وصلى ليله الى الصباح ثم أتاه من الغد وقال مثل ذلك حتى شغله عن القيلولة وهكذا فى اليوم الثالث وقيل انه فى اليوم الثالث قال للبواب قد غلب على النعاس فجاء ابليس فلم يأذن له البواب فدخل من كوة البيت ودق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال أما من قبلى فلم تؤت فقام الى الباب فاذا هو مغلق وابليس على صورة شيخ فى البيت فقال له أتنام والخصوم على الباب فعرفه وقال ابليس يعرف

قال نعم أعييتنى فى كل شئ ففعلت هذه الافعال لأغضبك فعصمك الله منى فسمى ذا الكفل لانه قد وفى بالكفالة ولا خلاف أن ذا النون هو يونس لان النون هو السمكة والاسم اذا دار بين أن يكون لقبا محضا وبين أن يكون مفيدا فحمله على المفيد أولى واختلفوا فى أن وقوعه فى بطن الحوت كان قبل اشتغاله باداء الرسالة أو بعده أما القول الاول فعن ابن عباس أن يونس وقومه كانوا من فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم

وفعلت أمرك فان أخطأت فبين لى ولا تهلكنى غما وأعلمنى ذنبى فان لم أرضك فأنا أهل أن تعذبنى وان كنت من بين خلقك تحصى على عملى وأستغفرك فلا تغفر لى ان أحسنت لم أرفع رأسى وان أسأت لم تبلعنى ريقى ولم تقلنى عثرتى وقد ترى ضعفى تحتك وتضرعى لك فلم خلقتنى أولم أخرجتنى من بطن أمى لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لى فليست الدنيا عندى بخطر لغضبك وليس جسدى يقوم بعذابك فارحمنى وأذقنى طعم العافية من قبل أن أصير الى ضيق القبر وظلمة الأرض وغم الموت * قال صافر قد تكلمت يا أيوب وما يطيق أحد أن يحبس فمك تزعم أنك برىء فهل ينفعك ان كنت بريئا وعليك من يحصى عملك وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك هل تعلم سمك السماء كم بعده أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده أم هل تعلم أى الارض أعرضها أم هل عندك لها من مقدار تقدرها به أم هل تعلم أى البحر أعمقه أم هل تعلم بأى شئ تحبسه فان كنت تعلم (٣) هذا العلم وان كنت لا تعلمه فان الله خلقه وهو يحصيه لو تركت كثرة الحديث وطلبت الى ربك رجوت أن يرحمك فبذلك تستخرج رحمته وان كنت تقيم على خطيئتك وترفع الى الله يديك عند الحاجة وأنت مصر على ذنبك اصرار الماء الجارى فى صبب لا يستطاع احباسه فعند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوه الاشرار وتظلم عيونهم وعند ذلك يسر بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم وتقدموا فى التضرع ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون اليها وهم الذين كابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار قال أيوب أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم وقد كنت فيما خلا والرجال يوقروننى وأنا معروف حقى منتصف من خصمى قاهر لمن هو اليوم يقهرنى يسألنى عن علم غيب الله لا أعلمه ويسألنى فلعمرى ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك ولكنه يبكى معه وان كنت جاهلا فان عقلى يقصر عن الذى تسألنى عنه فسل طير السماء هل تخبرك وسل وحوش الارض هل ترجع اليك وسل سباع البرية هل تجيبك وسل حيتان البحر هل تصف لك كل ما عددت تعلم أن الله صنع هذا بحكمته وهيأه بلطفه أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه وما طعم بفيه وما شم بأنفه وأن العلم الذى سألت عنه لا يعلمه الا الله الذى خلقه له الحكمة والجبروت وله العظمة واللطف وله الجلال والقدرة ان أفسد فمن ذا الذى يصلح وان أعجم فمن ذا الذى يفصح ان نظر الى البحار يبست من خوفه وان أذن لها ابتلعت الارض فانما يحملها بقدرته هو الذى تبهت الملوك عند ملكه وتطيش العلماء عند علمه وتعيا الحكماء عند حكمته ويخسأ المبطلون عند سلطانه هو الذى يذكر المنسى وينسى المذكور ويجرى الظلمات والنور هذا علمى وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلى وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلى * قال بلدد ان المنافق يجزى بما أسر من نفاقه وتضل عنه العلانية التى خادع بها وتوكل على الجزاء بها الذى عملها ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره فى الآخرة ويوحش سبيله وتوقعه فى الأحبولة سريرته وينقطع اسمه من الارض فلا ذكر له فيها ولا عمران لا يرثه ولد مصلحون من بعده ولا يبقى له أصل

تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فأوحى الله تعالى الى شعيب عليه السلام أن اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فانى ألقى فى قلوب أولئك أن يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك من ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوى أمين فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجى قال لا قال فههنا أنبياء غيرى فألحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هنالك وسفينة فركب معهم فاضطربت السفينة حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق لأن السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص ومن عادتنا فى مثل هذا البلاء أن نقترع فمن خرجت له القرعة ألقيناه فى البحر حتى تسلم السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة كلها على يونس فقال أنا الرجل العاصى والعبد الآبق وألقى نفسه فى البحر فابتلعه حوت فأوحى الله تعالى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فانى جعلت بطنك سجناله ولم أجعله طعاما لك ثم نجاه الله من بطن الحوت فنبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس عليه شعر ولا جلد فأنبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرتها حتى اشتد فلما يبست الشجرة حزن عليها يونس فقيل له أتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب سلامتهم فتوجه يونس نحوهم حتى دخل أرضهم وهم منه غير بعيد فقال لملكهم ان الله أرسلنى اليك لترسل معى بنى اسرائيل فقالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا أنك صادق لفعلنا ولقد أتيناكم فى دياركم وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم فطاف فيهم ثلاثة أيام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فأوحى الله اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءكم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه فقال علماؤهم اطلبوه فان كان فى المدينة فليس بشيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فلم يجدوه فلما أيسوا أغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم وغنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات فلما طلع الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما فى بطونها وصاح الصبيان وثغت المواشى فرفع الله عنهم فبعثوا الى يونس وآمنوا به وبعثوا معه بنى اسرائيل * القول

يعرف به ويبهت من يراه وتقف الاشعار عنده كره * قال أيوب ان أكن غويا فعلى غواى وان أكن بريا فأى منعة عندى ان صرخت فمن ذا الذى يصرخنى وان سكت فمن ذا الذى يعذرنى ذهب رجائى وانقضت أحلامى وتنكرت لى معارفى دعوت غلامى فلم يجبنى وتضرعت لأمتى فلم ترحمنى وقع على البلاء فرفضونى أنتم كنتم أشد على من مصيبتى انظروا وابهتوا من العجائب التى فى جسدى أما سمعتم بما أصابنى وما شغلكم عنى ما رأيتم بى لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم ولكن لى ربا جبارا تعالى فوق سمواته وألقانى ههنا وهنت عليه لا هو عذرنى بعذرى ولا هو أدنانى فأخاصم عن نفسى يسمعنى ولا أسمعه ويرانى ولا أراه وهو محيط بى ولو تجلى لى لذابت كليتاى وصعق روحى ولو نفسنى فأتكلم بملء فى ونزع الهيبة منى علمت بأى ذنب عذبنى نودى فقيل يا أيوب قال لبيك قال أنا هذا قد دنوت منك فقم فاشدد ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغى لى أن يخاصمنى الا جبار مثلى ولا ينبغى أن يخاصمنى الا من يجعل الزنار فى فم الأسد والسخال فى فم العنقاء واللجام فى فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لغد لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أى مرام رامت بك أردت أن تخاصمنى بغيك أم أردت أن تحاجنى بخطابك أم أردت أن تكاثرنى بضعفك أين أنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت بأى مقدار قدرتها أم كنت معى تمد بأطرافها أم تعلم ما بعد زواياها أم على أى شىء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء أين كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها ولا يحملها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين أنت منى يوم سخرت البحار ونبعت الانهار أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك من ذراع يطيق حملها أم هل تدرى كم من مثقال فيها أم أين الماء الذى أنزل من السماء هل تدرى أم تلده أو أب يولده أحكمتك أحصت القطر وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء هل تدرى ما أصوات الرعود أم من أى شىء لهب البروق هل رأيت عمق البحور أم هل تدرى ما بعد الهواء أم هل خزنت أرواح الاموات أم هل تدرى أين خزانة الثلج أو أين خزائن البرد أم أين جبال البرد أم هل تدرى أين خزانة الليل بالنهار وأين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأى لغة تتكلم الاشجار وأين خزانة الريح وكيف تحبسه الاغلاق ومن جعل العقول فى أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب بحكمته ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معايشها وعطفها على أفراخها من أعتق الوحش من الخدمة وجعل مساكنها البرية

الثانى وعليه أكثر المفسرين أن قصة الحوت كانت بعد دعائه أهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم كما مر فى سورة يونس واحتج الطاعنون فى عصمة الأنبياء بهذه القصة من وجوه الأوّل أنه ذهب مغاضبا لربه هكذا فسره ابن عباس وابن مسعود والحسن والشعبى وسعيد ابن جبير ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد بن جرير ومن المعلوم أن مغاضبة الله من أعظم الذنوب ولئن سلم أنه كان مغاضبا لقومه فذلك أيضا محظور لانه كان يجب أن يصبر معهم (٥٠) الثانى قوله (فظن أن لن نقدر عليه) وهو شك فى قدرة الله الثالث اعترافه بأنه من الظالمين والظلم من صفات الذم الرابع اخبار الله تعالى فى موضع آخر بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم ذو الملامة الخامس قوله للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال فى موضع آخر فاصبر كما صبر أولوا العزم والجواب أنه عليه السلام غضب لأجل ربه أنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وغاضب قومه بمفارقته كى يخوّفهم حلول العقاب عليهم عندها فغاية ما فى الباب أن تلك المغاضبة ترك الاولى وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدائها الى أن يأذن الله له فى المهاجرة وعن الثانى أن معنى لن نقدر عليه لن نضيق كقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فهو من القدر لا من القدرة ويجوز أن يكون من القدر بمعنى القضاء قال الزجاج يقال قدر الله الشئ قدرا وقدره تقديرا والمعنى فظن أن لن نقضى عليه بشدة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبى وابن عباس فى رواية واختاره الفراء والزجاج يقال قدر الله عليه الضراء وقدر له السراء كما يقال قدر القاضى على فلان أوله ولئن سلمنا أنه من القدرة فالمراد القدرة بالفعل أى فظن أن لن نعمل فيه قدرتنا والقدرة غير إعمالها فظن انتفاء الأول كفر دون الثانى أو هو وارد على سبيل التمثيل والاستعارة أى كانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله أو هو استفهام بمعنى التوبيخ معناه أفظن أن لن نقدر عليه عن ابن زيد سلمنا الكل لكن هذه الواقعة لعلها قبل رسالته كما حكينا ومثل هذا الظن فى حق غير الأنبياء لا يبعد بوسوسة الشيطان ولكن المؤمن يرده بعد ذلك بالبرهان وعن البواقى أن الكل راجع الى ترك الاولى ونحن لا ننكر ذلك وكفى بذكر

قال

لا تستأنس بالاصوات ولا تهاب المسلطين أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير وأولاد الدواب لأمهاتها أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها حتى أخرجت لها الطعام من بطونها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم من حكمتك يبصر العقاب الصيد فأصبح فى أماكن القتلى أين أنت منى يوم خلقت بهموت مكانه فى منقطع التراب والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤسهما كأنها آكام الجبال وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد وكأن جلودهما فلق الصخور وعظامهما كأنها عمد النحاس هما رأسا خلق الذين خلقت للقتال أأنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا أم هل لك فى خلقهما من شرك أم لك بالقوة التى عملتها يد أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤسهما أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما أو تصدهما من قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين رزقه فى البحر ومسكنه فى السحاب عيناه توقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج جوفه يحترق ونفسه يلتهب وزنده كأمثال الصخور وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق وكأن نظر عينيه لهب البرق أسراره لا تدخله الهموم تمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شئ ليس فيه مفصل الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده ويضحك من النيازك ويسير فى الهواء كأنه عصفور ويهلك كل شئ يمر به ملك الوحوش وإياه آثرت بالقوة على خلقى هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه أو واضع اللجام فى شدقه أتظنه يوفى بعهدك أو يسبح من خوفك هل تحصى عمره أم هل تدرى أجله أو تفوت رزقه أم هل تدرى ماذا خرب من الارض أم ماذا يخرب فيما بقى من عمره أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله وتعالى * قال أيوب صلى الله عليه وسلم قصرت عن هذا الامر الذى تعرض لى ليت الارض انشقت بى فذهبت فى بلائى ولم أتكلم بشئ يسخط ربى اجتمع على البلاء الهى جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تكرمنى وتعرف نصحى وقد علمت أن الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا ما شئت عملت لا يعجزك شئ ولا يخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذى يظن أن يستر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك فى بلائى هذا ما لم أكن أعلم وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع بسطوتك سمعا فأما الآن فهو بصر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى وسكت حين سكت لترحمنى كلمة زلت فلن أعود وقد وضعت يدى على فمى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى ودسست وجهى لصغارى وسكت كما أسكتتنى خطيئتى فاغفر لى ما قلت فلن أعود لشئ تكرهه منى * قال الله تبارك وتعالى يا أيوب نفذ فيك علمى وبحلمى صرفت عنك غضبى اذ خطئت فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك حدثنا ابن حميد

يونس في عداد الانبياء الصابرين الصالحين دليلا على أنه لم يصدر عنه شئ ينافي عصمته والله تعالى أعلم. أما قوله (فنادى في الظلمات) فمعنى الجمع راجع الى شدة الظلمة وتكاثفها أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر وقيل ان الحوت اذا عظم غوصه في البحر كان ما فوقه من البحر ظلمة في ظلمة ومعنى (أن لا اله

الا أنت) أي لا اله الا أنت أو بأنه لا اله الا أنت (سبحانك) تنزيه له عن كل النقائص منها الظن المذكور على أي وجه فرض ومنها العجز عن تخلصه ومنها خلو ذلك الفعل عن حكمة كاملة (اني كنت من الظالمين) بالفرار من غير اذن وأنا الآن من التائبين وفيه من حسن الطلب ما فيه فلذلك قال (فاستجبنا له) ثم بين الاستجابة بقوله (ونجيناه من الغم) أي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته (و) كما أنجينا يونس من كرب الحبس اذ دعانا (كذلك ننجي المؤمنين) من كل كرب اذا استغاثوا بنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم وقد بقي في الآية بحث لفظي وهو أن بعض أهل العربية غلطوا عاصما في قراءته نجي بالتشديد والنون لا تدغم في الجيم واستخرج بعضهم له وجها وهو أن يكون نجي فعلا ماضيا مجهولا من التنجية لكنه أرسل الياء وأسند الفعل الى المصدر المضمر ونصب المؤمنين بذلك المصدر أي نجي نجاء المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم ضرب زيدا على اضمار المصدر وأنشد ابن قتيبة حجة لهذه القراءة

ولو ولدت قفيرة جرو كلب
لسب بذلك الجرو الكلابا

وقال أبو علي الفارسي وغيره من الأئمة المحققين ان مثل هذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر وانما الوجه الصحيح في قراءة عاصم أن يحمل ذلك على الاخفاء فلعل الراوي التبس عليه فظنه ادغاما ثم بين انقطاع زكريا وتبتله اليه ورغبته فيمن يؤنسه ويعينه في أمر دينه ودنياه وان انتهى الحال به وبزوجته في الكبر الى حد اليأس من ذلك عادة وفي قوله (وأنت خير الوارثين) وجهان أحدهما أنه ثناء على الرب بأن مآل كل الامور اليه فيكون مؤكدا للمفوض اليه من أمر الولد والثاني أنه أراد ان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث وفي اصلاح زوجه وجوه منها أنها جعلت صالحة للولادة بعد

قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني وغيره من أهل الكتب الاول أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم وكان الله قد اصطفاه ونبأه وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال وبسط عليه من الدنيا فوسع عليه في الرزق وكانت له البثنية من أرض الشام أعلاها وأسفلها وسهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان الله قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعم المساكين ويحمل الارامل ويكفل الأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لأنعم الله عليه مؤديا لحق الله في الغنى قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه منهم رجل من أهل اليمن يقال له اليفر ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما صوفر وللآخر بلدد وكانوا من بلاده كهولا وكان لابليس عدو الله منزل من السماء السابعة يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه فصعد الى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه فقال الله له أو قيل له عن الله هل قدرت من أيوب عبدي على شئ قال أي رب وكيف أقدر منه على شئ وانما ابتليته بالرخاء والنعمة والسعة والعافية وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده وأهله وماله فما له لا يشكرك ويعبدك ويطيعك وقد صنعت ذلك به لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شكرك ولترك عبادتك ولخرج من طاعتك الى غيرها أو كما قال عدو الله فقال قد سلطتك على أهله وماله وكان الله هو أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء وليجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به وليرجوا من عاقبة الصبر في عرض الدنيا ثواب الآخرة وما صنع الله بأيوب فانحط عدو الله سريعا فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين من جنوده فقال اني قد سلطت على أهل أيوب وماله فماذا عليكم فقال قائل منهم أكون اعصارا فيه نار فلا أمر بشئ من ماله الا أهلكته قال أنت وذاك فخرج حتى أتى ابله فأحرقها ورعاتها جميعا ثم جاء عدو الله الى أيوب في صورة قيمه عليها وهو في مصلى فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك فأحرقتها ومن فيها غيري فجئتك أخبرك بذلك فعرفه أيوب فقال الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها الذي أخرجك منها كما يخرج الزوان من الحب النقي ثم انصرف عنه فجعل يصيب ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى اذا لم يبق له مال أتى أهله وولده وهم في قصر لهم معهم حظياتهم وخدامهم فتمثل ريحا عاصفا فاحتمل القصر من نواحيه فألقاه على أهله وولده فشدخهم تحته ثم أتاه في صورة قهرمانه عليهم قد شدخ وجهه فقال يا أيوب قد أتت ريح عاصف فاحتملت القصر من نواحيه ثم ألقته على أهلك وولدك فشدختهم غيري فجئتك أخبرك ذلك فلم يجزع على شئ

عقرها ومنها أنها جعلت حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق ولا شك أن حسن خلق الزوج نعمة عظيمة ومنها أن الاصلاح يتعلق بأمر الدين كأنه سأل ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والأهل جميعا ويرد على الوجه الاول أن اصلاح الزوج مقدم على هبة الولد والجواب أن الواو لا تفيد الترتيب أو أراد بالهبة ارادة الهبة أما الضمير في قوله (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) فقد قيل انه عائد الى زكرياء وولده وأهله وقال جار الله انه للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمسارعتهم في تحصيل الخيرات وهذا من أجل ما يمدح به المؤمن لانه يدل على الجد والرغبة في الطاعة (ويدعوننا رغبا) في ثوابنا (ورهبا) عن عقابنا ومعنى (خاشعين) قال الحسن ذللا لأمر الله وقيل متواضعين وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وفي تقديم الجار والمجرور على خاشعين اشارة الى أنهم لا يخشون أحدا الا الله وروى الأعمش عن ابراهيم النخعي أنه الذي اذا أرخى ستره وأغلق بابه رأى الله منه خيرا ليس هو الذي يأكل خشنا أي علقا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولما فرغ من ذكر الرجال الكاملين ذكر من هي سيدة نساء العالمين فمدحها باحصان فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا حتى انها منعت جبرائيل جيب درعها قبل أن عرفته والنفخ فيها عبارة عن احياء عيسى في بطنها أي فنفخنا الروح في عيسى فيها كقول الزامر فنفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته أو المراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبرائيل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وهذا البيان هو المراد في سورة التحريم فلذلك قال فنفخنا فيه أراد فرج الجيب أو غيره وانما قال (وجعلناها وابنها آية للعالمين) لأنه أراد أن مجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير أب ﴿التأويل﴾ الاشارات المفهومة من قصص الانبياء أكثرها مر فلنذكر ما يختص بالمقام عن منها قوله بل فعله كبيرهم أي الله الكبير لان كسر الاصنام ليس من طبيعة الانسانية بل من طبيعتها أن تنحتها فان صدر من أحدهم كسرها فانما ذلك بتوفيق الله وتأييده فقوله هذا بدل الكل من الضمير في فعله قالوا حرقوه اذا أراد الله أن يكمل عبدا من عباده المخلصين فداه خلقا عظيما كما لو أراد استكمال حوت في البحر فداه كثيرا من الحيتان الصغار فلما أراد تخليص جسد الخلة من غش البشرية جعل نمرود وقومه

أصابه جزعه على أهله وولده وأخذ ترابا فوضعه على رأسه ثم قال ليت أمي لم تلدني ولم أك شيأ وسر بها عدو الله منه فأصعد الى السماء جذلا وراجع أيوب التوبة مما قال فحمد الله فسبقت توبته عدو الله الى الله فلما جاء وذكر ما صنع قيل له قد سبقتك توبته الى الله ومراجعته قال أي رب فسلطني على جسده قال قد سلطتك على جسده الا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره فأقبل اليه عدو الله وهو ساجد فنفخ في جسده نفخة أشعل ما بين قرنه الى قدمه كحريق النار ثم خرج في جسده ثآليل كأليات الغنم فحك بأظفاره حتى ذهبت ثم بالفخار والحجارة حتى تساقط لحمه فلم يبق منه الا العروق والعصب والعظام عيناه يجولان في رأسه للنظر وقلبه للعقل ولم يخلص الى شئ من حشو البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو يأكل ويشرب على التواء من حشوته فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن الحسن أنه كان يقول مكث أيوب في ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة في جانب القرية قال وهب بن منبه ولم يبق من أهله الا امرأة واحدة تقوم عليه وتكسب له ولا يقدر عدو الله منه على قليل ولا كثير مما يريد فلما طال البلاء عليه وعليها وسئمها الناس وكانت تكسب عليه ما تطعمه وتسقيه قال وهب بن منبه فحدثت أنها التمست له يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ حتى جزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فعشته اياه فلبث في ذلك البلاء تلك السنين حتى ان كان المار ليمر فيقول لو كان لهذا عند الله خير لأراحه مما هو فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال فحدثني محمد بن اسحق قال وكان وهب بن منبه يقول لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيأ اعترض لامرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال ليس لها فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينني قالت لا قال فأنا إله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم أراها اياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه قال وقد سمعت أنه انما قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال أوقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة ضربة فلما طال عليه البلاء جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدقوه معهم فتى حديث السن قد كان آمن به وصدقه فجلسوا الى أيوب ونظروا الى ما به من البلاء فأعظموا ذلك وفظعوا به وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده وذلك حين أراد الله أن يفرج عنه ما به فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه قال أي رب لأي شئ خلقتني ولو كنت اذ قضيت علي البلاء تركتني فلم تخلقني ليتني كنت دما ألقتني أمي ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر

فداءله حتى أجمعوا على تحريقه ولم يعلموا أن تلك النار له نور وذلك العذاب له روح وريحان لأن نار العشق قد أحرقت أنانيته حتى لم ير غير الله بل لم يبق الا هو فلم يمكن للنار أن تتصرف فيه فوقع قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم تمثيلا لهذا المعنى

بالنار خوفني قومي فقلت لهم * النار ترحم من في قلبه نار

ونجينا ابراهيم الروح ولوط القلب من أرض البشرية الى أرض الروحانية المتبركة المشرقة لتجلي الذات والصفات ونجيناه (٥٣) من قرية القالب التي كانت تعمل الخبائث بالأوصاف البهيمية والسبعية وداود الروح وسليمن القلب اذ يحكمان في شأن حرث الدنيا اذ نفشت أي دخلت فيه في ظلمة ليل البشرية غنم القوم أي الصفات البشرية من غير راعي العقل فأفسدت الحرث بالافراط والاسراف فحكم الروح بانجذابه الى عالمه بالكلية أن يمنع الأوصاف عن التصرف فيها مطلقا ففهمناها سليمن القلب لكونه متقلبا في طوري الروح والجسد أن يحكم بمنع التصرف فيها الى أن يعود الحرث من حالة الاسراف فيه المؤدي الى الفساد الى حالة التوسط والاعتدال الذي هو المعتبر في باب الكمال والا كمال جمعا بين المصلحتين ورعاية للجانبين وسخرنا مع داود الجبال وهي الاعضاء والجوارح التي فيها ثقل وكثافة يسبحن بتسبيحه والطير وهي القوى الحيوانية السيارة بل الطيارة بين فضاء القلب والقالب هذا في الباطن وأما في الظاهر فاذا استولى سلطان الذكر على أجزاء البدن انعكس نوره في مرآة القلب الى ما يحاذيها من الجمادات والحيوانات فيذكر بما يذكره كالحصاة سبحت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة أنه قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه وعلمناه صنعة لبوس لكم ان الله تعالى ألهم داود الروح كيفية الانة القلب الذي هو في القساوة بمنزلة الحديد حتى يتولد من ذلك القلب أوصاف حميدة تحصن الانسان من بأس الاعداء التي هي النفس والهوى والشيطان وسخرنا لسليمن القلب ريح الروح الحيواني فانه مركب الروح الانساني به يتهيأ له السير الى مقام بورك له فيه ومن الشياطين وهم الاوصاف النفسية من يغوصون له في بحر الجسد فيستخرجون درر الفضائل الانسية ويعملون عملا دون ذلك من الوسائط والوسائل الى تلك الفضائل وكنا لهم حافظين من أن يزيغوا عن سواء السبيل ويميلوا عن جادة الشريعة وقانون

عن اسمعيل بن عبد الكريم الى وكابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار ثم زاد فيه أولئك الآمنون الذي لا يخافون ولا يهتمون ولا يحزنون فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم قال فتى حضرهم وسمع قولهم ولم يفطنوا له ولم يأبهوا لمجلسه وانما قيضه الله لهم لما كان من جورهم في المنطق وشططهم فأراد الله أن يصغر به اليهم أنفسهم وأن يسفه بصغره لهم أحلامهم فلما تكلم تمادى في الكلام فلم يزدد الا حكما وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع اذا وعظوا أو ذكروا فقال انكم تكلمتم قبلي أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام وأولى به مني لحق أسنانكم ولأنكم جربتم قبلي ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم وعرفتم ما لم أعرف ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم ومن الموعظة أحكم من الذي وصفتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم هل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ولم تعلموا أيها الكهول أن أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الارض يومكم هذا اختاره الله لوحيه واصطفاه لنفسه وأتمنه على نبوته ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيأ من أمره مذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيأ من الكرامة التي أكرمه بها مذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا أن أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ولا في النبوة ولا في الاثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة الا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكن يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول في أنفسكم قال ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع لسانك ويكسر قلبك وينسيك حججك ألم تعلم يا أيوب ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء العالمون بالله وبآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم لأنزاه برآء ومع المقصرين والمفرطين وانهم لأكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون لله بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال فهم مروعون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب قال أيوب ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا الشبيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد

الطريقة قال أهل التحقيق اذا بلغ الانسان مبلغ الرجال البالغين سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات كما سخر لسليمن الريح والجن والشياطين والطير ومن العلويات الشمس حين ردت لاجل صلاته وسخر لداود عليه السلام الجبال والطير والحديد والاحجار التي قتل بها جالوت وسخر لنبينا جميع السفليات والعلويات حتى قال زويت لي الارض وقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وكان الماء ينبع من بين أصابعه وقال نصرت بالصبا وكانت الاشجار تسلم عليه وتسجد له وتنقلع باشارته من مكانها وترجع والحيوانات تتكلم معه وتشهد بنبوته وقال أسلم شيطاني على يدي * وأما من العلويات فقد انشق القمر باشارته وسخر له البراق وجبرائيل وعبر السموات والجنة والنار والعرش والكرسي الى مقام قاب قوسين أو أدنى وأيوب القلب المبتلى بديوان الهواجس والوساوس الذي فارقه أوصافه الجسدة وأخلاقه الشريفة لشدة تألمه بالعلائق البدنية وعوائق الامور الدنيوية فكشفنا ما به من ضر بأن قلنا له اركض برجلك نظره وألق ما في عينك لينبع ماء حياة العلم والمعرفة فتسلم من تعلقات الكونين المؤذية للقلب والروح وذا النون الروح اذ ذهب من عالمه مغاضبا لغيره من المجردات فألقي في بحر الدنيا فالتقمه حوت النفس الامارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب فنادى في ظلمات حجب النفس والقالب والدنيا وزكريا الروح وهبنا له يحيى القلب وأصلحنا له زوج القالب ويدعوننا رغبا في الفناء فينا ورهبا من البقاء بأنانيتهم وكانوا لنا خاشعين أما القالب فبأعمال الشريعة وأما النفس فبتهذيب الأخلاق وأما القلب فبالطمئنان بذكر الله وأما السر فباجتهاده في كشف الاسرار وأما الروح خلق

فببذل الوجود في طلب المعبود وأما الخفي فبافنائه في الله وبقائه بالله ومريم النفس التي أحصنت قلبها عن تصرفات الكونين فأحييناها بالحياة الأبدية {إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون

حكيما في الصبا لم يسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون عليه من الله نور الكرامة ولكنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم عوفيتم باحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم أنفسكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية التي ألبسكم ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي معروفا حقي منتصفا من خصمي قاهرا لمن هو اليوم يقهرني مهيبا مكاني والرجال مع ذلك ينصتون لي ويوقرونني فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ورفع حذري وملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وكفرني أهل بيتي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخونني وأعتذر فلا يعذرونني وان قضاءه هو الذي أذلني وأقماني وأخسأني وان سلطانه هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه لا نظر الي فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي منه ثم قيل له يا أيوب ان الله يقول ها أنا ذا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بعذرك الذي زعمت وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر عن اسمعيل الى آخره وزاد فيه ورحمتي سبقت غضبي فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبت لك أهلك ومثلهم معهم ومالك ومثله معه وزعموا ومثله معه لتكون لمن خلفك آية ولتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالواله متلددة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا قال لا ثم تبسم فعرفته بمضحكه فاعتنقته **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال فحدثت عبد الله بن عباس حديثه واعتناقها اياه فقال عبد الله فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه أنه دعاها حين سألت عنه فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيته قالت نعم ومالي لا أعرفه فتبسم ثم قال ها أنا هو وقد فرج الله عني ما كنت فيه فعند ذلك اعتنقته قال وهب فأوحى الله اليه في قسمه ليضربنها في الذي كلمته أن خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث أي قد برت يمينك يقول الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب يقول الله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب **حدثنا** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال لقد مكث أيوب مطرحا على كناسة سبع سنين وأشهرا ما يسأل الله أن يكشف ما به قال وما على وجه الارض

واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده (٥٥) وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

﴿القراآت﴾ وحرم بكسر الحاء حمزة وعلي وعاصم غير حفص وأبي زيد عن المفضل فتحت بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاء يزيد تطوى بضم التاء الفوقانية وفتح الواو والسماء بالرفع يزيد للكتب على الجمع حمزة وعلي وخلف وحفص بدأنا مثل أنشأنا قال بالالف على حكاية قول الرسول رب بحذف الياء اكتفاء بالكسرة حفص غير الخراز رب بضم الباء على أنه مبتدأ أحكم على صيغة التفضيل يزيد عن يعقوب الباقون رب احكم يصفون على الغيبة المفضل وابن ذكوان في رواية

﴿الوقوف﴾ واحدة ز لان المقصود من قوله وأنا ربكم قوله فاعبدون وكان الكلام متصلا فاعبدون ○ بينهم ط راجعون ○ لسعيه ج لاختلاف الجملتين كاتبون ○ لا يرجعون ○ ينسلون ○ كفروا ط لاضمار القول ظالمين ○ جهنم ط واردون ○ ماوردوها ط خالدون ○ فيها ط لا يسمعون ○ الحسنى لا لأن ما بعده خبران مبعدون ○ لا لأن ما بعده خبر بعد خبر حسيسها ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف خالدون ○ ج لاحتمال الجملة بعده أن تكون صفة أو استئنافا الملائكة ط لان التقدير قائلين هذا يومكم توعدون ○ للكتب ط لان الجار يتعلق بما بعده نعيده ط لحق المضمر أي وعدنا وعدا علينا ط فاعلين ○ الصالحون ○ عابدين ○ ط لاختلاف الجملتين العالمين ○

خلق أكرم على الله من أيوب فيزعمون أن بعض الناس قال لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا فعند ذلك دعا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال بقي أيوب على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف عليه الدواب حدثني محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه قال لم يكن بأيوب أكلة انما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم ينقفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا مخلد بن حسين عن هشام عن الحسن وحجاج عن مبارك عن الحسن زاد أحدهما على الآخر قال ان أيوب آتاه الله مالا وأوسع عليه وله من النساء والبقر والغنم والابل وان عدو الله ابليس قيل له هل تقدر أن تفتن أيوب قال رب ان أيوب أصبح في دنيا من مال وولد ولا يستطيع أن لا يشكرك ولكن سلطني على ماله وولده فسترى كيف يطيعني ويعصيك قال فسلطه على ماله وولده قال فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب وهو يصلي متشبها براعي الغنم فيقول يا أيوب تصلي لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيأ من الغنم الا أحرقها بالنيران وكنت ناحية فجئت لأخبرك قال فيقول أيوب اللهم أنت أعطيت وأنت أخذت مهما تبق نفسي أحمدك على حسن بلائك فلا يقدر منه على شيء مما يريد ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك ويرد عليه أيوب مثل ذلك قال وكذلك فعل بالابل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده فقال يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت حتى هلكوا فيقول أيوب مثل ذلك قال رب هذا حين أحسنت الي الاحسان كله قد كنت قبل اليوم يشغلني حب المال بالنهار ويشغلني حب الولد بالليل شفقة عليهم فالآن أفرغ سمعي لك وبصري وليلي ونهاري بالذكر والحمد والتقديس والتهليل فينصرف عدو الله من عنده لم يصب منه شيأ مما يريد قال ثم ان الله تبارك وتعالى قال كيف رأيت أيوب قال ابليس أيوب قد علم أنك سترد عليه ماله وولده ولكن سلطني على جسده فان أصابه الضر فيه أطاعني وعصاك قال فسلط على جسده فأتاه فنفخ فيه نفخة قرح من لدن قرنه الى قدمه قال فأصابه البلاء بعد البلاء حتى حمل فوضع على مزبلة كناسة لبني اسرائيل فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله والتحميد والثناء على الله والصبر على ما ابتلاه الله قال الحسن فصرخ ابليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فاجتمعوا اليه وقالوا له جمعتنا ما خبرك ما أعياك قال أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزدد بذلك الا صبرا وثناء على الله وتحميدا له ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بني اسرائيل لا يقربه الا امرأته فقد افتضحت بربي فاستعنت بكم فأعينوني عليه قال فقالوا له أين مكرك أين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في

واحد ج للاستفهام مع الفاء مسلمون ٥ على سواء ط لابتداء النفي توعدون ٥ تكتمون ٥ حين ٥ بالحق ط لان مابعده مبتدأ خارج عن المقول ومن قرأ ربي احكم فوقفه مجوز لنوع عدول من الواحد الى الجمع تصفون ٥ ۞ التفسير لما فرغ من قصص الانبياء أراد أن يذكر ما استقر عليه أمر الشرائع في آخر الزمان فقال (ان هذه أمتكم) وسيرتكم فالامة الدين والطريقة لانه أصل وقانون يرجع اليه والتركيب دلالة على ذلك وهذا اشارة الى ملة (٥٦) الاسلام أي ان هذه الملة هي طريقتكم وسيرتكم التي يجب أن تكونوا عليها حال كونها طريقة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم) لاغيري (فاعبدون) والخطاب للناس كافة وكان الظاهر أن يقال بعده وتقطعتم أمركم بينكم أي جعلتم أمر دينكم بينكم قطعا كما يقسم الشئ بين الجماعة فيصير لهذا نصيب ولهذا نصيب فصرتم فرقا مختلفة وأحزابا شتى الا أنه عدل من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه يقبح أمرهم الى غيرهم فيقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة وتخلص فرقة واحدة قالوا يارسول الله ومن الفرقة الناجية قال الجماعة الجماعة فهذا الحديث مفسر للآية من حيث ان هذه الامة يجب أن يكونوا على كلمة واحدة طعن بعضهم في الحديث أنه ان أراد بالاثنتين والسبعين فرقة أصول الاديان فانها لاتبلغ هذا العدد وان أراد الفروع فانها أضعاف هذا العدد وأجيب بأنه أراد ستفترق أمتي هذا العدد في حال ما وهذا لاينافي كون العدد في بعض الأحوال أنقص أو أزيد قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة فاعبدون وتقطعوا بالواو

أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لايستطيع ان يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك ياأمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوقع في صدرها فوسوس اليها فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدواب وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لاينقطع عنهم أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت أتاها بسخلة فقال ليذبح هذا الى أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ ياأيوب ياأيوب حتى متى يعذبك ربك ألا يرحمك أين الماشية أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا وأجبته ويلك أرأيت ماتبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب من أعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك والله ماعدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام وأن أذوق ماتأتيني به بعد اذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا أراك فطردها فذهبت فقال الشيطان هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه فباء بالغلبة ورفضه ونظر أيوب الى امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق قال الحسن ومر به رجلان وهو على تلك الحال ولا والله ماعلى ظهر الارض يومئذ أكرم على الله من أيوب فقال أحد الرجلين لصاحبه لو كان لله في هذا حاجة مابلغ به هذا فلم يسمع أيوب شيئا كان أشد عليه من هذه الكلمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن جرير بن حازم عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لايقدران أن يدنوا منه من ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ماابتلاه بما أرى قال فما جزع أيوب من شئ أصابه جزعه من كلمة الرجل فقال أيوب اللهم ان كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعان قط وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم أني لم أتخذ قميصين قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان قال ثم خر ساجدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال فحدثني مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن قال فقال رب اني مسني الضر ثم رد ذلك الى ربه فقال وأنت أرحم الراحمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن جرير عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك

وفي المؤمنين فاتقون فتقطعوا بالفاء لان الخطاب ههنا أعم والعبادة أعم من التقوى وأيضا الخطاب يتناول عن الكفار وقد وجد منهم التقطع قبل هذا القول وفي سورة المؤمنين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بدليل قوله ياأيها الرسل كلوا من الطيبات ثم قال فتقطعوا أي ظهر منهم أي من أممهم التقطع بعد هذا القول ولأن التقطع منهم أغرب أكده هنالك بقوله زبرا وفي قوله كل الينا راجعون وعيد عظيم للفرق المختلفة ثم فصل ما آل اليهم بقوله (فمن يعمل) الآية والكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل

عن الحسن ومخلد عن هشام عن الحسن دخل حديث أحدهما فى الآخر قالا فقيل له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شئ ظاهر الا سقط فأذهب الله كل ألم وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يتلفت ولا يرى شيأ مما كان له من أهل ومال الا وقد أضعفه الله له حتى والله ذكر لنا ان الماء الذى اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب قال فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من أكله أدعه يموت جوعا أو يضيع فتأكله السباع لأرجعن اليه فرجعت فلا كناسة ترى ولا من تلك الحال التى كانت واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعين أيوب قالت وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأل عنه فأرسل اليها أيوب فدعاها فقال ماتريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لا أدرى أضاع أم ما فعل قال لها أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رأيته وهى تبكى انه قد كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانى أنا أيوب الذى أمرتينى أن أذبح للشيطان وانى أطعت الله وعصيت الشيطان فدعوت الله فردّ علىّ ماترين قال الحسن ثم ان الله رحمها بصبرها معه على البلاء أن أمره تخفيفا عنها أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفا عنها بصبرها معه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر الى آخر الآيتين فانه لما مسه الشيطان بنصب وعذاب أنساه الله الدعاء أن يدعوه فيكشف ما به من ضر غير أنه كان يذكر الله كثيرا ولا يزيده البلاء فى الله الا رغبة وحسن ايمان فلما انتهى الأجل وقضى الله أنه كاشف ما به من ضر أذن له فى الدعاء ويسره له وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى لا ينبغى لعبدى أيوب أن يدعونى ثم لا أستجيب له فلما دعا استجاب له وأبدله بكل شئ ذهب له ضعفين رد اليه أهله ومثلهم معهم وأثنى عليه فقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب

* واختلف أهل التأويل فى الأهل الذى ذكر الله فى قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم أهم أهله الذين أوتيهم فى الدنيا أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به فى الآخرة فقال بعضهم انما آتى الله أيوب فى الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فانهم لم يردّوا عليه فى الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيه اياهم فى الآخرة حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب وآتيناه أهله ومثلهم معهم فقال قيل له ان أهلك لك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك

فى اعطائه فى قوله فأولئك كان سعيهم مشكورا وانما لم يقل فلا يكفر سعيه لان نفى الجنس أبلغ فان نفى الماهية يستلزم نفى جميع أفرادها وفى قوله (وانا له) أى لذلك السعى (كاتبون) مبالغة أخرى فان المثبت فى الصحيفة أبعد من النسيان والغلط كما قيل قيدوا العلم بالكتابة ولا سيما اذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان قال المفسرون معناه حافظون لنجازى عليه وقيل مثبتون فى أم الكتاب أو فى صحف الاعمال هذا حال السعداء وأما أحوال اضدادهم فذلك قوله (وحرام) ومن قرأ حرم فانه فعل بمعنى مفعول والتركيب يدور على المنع أى ممتنع أو ممنوع وهذا خبر لا بد له من مبتدإ وذلك قوله (أنهم لا يرجعون) أو غير ذلك والرجوع اما الرجوع عن الشرك الى الاسلام أو الرجوع الى الدنيا أو الى الآخرة وعلى الاول اما أن تكون لا زائدة أقحمت للتأكيد ومعنى الآية ممتنع على أهل قرية عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها أن يرجعوا أو يتوبوا الى أن تقوم الساعة والمراد تصميمهم على الكفر واما ان تكون معيدة ولكن الحرام بمعنى الواجب تسمية لاحد الضدين باسم الآخر باشتراكهما فى المنع الا أن الوجوب منع عن الترك والحرمة منع عن الفعل وقد ورد فى الاستعمال مثل ذلك قال سبحانه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا وترك الشرك واجب وليس بمحرم وقالت الخنساء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا
على شجوه الا بكيت على عمرو

وعلى الثانى فالاهلاك على أصله والمعنى أن رجوعهم الى الدنيا ممتنع أو عدم رجوعهم واجب الى قيام الساعة نظيره قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون وعلى الثالث فقوله حتى غاية لقوله لا يرجعون أى ممتنع عدم رجوع المهلكين الى عذاب الآخرة حتى الساعة وذلك أن رجوعهم الى عذاب النار قبل الساعة واجب بقوله النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا وقال أبو مسلم أراد أن رجوعهم الى الآخرة واجب الى هذه الغاية أى أنهم يكونون أول الناس حضورا فى محفل القيامة وعلى الرابع فالمعنى وحرام عليهم ذلك وهو المذكور من السعى المشكور غير المكفور لانهم لا يرجعون عن الكفر الى أن تقوم الساعة قوله تعالى (حتى اذا فتحت) حتى هى التى يقع بعدها الجملة وهى ههنا مجموع الشرط والجزاء واذا المفاجأة تسد مسد فاء الجزاء وقد يجمع بينهما

مثلهم فى الدنيا فقال يكونون لى فى الآخرة وأوتى مثلهم فى الدنيا قال فرجع الى مجاهد فقال أصاب * وقال آخرون بل ردهم اليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك عن ابن مسعود وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال أهله بأعيانهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما دعا أيوب استجاب الله له وأبدله بكل شئ ذهب له ضعفين رد اليه أهله ومثلهم معهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قال أحياهم بأعيانهم ورد اليه مثلهم (١) حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال قيل له ان شئت أحييناهم لك وان شئت كانوا لك فى الآخرة وتعطى مثلهم فى الدنيا فاختار أن يكونوا فى الآخرة ومثلهم فى الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه أهله ومثلهم معهم (٢) قال الحسن وقتادة أحيا الله أهله بأعيانهم وزاده اليهم مثلهم * وقال آخرون بل آتاه المثل من نسل ماله الذى رده عليه وأهله فأما الاهل والمال فانه ردهما عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل عن الحسن ومثلهم معهم قال من نسلهم وقوله رحمة نصبت بمعنى فعلنا بهم ذلك رحمة منا له وقوله وذكرى للعابدين يقول وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به ويعلموا أن الله قد يبتلى أولياءه ومن أحب من عباده فى الدنيا بضروب من البلاء فى نفسه وأهله وماله من غير هوان به عليه ولكن اختبارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه اياه وحسن يقينه منزلته التى أعدها الله تبارك وتعالى من الكرامة عنده وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى فى قوله رحمة من عندنا وذكرى للعابدين قال أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل قد أصاب من هو خير منا نبيا من الانبياء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين ﴾ يعنى تعالى ذكره باسمعيل اسمعيل بن ابراهيم صادق الوعد وبادريس اخنوخ وبذى الكفل رجلا تكفل من بعض الناس اما من نبى واما من ملك من صالحى الملوك بعمل من الاعمال فقام به من بعده فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين فى عباده مع من حمد صبره على طاعة الله وبالذى قلنا فى أمره جاءت الاخبار عن سلف العلماء ذكر الرواية بذلك عنهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث أن نبيا من الانبياء قال من تكفل لى أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقال من تكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقال من تكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال

(١) هذا يناسب الاستشهاد على عدم ردهم بأعيانهم فلعله مؤخر من تقديم تأمل

للتعاون على وصل الجزاء بالشرط فبتأكدوا انما احتيج الى هذا التأكيد لان الشرط يحصل فى آخر أيام الدنيا والجزاء انما يحصل يوم القيامة ولعل بينهما فاصلة بالزمان الا أن التفاوت القليل كالمعدوم والمضاف محذوف أى سد ياجوج وماجوج وتأنيث الفعل لانهما قبيلتان وهما من جنس الانس كما مر فى آخر الكهف يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وفى الحديث ان منكم واحدا ومن ياجوج وماجوج ألف (٥٨) قوله (وهم من كل حدب ينسلون) قال أكثر المفسرين الضمير لياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد وعن مجاهد أنه لجميع المكلفين الذين يساقون الى المحشر والحدب ما ارتفع من الارض والنسل الاسراع (واقترب) عطف على فتحت وهو داخل فى الشرط و (الوعد الحق) القيامة وقوله (فاذا هى شاخصة) كقوله فى سورة ابراهيم ليوم تشخص فيه الابصار وقال فى الكشاف هى ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره قلت فعلى هذا هى مبتدأ وشاخصة خبره وأبصار بدل هى ولو قيل هى ضمير القصة مبتدأ والجملة التى هى أبصار الذين كفروا شاخصة خبره جاز وهو قول سيبويه ثم ههنا اضمار أى يقولون (ياويلنا) وهو فى موضع الحال من الذين كفروا والعامل شاخصة (قد كنا فى غفلة من هذا) الوعد أو الامر (بل كنا ظالمين) أنفسنا بتلك الغفلة وبتكذيب الرسل وعبادة الاوثان ثم بين حال معبوديهم يوم القيامة فقال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) أى تحصبون بها بمعنى تحصبون فيها والحصب الرمى ومنه الحصباء لانه يرمى بها الشئ وقرئ حطب واللام فى قوله (أنتم لها واردون) كاللام فى قوله هو لزيد ضارب وذلك لضعف عمل اسم فيما تقدم عليه والمعنى لا بد لكم أن تردوها ولا معدل لكم عن دخولها ثم ألزمهم الحجة بقوله (لو كان هؤلاء) المعبودون (آلهة) فى الحقيقة (ما وردوها) لكنهم واردوها للخبر الصادق الذى يتنبه لصدقه من يتأمل فى اعجازه فينتج أن هؤلاء ليسوا بآلهة وأنها لا تستحق تعظيما أصلا ثم أخبر أنهم بعد ورودهم النار لا يتخلصون منها أبدا فقال (وكل) أى من العابدين والمعبودين (فيها خالدون لهم فيها زفير) قد سبق معانيه فى آخر سورة هود (وهم فيها لا يسمعون) شيأ أما لانهم يجعلون فى توابيت من نار عن ابن مسعود واما لانه

أنا

تعالى يصمهم كما يعميهم والصمم فى بعض الاوقات لا ينافى كونهم سامعين أقوال أهل الجنة فى غير ذلك الوقت أو المراد أنهم لا يسمعون ما يسرهم أو الضمير للمعبودين والسماع سماع اجابة وعلى هـذا فالضمير فى لهـم فى فيها زفير للعابدين و جاز اعتمادا على فهـم السامع حيث يرد كلا من الضميرين الى ما يناسبهما كأنه قيـل العابد يدعو والمعبود لا يجيب و يجوز أن يكون للمعبودين أيضا لان فيهم من يتأتى منه الزفير كالشياطين فغلب أو لان الجماد ينطقه الله وقتئذ والزفير يعني اللهيب والله أعلم يروى أن (٥٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعـرض له النضر بن الحـرث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبـل عبد الله بن الزبعرى فأخبره الوليد ابن المغيرة بما جرى فقال معترضا أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبـدوا المسيح و بنو مليح عبـدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبـدوا الشياطين التى أمرتهـم بذلك وأنزل الله تعالى ان الذين سبقت الآية فخرج من الحديث والآية جواب ابن الزبعرى على أتم وجه وأكمله كأنه قيل أولا ان الآية باقيـة على عمومها لان الذين عبـدوا عزيرا والمسيح والملائكة لم يعبدوهم فى الحقيقة وانما عبدوا الشياطين التى دعتهم الى ذلك ولئن سلم أنهـم عبدوهـم فى الحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهـم منا الخصلة الحسنى وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو بتوفيـق الطاعة وكل ميسر لما خلق له ومن المفسرين من أجاب عن اعتراض ابن الزبعرى بوجوه أخر منها أن قوله انكم خطاب لمشركى قريش وانهـم لم يعبـدوا سوى الاصنام ولقائل أن يقول حمـل الآية على العموم أتم فائدة ومنها أن قوله وما تعبـدون لا يتناول العقلاء فيسقط الاعتراض ولقائل أن يقول ما أعم لا مباين فيشمل ذوى العقول وغيرهم ولهـذا جاء والسماء وما بناها سبحان ما سخركن لنا ومنها أنه تعالى يصور لهـم فى النار ملكا على صورة من عبـدوه وضعف بأن القوم لم يعبـدوا تلك الصورة و بأن الملك لا يتعـذب بالنار كخزنة جهنم واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله (ان الذين) لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين و يؤيده ما روى أن عليا قرأ هـذه الآية ثم قال أنا منهـم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبـد الرحمن بن عوف وزعم مثبتو العفو أن الحسنى فى الآية هى الوعـد بالعفو

أنا فقال تقوم الليـل وتصوم النهار ولا تغضب فمات ذلك النبى فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشـيطان فى صورة انسـان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل معه رجلا فقال لا أرضى بهـذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى بهذا فخرج اليـه فأخذ بيده فانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل حدثنا ابن المثنى قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا وهيب قال ثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل لى بثلاث أستخلفه يصوم النهار و يقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل ابليس يقول للشـياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعونى واياه فأتاه فى صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليـه فقال ان بينى و بين قومى خصومـة وانهم ظلمونى وفعلوا بى وفعلوا فجعل يطوّل عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال اذا رحت فأتنى آخذ لك بحقك فانطلق و راح فكان فى مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فجعل يتبغيه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس و ينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعـدت فأتنى فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحـدونى قال فانطلق فاذا رحت فأتنى قال ففاتتـه القائلة فراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحـدا يقرب هـذا الباب حتى أنام فانى قد شق علىّ النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراءك فقال انى قد أتيتـه أمس فذكرت له أمرى قال والله لقـد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسوّر منها فاذا هو فى البيت واذا هو يدق الباب قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم آمرك قال أما من قبـلى والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقـه واذا هو معه فى البيت فعرفه فقال أعدوّ الله قال نعم أعييتنى فى كل شئ ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وذا الكفل قال رجل صالح غير نبى تكفل لنبى قومه أن يكفيه أمر قومه و يقيمه لهم و يقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذا الكفل حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه الا أنه قال و يقضى بينهم بالحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسـين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى معشر عن محمد بن قيس

لانه قال أولئك عنها مبعدون بازاء قوله أنتم لها واردون والورود الدخول فالابعاد الاخراج من النار بعد أن كانوا فيها وأيضا إبعاد البعيد محال وقوله (لا يسمعون حسيسها) اذ الصوت الذى يحس به مخصوص بما بعد الاخراج وأيضا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يفهم منه أنه يحزنهم الفزع الاصغر فالاكبر عذاب الكفار والاصغر عذاب صاحب الكبيرة والاكثرون على أن المراد من قوله مبعدون أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة لان ماجعل بعيدا عن شئ ابتداء يحسن أن يقال انه أبعد عنه

وهؤلاء لم يفسروا الورود فى قوله وان منكم الا واردها بالدخول كما مر فى سورة مريم وفى قوله لا يسمعون حسيسها تأكيد للابعاد فقد لا يدخل النار ويسمع حسيسها ثم بين أنهم مع البعد عن المنافى منتفعون بالقرب من الملائم ملتذون به على سبيل التأبيد فقال (وهم فيما اشتهت أنفسهم) أى فيما تطلبه للالتذاذ به (خالدون) هذا نصيب أهل الجنة وأما أهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وأرواحهم وأسرارهم خالدون والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن هو الانصراف الى النار فانه لا فزع أكبر مما اذا شاهدوا النار وهذا أمر يشترك فيه أهل النار جميعا ثم مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح فعند ذلك يستقر أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة وتستقبلهم الملائكة مهنئين قائلين (هذا يومكم) أى وقت ثوابكم (الذى كنتم توعدون) ذلك قال الضحاك هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم والعامل فى (يوم نطوى السماء) لا يحزنهم أو تتلقاهم فنادى والسجل اسم للطومار الذى يكتب فيه وعن ابن عباس أنه ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وهو مروى أيضا عن على رضى عنه وروى أيضا أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعروف قال الزجاج هو الرجل بلغة الحبش فعلى هذه الوجوه فالطى وهو المصدر مضاف الى الفاعل وعلى الوجه الاول هو مضاف الى المفعول والفاعل محذوف كطى الطاوى للسجل

قال كان فى بنى اسرائيل ملك صالح فكبر فجمع قومه فقال أيكم يكفل لى على ملكى هذا على أن يصوم النهار و يقوم الليل و يحكم بين بنى اسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب قال فلم يقم أحد الا فتى شاب فازدراه لحداثة سنه فقال أيكم يكفل لى على ملكى هذا على أن يصوم النهار و يقوم الليل ولا يغضب و يحكم بين بنى اسرائيل بما أنزل الله فلم يقم الا ذلك الفتى قال فازدراه فلما كانت الثالثة قال مثل ذلك فلم يقم الا ذلك الفتى فقال تعال فخلى بينه و بين ملكه فقام الفتى ليلة فلما أصبح جعل يحكم بين بنى اسرائيل فلما انتصف النهار دخل ليقيل فأتاه الشيطان فى صورة رجل من بنى آدم فجذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال اذا كان العشية فأتنى قال فانتظره بالعشى فلم يأته فلما انتصف النهار دخل ليقيل جذب ثوبه وقال أتنام والخصوم على بابك قال قلت لك ائتنى العشى فلم تأتنى ائتنى بالعشية فلما كان بالعشى انتظره فلم يأت فلما دخل ليقيل جذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال أخبرنى من أنت لو كنت من الانس سمعت ماقلت قال هو الشيطان جئت لأفتنك فعصمك الله منى فقضى بين بنى اسرائيل بما أنزل الله زمانا طويلا وهو ذو الكفل سمى ذا الكفل لانه تكفل بالملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى موسى الاشعرى قال وهو يخطب الناس ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلى لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء فى كفالته اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو قال أما ذو الكفل فانه كان على بنى اسرائيل ملك فلما حضره الموت قال من يكفل لى أن يكفينى بنى اسرائيل ولا يغضب و يصلى كل يوم مائة صلاة فقال ذو الكفل أنا فجعل ذو الكفل يقضى بين الناس فاذا فرغ صلى مائة صلاة فكاده الشيطان فأمهله حتى اذا قضى بين الناس وفرغ من صلاته وأخذ مضجعه فنام أتى الشيطان بابه فجعل يدقه فخرج اليه فقال ظلمت وصنع بى وصنع فأعطاه خاتمه وقال اذهب فأتنى بصاحبك وانتظره فأبطأ عليه الآخر حتى اذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه أتى الباب أيضا كى يغضبه فجعل يدقه وخدش وجه نفسه فسالت الدماء فخرج اليه فقال مالك فقال لم يتبعنى وضربت وفعل فأخذه ذو الكفل وأنكر أمره فقال أخبرنى من أنت وأخذه أخذا شديدا قال فأخبره من هو حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وذا الكفل قال قال أبو موسى الاشعرى لم يكن ذو الكفل نبيا ولكنه كفل بصلاة رجل كان يصلى كل يوم مائة صلاة فوفى فكفل بصلاته فلذلك سمى ذا الكفل ونصب اسمعيل وادريس وذا الكفل عطفا على أيوب ثم استؤنف بقوله كل فقال كل من الصابرين ومعنى الكلام كلهم من أهل الصبر فيما نابهم فى الله وقوله وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين يقول تعالى ذكره وأدخلنا اسمعيل وادريس وذا الكفل والهاء والميم عائدتان عليهم فى رحمتنا انهم من الصالحين يقول انهم ممن صلح فأطاع الله وعمل بما أمره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه

وهو قول الاكثرين واشتقاقه من السجل الدلو العظيم وقد قرئ به والتركيب يدل على الامتلاء والاجتماع ولهذا لا يسمى الدلو سجلا الا اذا كان فيه ماء ومنه أسجلت الحوض ملأته وقوله (للكتاب) أي للكتابة ومعناه ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أي ما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وكيفية هذا الطي لا يعلمها الا من أخبر عن ذلك أما قوله (كما بدأنا) فمن المفسرين من قال انه ابتداء كلام ومنهم من قال انه وصف قوله (٦١) هذا يومكم الذي كنتم توعدون بقوله يوم نطوى ثم عقبه بوصف آخر فقال كما بدأنا أول خلق وهو مفعول نعيد الذي يفسره (نعيده) وما كافة أي نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم ومنهم من قال الاعادة انما تتعلق بالضم والتركيب بعد تفريق الاجزاء الاصلية والآية لا تطابقه كل المطابقة وأول خلق كقولك هو أول رجل أي اذا فضلت رجلا رجلا فهو أولهم وانما خص أول الخلائق بالذكر تصويرا للايجاد عن العدم ودفعا للاعتراض وجوز جار الله أن تنتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأنا نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ وقوله (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيد عدة للاعادة وقيل أراد حتما (علينا) لسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه فان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله (انا كنا فاعلين) أي سنفعل ذلك لا محالة فانا قادرون عليه عن سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد أن الزبور جنس للكتب المنزلة كلها والذكر أم الكتاب يعني اللوح ففيه كتابة كل ما سيكون اعتبار الملائكة وكتب الانبياء كلهم منتسخة منه وعن قتادة أن الزبور هو القرآن والذكر هو التوراة وعن الشعبي أن الزبور هو كتاب داود عليه السلام والذكر التوراة وجوز الامام فخر الدين أن يراد بالذكر العلم أي كتبنا فيه بعد أن كنا عالمين غير ساهين والمراد تحقيق وقوع المكتوب فيه والارض أرض الجنة والعباد الصالحون هم المؤمنون العالمون بما يجب عليهم نظيره قوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والسدي وأبو العالية وانما ذهبوا الى هذا القول لان أرض الدنيا

فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد ذا النون يعني صاحب النون والنون الحوت وانما عنى بذي النون يونس بن متى وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع وقوله اذ ذهب مغاضبا يقول حين ذهب مغاضبا * واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا وعمن كان ذهابه وعلى من كان غضبه فقال بعضهم كان ذهابه عن قومه واياهم غاضب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا يقول غضب على قومه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ ذهب مغاضبا أما غضبه فكان على قومه * وقال آخرون ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهموه ذكر من قال ذلك وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد ابن زياد عن عبد الله بن أبي سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعثه الله يعني يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله اليه اني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين أظهرهم فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبحها أدلج ورآه القوم فخرجوا من القرية الى براز من أرضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله فاستقالوه فأقالهم وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية فقال فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من قريتهم الى براز من الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها وعجوا الى الله وتابوا اليه فقبل منهم وأخر عنهم العذاب قال فقال يونس عند ذلك وغضب والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا وعدتهم العذاب في يوم ثم رد عنهم ومضى على وجهه مغاضبا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبي الحسن قال بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مجالد بن سعيد عن الشعبي في قوله اذ ذهب مغاضبا قال مغاضبا لربه حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير فذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وزاد فيه قال فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيأ قال جربوا علي كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن عن وهب بن منبه اليماني قال سمعته يقول ان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة ولها أثقال لا يحملها الا قليل تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر

أولو العزم من الرسل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اى لا تلق أمرى كما ألقاه وهذا القول أعنى قول من قال ذهب عن قومه مغاضبا لربه أشبه بتأويل الآية وذلك لدلالة قوله فظن أن لن نقدر عليه على ذلك على أن الذين وجهوا تأويل ذلك الى أنه ذهب مغاضبا لقومه انما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبى من الانبياء ربه واستعظاما له وهم بقيلهم انه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا فى أمر أعظم مما أنكروا وذلك أن الذين قالوا ذهب مغاضبا لربه اختلفوا فى سبب ذهابه كذلك فقال بعضهم انما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى دفع به عنهم البلاء وقال بعض من قال هذا القول كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة يونس فكرهنا اعادته فى هذا الموضع * وقال آخرون بل انما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له الامر أسرع من ذلك ولم ينظر حتى شاء أن ينظر الى أن يأخذ نعلا ليلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أعجلنى ربى أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا وممن ذكر هذا القول عنه الحسن البصرى **حدثنى** بذلك الحرث قال ثنا الحسن بن موسى عن أبى هلال عن شهر بن حوشب عنه * قال أبو جعفر وليس فى واحد من هذين القولين من وصف نبى الله يونس صلوات الله عليه شئ الا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا ذهب مغاضبا لقومه لان ذهابه عن قومه مغاضبا لهم وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ليبلغهم رسالته ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الايمان به والعمل بطاعته لا شك أن فيه ما فيه ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه باتيان الخطيئة لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التى ذكرها فى كتابه ويصفه بالصفة التى وصفه بها فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ويقول فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وقوله فظن أن لن نقدر عليه اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه من قولهم قدرت على فلان اذا ضيقت عليه كما قال الله جل ثناؤه ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن يأخذه العذاب الذى أصابه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن نقضى عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه فى غضبه اذ غضب عليهم وفراره وعقوبته أخذ النون اياه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية فظن أن لن نقدر عليه قال فظن أن لن نعاقبه بذنبه

تم الصالح وغير الصالح ولان الآية وردت بعد ذكر الاعادة وعن ابن عباس أيضا فى رواية الكلبى أنها أرض الدنيا يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار نظيره وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض وقيل الأرض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند نزول عيسى بن مريم (ان فى هذا) الذى ذكر فى السورة من الاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك (لبلاغا) لكفاية (لقوم عابدين) عاملين بما ينبغى عمله من الخيرات بعد ما علموا من كيفية أدائها والبلاغ ما يبلغ به المرء مطلوبه من الوسائط والوسائل ولا مطلوب أجل من سعادة الدارين فكل من كان وسيلة الى نيل هذا المطلوب على الوجه الأتم الاكمل كان وجوده رحمة من الله للطالب المتحير وما ذاك الا خاتم النبيين فلهذا قال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وكونه رحمة للكل لا ينافى قتله بعض الكفرة والتعرض لاموالهم وأولادهم كما أن كى بعض أعضاء المريض بل قطعه لا ينافى حذق الطبيب واشفاقه على المريض ومن هنا قيل آخر الدواء الكى والعاقل لا ينسب التقصير الى الفاعل لقصور فى القابل قالت المعتزلة لو كان كفر الكافر بخلق الله لم يكن ارسال الرسول رحمة له لانه لا يحصل له حينئذ الا لزوم الحجة عليه وأجيب بأن كونه رحمة للفجار هو أنهم أمنوا بسببه عذاب الاستئصال ولا يلزم أن يكون الرسول رحمة للمؤمنين من جهة كونه رحمة للكافرين والجواب المحقق أن كونه رحمة عامة بالنسبة الى أمة الدعوة لا ينافى كونه رحمة خاصة بالنسبة الى أمة الاجابة وهو قريب مما ذكرناه أولا والحجة وتبعتها لازمة على الكافر وان لم يبعث النبى غايته أنها بعد البعثة ألزم وفى الآية دلالة على أن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة لانه رحمة لهم فانهم من العالمين وعورض بقوله ويستغفرون لمن فى الارض والاستغفار رحمة والجواب أن الرحمة تعنى كونه فى نفسه مكملا كاملا فى الغاية غير الرحمة بمعنى الدعاء فلا يلزم من كون الاول سببا للافضلية كون الثانى كذلك ثم بين أن أصل تلك الرحمة وأسها هو دعاؤه الى التوحيد والبراءة عن الشرك فقال (قل انما يوحى الى) ان كانت ما موصولة فمعناه ان الذى يوحى الى هو أن وصفه تعالى مقصور على الوحدانية لا يتجاوزه الى ما يناقضها أو يضادها بأى قسمة فرضت وان كانت كافة فالمعنى أن الوحى مقصور على استئثار الله بالوحدة وذلك أن القصر يكون أبدا لما يلى انما وفى قوله (فهل أنتم مسلمون) بعث لهم على قبول هذا الوحى الذى هو أصل التكاليف كلها وفيه نوع من التهديد فلذلك صرح به

قائلا (فان تولوا فقل آذنتكم) أى أعلمتكم والمراد ههنا أخص من ذلك وهو الانذار (على سواء) هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء الى وقت أى حال كونكم مستوين فى ذلك لافرق بين القريب والاجنبى والقاصى والدانى والشريف والوضيع ولهذا قال أبو مسلم الايذان على سواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء وقيل أراد أعلمتكم ما هو الواجب عليكم من أصول التكاليف ولا سيما التوحيد على السوية من غير فرق فى الابلاغ بين مكلف ومكلف ولست (أدرى أقريب ما توعدون) أم بعيد والموعود قيل هو عذاب الآخرة واعترض بأنه ينافى قوله واقترب الوعد الحق وقيل هو الامر بالقتال لان السورة مكية وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل هو اعلاء شأن الاسلام وغلبة ذويه فانه لابد أن يلحق للكفار حينئذ ذلة وصغار ولما أمره أن ينفى عن نفسه علم الغيب أمره أن يقول لهم ان الله سبحانه هو العالم بالسر والعلن فيعلم ما تجاهرون به من المطاعن فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والضغائن فيجازيكم على القبيلين (وان أدرى لعله) أى ما أدرى لعل تأخير هذا الوعد أو ابهام وقته أو تأخير الامر بالجهاد امتحان لكم لينظر كيف تعملون وتمتيع لكم (الى حين) حضور وقت الموعد وقال الحسن لعل ما أنتم عليه من الدنيا ونعيمها بلية لكم وقيل أراد لعل ما بينت وأعلمت وأوعدت ابتلاء لكم لان المعرض عن الايمان مع البيان حالا بعد حال يكون عذابه أشد ومعنى (رب احكم بالحق) اقض بينى وبين من يكذبنى بالعذاب قال قتادة أمره الله تعالى أن يقتدى بالانبياء فى هذه الدعوة وكانوا يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فاستجيب له فعذبوا ببدر وقال جار الله معنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقيل معناه وافعل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع تنصرنى عليهم كأنه سبحانه قال له قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار (وربنا الرحمن المستعان) الذى يستعان به (على ما تصفون) من الشرك والكفر وما تعارضون به دعوتى من الاباطيل وكانوا يطمعون أن يكون لهم الغلبة والدولة فقلب الله الامر عليهم وفى هذا الامر تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ورفع من مقداره حيث أمر بالانقطاع الى الرب فى دفع أذية القوم ليحصل له مع الخلاص من أذيتهم شرف الاستجابة وهذه غاية العناية ۞ التأويل ان هذه

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال ثنى شعبة عن مجاهد ولم يذكر فيه الحكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فظن أن لن نقدر عليه قال يقول ظن أن لن نعاقبه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والكلبى فظن أن لن نقدر عليه قالا ظن أن لن نقضى عليه العقوبة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن الله لن يقضى عليه عقوبة ولا بلاء فى غضبه الذى غضب على قومه وفراقه اياهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابن عباس فى قوله فظن أن لن نقدر عليه قال البلاء الذى أصابه * وقال آخرون بل معنى ذلك فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن قال بلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه قال وكان له سلف وعبادة وتسبيح فأبى الله أن يدعه للشيطان فأخذه فقذفه فى بطن الحوت فمكث فى بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم فأمسك الله نفسه فلم يقتله هنالك فتاب الى ربه فى بطن الحوت وراجع نفسه قال فقال سبحانك انى كنت من الظالمين قال فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته بما كان سلف من العبادة والتسبيح فجعله من الصالحين قال عوف وبلغنى أنه قال فى دعائه وبنيت لك مسجدا فى مكان لم يبنه أحد قبلى حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف من عبادة وتسبيح فتداركه الله بها فلم يدعه للشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث عن اياس بن معاوية المدنى أنه كان اذا ذكر عنده يونس وقوله فظن أن لن نقدر عليه يقول اياس فلم فر * وقال آخرون بل ذلك بمعنى الاستفهام وانما تأويله أفظن أن لن نقدر عليه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فظن أن لن نقدر عليه قال هذا استفهام وفى قوله فما تغنى النذر قال استفهام أيضا « قال أبو جعفر » وأولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى به فظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه عقوبة له على مغاضبته ربه وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة لانه لا يجوز أن ينسب الى الكفر وقد اختاره لنبوته ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه وصف له بأنه جهل قدرة الله وذلك وصف له بالكفر وغير جائز لأحد وصفه بذلك وأما ما قاله ابن زيد فانه قول لو كان فى الكلام دليل على أنه استفهام حسن ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك والعرب لا تحذف من الكلام شيأ لهم اليه حاجة الا وقد أبقت دليلا على أنه مراد فى الكلام فاذ لم يكن فى قوله فظن أن لن نقدر عليه دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد كان معلوما أنه ليس به واذ

فسد هذان الوجهان صح الثالث وهو ما قلنا وقوله فنادى في الظلمات اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الظلمات فقال بعضهم عنى بها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون فنادى في الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذلك قال أيضا ابن جريج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبي سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى في الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين حدثني محمد بن ابراهيم السلمي قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا محمد بن رفاعة قال سمعت محمد بن كعب يقول في هذه الآية فنادى في الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فنادى في الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فنادى في الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل * وقال آخرون انما عنى بذلك أنه نادى في ظلمة جوف حوت في جوف حوت آخر في البحر قالوا فذلك هو الظلمات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد فنادى في الظلمات قال أوحى الله الى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما ثم ابتلع الحوت حوت آخر قال فنادى في الظلمات قال ظلمة حوت ثم حوت ثم ظلمة البحر « قال أبو جعفر » والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ولا شك أنه قد عنى باحدى الظلمات بطن الحوت وبالأخرى ظلمة البحر وفي الثالثة اختلاف وجائز أن تكون تلك الثالثة ظلمة الليل وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر ولا دليل يدل على أي ذلك من أي فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل وقوله لا اله الا أنت سبحانك يقول نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائبا من خطيئته انى كنت من الظالمين في معصيتي اياك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبي سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين معترفا بذنبه تائبا من خطيئته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال أبو معشر قال محمد بن قيس قوله لا اله الا أنت سبحانك ما صنعت من شئ فلم أعبد غيرك انى كنت من الظالمين حين عصيتك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمن عن عوف الاعرابي قال لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجله فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يارب اتخذت لك مسجدا في موضع ما اتخذه أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن

أمتكم فيه اشارة الى أن السالك اذا عبر المقامات التي ذكرنا تصير متفرقات شمله مجتمعة في الفناء بالله والبقاء به فيكون أمة واحدة في ذاته كما أن ابراهيم كان أمة فيعرفه الله نفسه و يقول أنا ربكم الذي بلغتكم هذه الرتبة فاعبدون أي فاعرفون وتقطعوا أمرهم فمنهم من سكن الى الدنيا ومنهم من سكن الى الجنة ومنهم من فر الى الله كل الينا راجعون أما طالب الدنيا فيرجع الى صورة قهرنا وهي جهنم وأما طالب الآخرة فيرجع الى صورة رحمتنا وهي الجنة وأما الذي يطلبنا فانه يرجع الينا بالحقيقة وانا له كاتبون في الازل من أهل السعادة حتى اذا فتح سد يأجوج النفس ومأجوج الهوى والسد أحكام الشريعة وفتحها بمخالفاتها وموافقات الطبع وهم أعني دواعي النفس من كل معدن شهوة من الحواس الظاهرة والباطنة ينسلون فيفسدون ما عبرون عليه من القلب والسر والروح واقترب الوعد اهلاك القلوب الغافلة فاذا هي شاخصة أبصار بصائرها بالانهماك في الاهواء ان الذين سبقت لهم منا الحسنى العناية الازلية لا يسمعون حسيسها أعني مقالات أهل البدع والاهواء وهم فيما اشتهت أنفسهم المطمئنة المجذوبة بجذبة ارجعي في مقامات السير في الله خالدون الفزع الاكبر قوله في الازل هؤلاء في النار ولا أبالي يوم نطوي سماء وجود الانسان بتجلي صفات الجلال في افناء مراتب الوجود من الانتهاء الى الابتداء وذلك قوله كما بدأنا أول خلق نعيده يعني أن الرجوع يكون بالتدريج كما أن البدء كان بالتدريج خلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ففي الاعادة يجب أن يعبر السالك من الاحساس على الحيوانية ثم النباتية ثم المعدنية ثم البسائط العنصرية ثم الملكوتية ثم الروحانية ثم الى صفات الربوبية بجذبة ارجعي الى ربك ولقد كتبنا في الزبور أي في أم الكتاب من بعد الذكر أي بعد أن قلنا للقلم اكتب نظيره كن فيكون أن أرض جنة الوجود الحقيقي يرثها عبادي الصالحون وهم الذين طويت سماء وجودهم المجازي فالوجود المجازي لكونه غير ثابت ولا مستقر كالسماء والوجود الحقيقي لكونه ثابتا ومستقرا على حالة واحدة كالارض لقوم عابدين عارفين وما أرسلناك من كتم العدم الا رحمة للعالمين فلولاك لما خلقت الافلاك أول ما خلق الله روحي ولولا الأزل لم تنته الهداية الى الآخر والله أعلم

(سورة الحج مكية الا قوله هذان خصمان الى صراط الحميد حروفها خمسة آلاف ومائة وخمسة وسبعون كلمها ألف ومائتان واحدى وتسعون آياتها ثمان وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى (٦٥) عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا

ابن اسحق عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر عظما فأخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا قال فأوحى الله اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تبارك وتعالى وهو سقيم

❁ القول في تأويل قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) يقول تعالى ذكره فاستجبنا ليونس دعاءه ايانا اذ دعانا في بطن الحوت ونجيناه من الغم الذي كان فيه بحبسناه في بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه وكذلك ننجي المؤمنين يقول جل ثناؤه وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر اذ دعانا كذلك ننجي المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا ودعونا * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الاثر ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن قال ثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فهو شرط الله لمن دعاه بها * واختلفت القراء في قراءة قوله ننجي المؤمنين فقرأت ذلك قراء الامصار سوى عاصم بنونين الثانية منهما ساكنة من أنجيناه فنحن ننجيه وانما قرؤا ذلك كذلك وكتابته في المصاحف بنون واحدة لأنه لو قرئ بنون واحدة وتشديد الجيم بمعنى ما لم يسم فاعله كان المؤمنون رفعا وهم في المصاحف منصوبون ولو قرئ بنون واحدة وتخفيف الجيم كان الفعل للمؤمنين وكانوا رفعا ووجب مع ذلك أن يكون قوله نجى مكتوبا بالالف لانه من ذوات الواو وهو في المصاحف بالياء فان قال قائل فكيف كتب ذلك بنون واحدة وقد علمت أن حكم ذلك اذا قرئ ننجي أن يكتب بنونين قيل لأن النون الثانية لما سكنت وكان الساكن غير ظاهر على اللسان حذفت كما فعلوا ذلك بالا فحذفوا النون من ان لخفائها اذ كانت مندغمة في اللام من لا وقرأ ذلك عاصم نجي المؤمنين بنون واحدة وتثقيل الجيم وتسكين الياء فان يكن عاصم وجه قراءته ذلك الى قول العرب ضرب الضرب زيدا فكنى عن المصدر الذي هو النجاء وجعل الخبر أعني خبر ما لم يسم فاعله المؤمنين كأنه أراد وكذلك نجي النجاء المؤمنين فكنى عن النجاء

في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا
أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ ۞ القراآت سكرى في الحرفين على تأويل الجماعة حمزة وعلي * خلف ونقر ثم
نخرجكم بالنصب فيهما المفضل وربأت بالهمزة حيث كان يزيد ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب خاسر الدنيا اسم فاعل منصوبا
على الحالية روح وزيد ثم ليقطع ثم ليقضوا بكسر اللام فيهما أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وورش وافق القواس في
ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا
وليطوفوا وقرأ الأعشى وليوفوا
بالتشديد وقرأ أبو بكر وحماد
وليوفوا بالتشديد وسكون اللام
الباقون بالتخفيف والسكون هذان
بتشديد النون ابن كثير ۞ الوقوف
ربكم ج على تقدير فان
عظيم ○ شديد ○ مريد ○ لا
لأن ما بعده صفة السعير ○
لنبين لكم ط لأن التقدير ونحن
نقر ومن قرأ بالنصب لم يقف أشدكم
ج لانقطاع النظم في اتحاد المعنى
شيأ ط بهيج ○ قدير ○ لا
للعطف فيها لا القبور ○ منير
○ لا لأن ما بعده حال عن سبيل
الله ط الحريق ○ للعبيد
○ حرف ج للشرط مع الفاء به لا
للعطف مع الفاء مع الاستقلال على
وجهه ق الالمن قرأ خاسر الدنيا
والآخرة ط المبين ○ ينفعه
ط البعيد ○ من نفعه ط
العشير ○ الانهار ط ما يريد ○
ما يغيظ ○ بينات ط من يريد
○ يوم القيامة ط شهيد ○
من الناس ط وقيل يوصل
ويوقف على العذاب ط مكرم
ط ما يشاء ○ في ربهم ز
لعطف الجملتين المتفقتين مع أن
ما بعده ابتداء بيان حال الفريقين
أحدهما فالذين كفروا والثاني ان
الله يدخل من نار ج ○ الحميم ج ○
لان ما بعده يصلح استئنافا وحالا
أو وصفا على أن تذم للجنس كما في قوله ※ ولقد أمر على اللئيم يسبني * والجلود ○ من حديد ط ○ الحريق ○
۞ التفسير انه قد انجر الكلام من خاتمة السورة المتقدمة الى حديث الاعادة وما قبلها أو بعدها كورائة المؤمنين الارض وما معها كطي
السماء فلاجرم بدأ الله سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها حثا على التقوى التي هي خير زاد الى المعاد ويدخل في التقوى فعل
الواجبات وترك المنكرات ولا يكاد يدخل فيها النوافل لان المكلف لا يخاف بتركها العذاب وانما يرجو بفعلها الثواب ويمكن أن يقال ان

فهو وجه وان كان غيره أصوب والا فان الذي قرأ من ذلك على ما قرأه لحن لان المؤمنين اسم على
القراءة التي قرأها ما لم يسم فاعله والعرب ترفع ما كان من الاسماء كذلك وانما حمل عاصما على
هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة وكان في قراءته اياه على ما عليه قراءة القراء الحاق نون
أخرى ليست في المصحف فظن أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف ولم يعرف لحذفها وجها يصرفه اليه
* قال أبو جعفر والصواب من القراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار من
قراءته بنونين وتخفيف الجيم لاجماع الحجة من القراء عليه وتخطئتها خلافه ۞ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ يقول
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه رب لا تذرني وحيدا
فردا لا ولد لي ولا عقب وأنت خير الوارثين يقول فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني ثم رد الامر الى
الله فقال وأنت خير الوارثين يقول الله جل ثناؤه فاستجبنا لزكريا دعاءه ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا
يرثه وأصلحنا له زوجه * واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله
وأصلحنا له زوجه فقال بعضهم كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها ولودا ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا حاتم بن اسمعيل عن حميد بن صخر عن عمار عن سعيد في قوله وأصلحنا
له زوجه قال كانت لا تلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال
قال ابن عباس في قوله وأصلحنا له زوجه قال وهبنا له ولدها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله وأصلحنا له زوجه كانت عاقرا فجعلها الله ولودا ووهب له منها يحيى * وقال
آخرون كانت سيئة الخلق فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق * قال أبو جعفر والصواب من
القول في ذلك أن يقال ان الله أصلح لزكريا زوجه كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخلق
لان كل ذلك من معاني اصلاحه اياها ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه ولا
على لسان رسوله ولا وضع على خصوص ذلك دلالة فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن
ذلك مراد به بعض دون بعض وقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات يقول الله ان الذين سميناهم
يعني زكريا وزوجه ويحيى كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا والعمل بما يقربهم الينا وقوله
ويدعوننا رغبا ورهبا يقول تعالى ذكره وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا وعنى بالدعاء في هذا الموضع
العبادة كما قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا
ويعني بقوله رغبا أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ورهبا يعني
رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
ابن جريج انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا قال رغبا في رحمة الله ورهبا

ترك النوافل قد يفضي الى الاخلال بالواجب فلهذا الايكاد المتقي يتركها روى أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع الناس حوله فقرأهما عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيم وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومتفكر وهذه الزلزلة هي المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها ومعناها شدة التحريك وتضعيف الحروف دليل على تضعيف المعنى كأنه (٦٧) ضوعف زلل الاشياء عن مقارها ومراكزها

من عذاب الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا قال وليس ينبغي لاحدهما أن يفارق الآخر * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء من الرغب والرهب واختلف عن الأعمش في ذلك فرويت عنه الموافقة في ذلك للقراء وروى عنه أنه قرأها رغبا ورهبا بضم الراء في الحرفين وتسكين الغين والهاء والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك الفتح في الحرفين كليهما وقوله وكانوا لنا خاشعين يقول وكانوا لنا متواضعين متذللين ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر التي أحصنت فرجها يعني مريم بنت عمران ويعني بقوله أحصنت حفظت ومنعت فرجها مما حرم الله عليها اباحته فيه واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته فقال بعضهم عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة * وقال آخرون عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها وقبل ان تثبته معرفة قالوا والذي يدل على ذلك قوله فنفخنا فيها ويعقب ذلك قوله والتي أحصنت فرجها قالوا وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام والتي أحصنت جيبها فنفخنا فيها من روحنا * قال أبو جعفر والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال أحصنت فرجها من الفاحشة لان ذلك هو الأغلب من معنييه عليه والأظهر في ظاهر الكلام فنفخنا فيها من روحنا يقول فنفخنا في جيب درعها من روحنا وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله فنفخنا فيها في غير هذا الموضع والاولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين يقول وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين لان معنى الكلام جعلناهما علما لنا وحجة فكل واحد منهما في معنى الدلالة على الله وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر اذ كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ان هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أمتكم أمة واحدة يقول دينكم دين واحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد في قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة قال دينكم دين واحد ونصبت الأمة الثانية على القطع وبالنصب قرأه جماعة قراء الامصار وهو الصواب عندنا لان الأمة الثانية نكرة والاولى معرفة واذا كان ذلك كذلك وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب هذا

والاضافة اضافة المصدر الى الفاعل على المجاز الحكمي العائد الى الاسناد في قولك زلزلت الساعة الارض أو الى المفعول فيه على الاتساع فلا مجاز في الحكم لان المراد حينئذ هو أن فاعلها الله في القيامة قاله الحسن وعن الشعبي هي طلوع الشمس من مغربها فتكون الاضافة بمعنى اللام كقولك أشراط الساعة قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان المعدوم شئ لان الله تعالى سمى زلزلة الساعة شيأ مع أنها معدومة أجاب الاشاعرة بأن المراد هو أنها اذا وجدت كانت شيأ عظيما وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة بقوله (تذهل) أي تغفل عن دهشة (كل مرضعة) وهي التي ترضع بالفعل مباشرة للارضاع وانما يقال لها المرضع من غير هاء اذا أريد معنى اعم وهو أنه من شأنها الارضاع بالقوة أو بالفعل كحائض وطالق وفي هذا تصوير لهول الزلزلة كأنه بلغ مبلغا لو ألقمت المرضعة الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الخوف وما في (عما أرضعت) مصدرية أو موصولة أي عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وانما قال (كل ذات حمل) دون كل حامل ليكون نصا في موضع الجنين فان الحمل بالفتح هو ما كان في بطن أو على رأس شجرة والثاني خارج بدليل العقل فبقي الاول قال القفال ذهول المرضعة ووضع ذات الحمل حملها يحتمل أن يكون على جهة التمثيل كقوله يوما يجعل الولدان شيبا (وترى الناس) أفرد بعد أن جمع لان الزلزلة تراها الناس جميعا وأما السكر الشامل للناس فانه يراه من له أهلية الخطاب بالرؤية وقتئذ ولعله ليس الا النبي صلى الله عليه وسلم قوله (سكارى وما هم بسكارى) أثبت السكر أولا على وجه التشبيه فان الخوف مدهش كالمسكر ونفاه ثانيا على التحقيق اذ لم يشربوا خمرا وهذه أمارة كل مجاز روى أبو سعيد

مع اجماع الحجة من القراء عليه وقد ذكر عن عبد الله بن أبي اسحق أنه قرأ ذلك رفع ذلك أنه قرأ أمة واحدة بنية تكرير الكلام كأنه أراد ان هذه أمتكم هذه أمة واحدة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون﴾ يقول تعالى ذكره وتفرق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم اليه فصاروا فيه أحزابا فتهودت اليهود وتنصرت النصارى وعبدت الاوثان ثم أخبر جل ثناؤه عما هم اليه صائرون وأن مرجع جميع أهل الأديان اليه متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن باحسانه والمسيء باساءته * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال تقطعوا اختلفوا في الدين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون﴾ يقول تعالى ذكره فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح وأطاعه في أمره ونهيه وهو مقر بوحدانية الله مصدق بوعده ووعيده متبرئ من الأنداد والآلهة فلا كفران لسعيه يقول فان الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له وهو به مؤمن فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ولا يكفر ذلك له فيجحده ويحرمه ثوابه على عمله الصالح وانا له كاتبون يقول ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها فلا نترك منها شيأ لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره * قال أبو جعفر والكفران مصدر من قول القائل كفرت فلانا نعمته فأنا أكفره كفرا وكفرانا ومنه قول الشاعر

من الناس ناس ما تنام خدودهم * وخدي ولا كفران لله نائم

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله وحرام فقرأته عامة قراء أهل الكوفة وحرم بكسر الحاء وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وحرام بفتح الحاء والالف والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك أن الحرم هو الحرام والحرام هو الحرم كما الحل هو الحلال والحلال هو الحل فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وكان ابن عباس يقرؤه وحرم بتأويل وعزم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قال فقلت لسعيد أي شيء حرم قال عزم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قلت لابي المعلى ما الحرم قال عزم عليها حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذه الآية وحرم على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون فلا يرجع منهم راجع ولا يتوب منهم تائب حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا

الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود واختلفوا في أن شدة ذلك اليوم تحصل لكل واحد أو لاهل النار خاصة فقيل ان الفزع الاكبر يعم وغيره يختص بأهل النار وان أهل الجنة يحشرون وهم آمنون وقيل تحصل للكل ولا اعتراض لاحد على الله ثم أراد أن يحتج على منكري البعث فقدم لذلك مقدمة تشمل أهل الجدال كلهم فقال (ومن الناس من يجادل) نظيره ومن الناس من يقول وقد مر اعرابه في أول البقرة ومعنى (في الله) في شأن الله وفيما يجوز عليه وما لا يجوز من الصفات والافعال ويفهم من قوله (بغير علم) ان المعارف كلها ليست ضرورية وأن المذموم من الجدال هو هذا القسم وأما الجدال الصادر عن العلم والتحقيق فمحمود مأمور به في قوله وجادلهم بالتي هي أحسن والشيطان المريد العاتي سمي بذلك لخلوه عن كل خير وقد مر في قوله مردوا على النفاق والمراد ابليس وجنوده أو رؤساء الكفار الذين يدعون أشياعهم الى الكفر عن ابن عباس نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا ومعنى (كتب عليه) قضي على ذلك الشيطان أو علم من حاله ظهر وتبين والاول يليق بأصول الاشاعرة والثاني بأصول الاعتزال وقيل المراد كتب على من يتبع الشيطان ولا يخلو عن تعسف أنه من تولى الشيطان أي جعله وليا له أضله عن طريق الجنة وهداه الى النار قال صاحب الكشاف أن الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه وفيه نظر لان من يبقى بلا جواب ان جعلت شرطية وبلا خبر ان جعلت موصولة والصحيح أن قوله فأنه مبتدأ أو خبر محذوف صاحبه والتقدير من تولاه فشأنه أنه يضله أو أنه يضله ثابت اللهم الا اذا جعلت من موصوفة تقديره كتب على من يتبع الشيطان

أنه شخص تولى الشيطان فأنه كذا أي كتب عليه ذلك وحين نبه عموما على فساد طريقة المجادلين بغير علم خصص المقصود من ذلك والمعنى ان ارتبتم في البعث فعكم ما يزيل ريبكم وهو أن تنظروا في بدء خلقكم فبين التراب والنطفة والماء الصافي كماء الفحل لانه ينطف نطفانا أي يسيل سيلانا تاما مباينة وكذا بين النطفة والعلقة وهي قطعة الدم الجامد لانها اذ ذاك تعلق بالرحم وكذا بين العلقة والمضغة وهي قدر ما يمضغ من اللحم ولا ريب أن القادر على تقليب الانسان في هذه الاطوار المتباينة ابتداء (٦٩) قادر على اعادته الى أحد هذه الاطوار بل هذه أدخل في القدرة وأهون في القياس قال الجوهري المخلقة التامة الخلق وقال قتادة والضحاك أراد أنه يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فلذلك يتفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصهم وقال مجاهد المخلقة الولد يخرج حيا وغير المخلقة السقط لانه لم يتوارد عليه الخلق بعد خلق وقيل المخلقة المصورة وغير المخلقة ضدها وهو الذي يبقى لحما من غير تخطيط وشكل ويناسبه ما روى علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يارب فما صفتها أذكر أم أنثى ما رزقها وأجلها أشقي أم سعيد فيقول سبحانه انطلق الى الكتاب واستنسخ منه هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي آخر صفتها وقوله (لنبين لكم) غاية لقوله خلقناكم أي انما نقلناكم من حال الى حال ومن طور الى طور لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وورود الفعل غير معدى الى المبين اشعار بأن ذلك المبين مما لا يكتنه كنهه ولا يحيط به الوصف وقيل أراد ان كنتم في ريب من البعث فانا نخبركم أنا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل ريبكم في أمر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يعجز عن الاعادة ولما بين كيفية خلق الانسان بالتدريج الى أن تتكامل اعضاؤه أراد أن يبين أن من الابدان ما تمجه الارحام ومنها ما تنطوي هي عليه الى كمال النضج والتربية فأسقط القسم الاول اكتفاء بالثاني واستأنف قائلا (ونقر في الارحام ما نشاء) أن نقره من ذلك (الى أجل مسمى) هو كمال ستة أشهر الى أربع سنين غايتها عرفت بالاستقراء (ثم نخرجكم) أي كل واحد منكم طفلا أو الغرض الدلالة على الجنس فاكتفى بالواحد

داود عن عكرمة قال وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون قال لم يكن ليرجع منهم راجع حرام عليهم ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد قال ثنا جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر عن الرجعة فقرأ هذه الآية وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون فكأن أبا جعفر وجه تأويل ذلك الى أنه وحرام على أهل قرية أمتناهم أن يرجعوا الى الدنيا والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي بالصواب وذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بعث به اليهم الرسل ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعته اليه رسله من الايمان به والعمل بطاعته ثم أتبع ذلك قوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون فلأن يكون ذلك خبرا عن صنيعه بمن أبى اجابة رسله وعمل بمعصيته وكفر به أحرى ليكون بيانا عن حال القرية الاخرى التي لم تعمل الصالحات وكفرت به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام حرام على أهل قرية أهلكناهم بطبعنا على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم اذ صدوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا أن يتوبوا ويراجعوا الايمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا واذ كان ذلك تأويل قول الله وحرم وعزم على ما قال سعيد لم تكن لا في قوله أنهم لا يرجعون صلة بل تكون بمعنى النفي ويكون معنى الكلام وعزم منا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم وكذلك اذا كان معنى قوله وحرم نوجبه وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة فان معنى الكلام وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا فتح عن يأجوج ومأجوج وهما أمتان من الامم ردمهما كما حدثني عصام بن داود بن الجراح قال ثني أبي قال ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان والدابة ثم يأجوج ومأجوج قال حذيفة قلت يارسول الله وما يأجوج ومأجوج قال يأجوج ومأجوج أمم كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه وهم ولد آدم فيسيرون الى خراب الدنيا يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء فيرمون بالنشاب الى السماء فترجع نشابهم مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا من في السماء وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين فيوحي الله جل جلاله الى عيسى أن أحرز عبادي بالطور وما يلي أيلة ثم ان عيسى يرفع رأسه الى السماء ويؤمن المسلمون فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النغف تدخل من مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام الى حاق العراق حتى تنتن الارض من جيفهم ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الارض من جيفهم ونتنهم فعند ذلك طلوع الشمس من

(ثم) نربيكم شيأ بعد شئ (لتبلغوا أشدكم) ومن قرأ ونقر بالنصب فمعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغايتين احداهما أن نبين قدرتنا والثانية أن نقر في الارحام من نقر حتى تولدوا وتنسلوا وتبلغوا حد التكليف والأشد كمال القوة والتمييز كأنه شدة في غير شئ واحد فلذلك بنى على لفظ الجمع قوله (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وقد مر في النحل شبهه فليرجع اليه ثم أكد أمر البعث بالاستدلال من حال النبات أيضا فقال (وترى) أي تشاهد أيها المستحق للخطاب (٧٠) (الارض) حال كونها (هامدة) ميتة يابسة لا نبات بها والتركيب يدل على ذهاب مابه قوام الشئ ورواؤه من ذلك همدت النار همودا طفئت وذهبت بكليتها وهمد الثوب همودا بلي (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت ولا يكاد يستعمل الاهتزاز الا في حركة تصدر عن سرور ونشاط (وربت) انتفخت وزادت كما مر في قوله زبدا رابيا وذلك في الرعد والمراد كمال تهيؤ الارض لظهور النبات منها ومن قرأ بالهمزة فمعناه ارتفعت من قولهم ربأ القوم اذا كان لهم طليعة فوق شرف ثم أشار الى كمال حاله في الظهور بقوله (وأنبتت من كل زوج) أي بعضا من كل صنف (بهيج) والبهجة النضارة وحسن الحال ولهذا قال المبرد هو الشئ المشرق الجميل واسناد الانبات الى الارض مجاز لان المنبت بالحقيقة هو الله (ذلك) الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من عجائب الصنع وغرائب الابداع حاصل (ب) أمور خمسة الاول (أن الله هو الحق) الثابت الذي لا يزول ملكه وملكه لا حق في الحقيقة الا هو فما سواه يكون مستندا الى خلقه وتكوينه لا محالة الثاني أنه من شأنه احياء الموتى الثالث أنه على كل شئ قدير وهذا كالبيان لما تقدمه فان القادر على كل شئ ممكن قادر لا محالة على احياء الموتى لانه من جملة الممكنات وبيان امكانه ظاهر فان كل ما جاز على شئ في وقت ما جاز عليه في سائر الاوقات اذ لو امتنع فاما لغيره فالاصل عدمه واما لذاته وهذا يقتضي أن لا يتصف به أولا فثبت أنه ما بالذات لا يزول بالغير الرابع والخامس قوله (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) قال في الكشاف معناه أنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد قلت ان هذا التفسير غير واف فلقائل أن يقول ما حاصل الآيات يرجع الى قولنا ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم بالتدريج وأحيينا الارض بسبب أنا وعدنا الساعة ووعدنا صادق

مغربها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال ان يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الانس الضعف وان الجن يزيدون على الانس الضعف وان يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت وهب بن جابر يحدث عن عبد الله بن عمرو أنه قال ان يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة ويمر آخرهم فيقول قد كان في هذا مرة ماء لا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وقال من بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تاويل وتاريس وناسك أو منسك شك شعبة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن وهب بن جابر الخيواني قال سألت عبد الله بن عمرو عن يأجوج ومأجوج أمن بني آدم هم قال نعم ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تاريس وتاويل ومنسك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن حماد أبو عتاب قال ثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول قال عبد الله بن عمرو يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقمون ما شاؤا ونساء يجامعون ما شاؤا وشجر يلقمون ما شاؤا ولا يموت رجل الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا زكريا عن عامر عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن سلام قال ما مات أحد من يأجوج ومأجوج الا ترك ألف ذرء فصاعدا حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عطية قال قال أبو سعيد يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا الا قتلوه الا أهل الحصون فيمرون على البحيرة فيشربونها فيمر المار فيقول كأنه كان ههنا ماء قال فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصيروا خبالا فتقول أهل الحصون لقد هلك أعداء الله فيدلون رجلا لينظر ويشترط عليهم ان وجدهم أحياء أن يرفعوه فيجدهم قد هلكوا قال فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم في البحر فتطهر الارض منهم ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل وتخرج الارض ثمرتها كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس قال بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خيلا كل يوم يحرسون الردم لا يأمن يأجوج ومأجوج أن تخرج عليهم قال فيسمعون جلبة وأمرا شديدا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أبي اسحق أن عبد الله بن عمرو قال ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف وان من ورائهم لثلاث أمم ما يعلم عددهم الا الله منسك وتاويل وتاريس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن عمرو البكالي قال ان الله جزأ الملائكة والانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون وهم

الملائكة

وهذا كلام غير منتظم فى الظاهر كما ترى ولو صح هذا الاستغنى عن التطويل بأن يقال مثلا لا تشكوا فى أمر البعث فانه كائن لامحالة والذى يسنح لى فى تفسيره أنه سبحانه أزال الشك فى أمر البعث بقوله ان كنتم فى ريب من البعث فزيل ريبكم هذان الاستدلالان ثم لما كان لسائل أن يسأل لم خلق الانسان وما يترتب عليه معاشه فأجيب بأن لهذا الشأن وهو خلق الانسان أسبابا فاعلية وأسبابا غائية أما الاولى فهى أنه تعالى واجب الوجود الحق وأنه قادر على كل مقدور لاسيما احياء الموتى الذى استدللنا عليه لانه أهون وأن قدرته لا تظهر الا اذا تعلقت بالمقدور فكمال القدرة بالفعل هو أن يتعلق بكل مقدور يصح فى القسمة العقلية وهذا النوع من المقدور كان ثابتا فى القسمة لانه واسطة بين العالم العلوى والعالم السفلى وله تعلق بالطرفين وانجذاب الى القبيلين فوجب فى الحكمة والقدرة ايجاده ثم ايجاد ما يتوقف عليه بقاؤه واستكماله وأما علته الغائية فهى أن داره الاولى كانت دار تكليف وقد هيأ ناله دارا أخرى لاجل الجزاء وذلك لا يحصل الا بالبعث والنشور ولعل هذا الموضع مما لم يفسره على هذا الوجه غيرى أرجو أن يكون صوابا والله تعالى أعلم بمراده قوله (ومن الناس من يجادل) عن ابن عباس أنه أبو جهل وقيل هو النضر أيضا وكرر للتأكيد كما كرر سائر الاقاصيص وقال أبو مسلم الاول فى المقلدين فانهم قد يجادلون تصويبا لتقليدهم وهذا فى المقلدين المتبوعين بدليل قوله ليضل عن سبيل الله قال العلماء أراد بالعلم العلم الضرورى وبالهدى النظرى من العلم لانه يهدى الى المعرفة وبالكتاب المنير العلم السمعى المتعلق بالوحى قال بعض أهل اللغة العطف المنكب وقال الجوهرى عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركه ويقال فلان ثنى عطفه عنى أى أعرض وقيل هو عبارة عن الكبر والخيلاء كلى الجيد قال جار الله لما أدى جداله الى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه بالباطل جعل كالخارج بالجدال وفسر الخزى ههنا بما أصابه يوم بدر (ذلك) الذى منى به شئ من خزى الدنيا وعذاب الآخرة بما قدمت يداه وباقى مباحث الآية قد سلف فى آخر آل عمران ثم أخبر عن شقاق أهل النفاق بقوله (ومن الناس من يعبد الله

الملائكة الذين يحملون العرش ثم عم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قال ومن بقى من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته ثم جزأ الانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن لا يولد من الانس ولد إلا ولد من الجن تسعة ثم جزأ الانس عشرة أجزاء فتسعة منهم يأجوج ومأجوج وسائر الانس جزء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج قال أمتان من وراء ردم ذى القرنين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبى الصيف قال قال كعب اذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل قالوا نجىء غدا فنخرج فيعيدها الله كما كانت فيجيؤن من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج ان شاء الله فيجيؤن من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون ثم يخرجون فتمر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء وتفر الناس منهم فلا يقوم لهم شئ يرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى بن مريم فيقول اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف فتفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم فى البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الارض منهم وتنبتها حتى ان الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما السكن يا كعب قال أهل البيت قال فبينا الناس كذلك اذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده فيبعث عيسى طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائة حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع فمن تكلف بعد قولى هذا شيأ أو على هذا شيأ فهو المتكلف حدثنا العباس بن الوليد البيروتى قال أخبرنى أبى قال سمعت ابن جابر قال ثنى محمد بن جابر الطائى ثم الحمصى ثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى قال ثنى أبى أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى يقول ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال وذكر أمره وأن عيسى بن مريم يقتله ثم قال فبينما هو كذلك أوحى الله اليه يا عيسى انى قد أخرجت عبادا لى لا يدى لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور فيبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أحدهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم ينزل آخرهم ثم يقول لقد كان بهذه ماء مرة فيحاصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مائة دينار لأحدكم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى موت نفس واحدة فيهبط نبى الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضعا الا قد ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم فيرغب نبى الله عيسى

على حرف) أي على طرف من الدين لا في وسطه فهذا مثل لكونه مضطربا في أمر الدين غير ثابت القدم كالذي يكون على طرف العسكر ينهزم بأدنى سبب و باقي الآية تفصيل لهذا الاجمال قال الكلبي نزلت في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن به وقر وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه الذي أظهره بلسانه وفر وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم منهم الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب كذهاب البصر والمال والولد فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال ان الاسلام يسبك كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة والاسلام لا يقال ونزلت الآية والفتنة ههنا مخصوصة بالابتلاء بالشرور و الآلام لوقوعها في مقابلة الخير وهذا على الاستعمال الغالب والا فالخير أيضا قد يكون سببا للابتلاء كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم حكى حاله في الدارين بقوله (خسر الدنيا والآخرة) أما خسران الدنيا بعد أن أصابه ما أصاب ففقدان العزة والكرامة والغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وكون عرضه وماله ودمه مصونة وأما الآخرة فحرمان الثواب وحصول العقاب أبد الآباد ولا خسران أبين من هذا نعوذ بالله منه وفي قوله (يدعو من دون الله) الآية دلالة على أن المذكورة قبلها انما نزلت في أهل النفاق من المشركين لا من اليهود فانهم لا يعبدون الأصنام نعم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قوله (يدعو لمن ضره) الآية فيه بحث لفظي وبحث معنوي أما الاول فهو أن يدعو بمعنى يقول والجملة بعده محكية ومن موصولة أو موصوفة وعلى التقديرين هو مع تمامه قال

بتـدأ ما بعده وهو لبئس المولى خبره واللام الثانية في الخبر لتأكيد اللام الاولى وهذا احسن بخلاف قوله أم الحليس لعجوز فانه أدخل لام الابتداء في الخبر على سبيل الاستقلال ويجوز أن يكون يدعو تكرارا للاول وما بعده جملة مستأنفة على الوجه المذكور وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام ووجهه ظاهر وعلى هذا يكون قوله لبئس المولى جملة مستقلة والمولى الناصر والعشير المعاشر أي الصاحب وأما البحث المعنوي فهو أنه نفى الضرر والنفع عن الاصنام أولا ثم أثبتهما لها ثانيا حين قال ضره أقرب من نفعه فما وجه ذلك والجواب أن المقصود في الآية الثانية

وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة وأما قوله وهم من كل حدب ينسلون فان أهل التأويل اختلفوا في المعنى به فقال بعضهم عنى بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الارض وانما عنى بذلك الحشر الى موقف الناس يوم القيامة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من كل حدب ينسلون قال جمع الناس من كل مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وهم من كل حدب ينسلون قال ابن جريج قال مجاهد جمع الناس من كل حدب من مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب * وقال آخرون بل عنى بذلك يأجوج ومأجوج وقوله وهم كناية أسمائهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله أنه قال يخرج يأجوج ومأجوج فيمرحون في الارض فيفسدون فيها ثم قرأ عبد الله وهم من كل حدب ينسلون قال ثم يبعث الله عليهم دابة مثل النغف فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها فتنتن الارض منهم فيرسل الله عز وجل ماء فيطهر الارض منهم * والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا عنى بذلك يأجوج ومأجوج وان قوله وهم كناية عن أسمائهم للخبر الذي **حدثنا** به ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصاري ثم الظفري عن محمود ابن لبيد أخي بني عبد الاشهل عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله من كل حدب ينسلون فيغشون الارض **حدثني** أحمد بن ابراهيم قال ثنا هشيم بن بشير قال أخبرنا العوام بن حوشب عن جبلة ابن سحيم عن مؤثر وهو ابن عفازة العبدي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن عيسى بن مريم قال قال عيسى عهد الى ربي أن الدجال خارج وأنه مهبطي اليه فذكر أن معه قضيبين فاذا رآني أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الشجر والحجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله تبارك وتعالى ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شيء الا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه **حدثني** عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا المحاربي عن أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وأما قوله من كل حدب فانه يعني من كل شرف ونشز وأكمة * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا عبد الله

رؤساؤهم الذين كانوا يفزعون اليهم فى الشدائد مستصوبين آراءهم لان وصف المولى والعشير لا يليق الا بالرؤساء سلمنا أنه أراد فى الموضعين الأصنام الا أنه أثبت الضر لها مجازا لانها سبب الضلال الذى هو سبب عذاب النار نظيره رب انهن أضللن كثيرا من الناس وأثبت لها النفع بناء على معتقدهم أنها شفعاؤهم عند الله والمراد يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ذلك أو أراد يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من كل حدب ينسلون يقول من كل شرف يقبلون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من كل حدب ينسلون قال من كل أكمة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم من كل حدب ينسلون قال الحدب الشئ المشرف وقال الشاعر * على الحداب تمور * حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قال هذا مبتدأ يوم القيامة وأما قوله ينسلون فانه يعنى أنهم يخرجون مشاة مسرعين فى مشيهم كنسلان الذئب كما قال الشاعر

عسلان الذئب أمسى قاربا * برد الليل عليه فنسل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وذلك وعد الله الذى وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو يعنى ابن قيس قال ثنا حذيفة لو أن رجلا افتلى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واقترب الوعد الحق قال اقترب يوم القيامة منهم والواو فى قوله واقترب الوعد الحق مقحمة ومعنى الكلام حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وذلك نظير قوله فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه بغير واو كما قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

يريد فلما أجزنا ساحة الحى انتحى بنا وقوله فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا فى هى التى فى قوله فاذا هى وجهان أحدهما أن تكون كناية عن الابصار وتكون الابصار الظاهرة بيانا عنها كما قال الشاعر

لعمرو أبيها لا تقول ظعينتى * ألا فر عنى مالك بن أبى كعب

فكنى عن الظعينة فى لعمرو أبيها ثم أظهرها فيكون تأويل الكلام حينئذ فاذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثانى أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه فانها لا تعمى الابصار وكقول الشاعر

* فهل هو مرفوع بما ههنا راس *

وقوله ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا يقول تعالى ذكره فاذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجىء الوعد الحق بأهواله وقيام الساعة بحقائقها وهم يقولون ياويلنا قد كنا قبل هذا الوقت فى الدنيا فى غفلة من هذا الذى نرى ونعاين ونزل بنا من

من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى ثم لما بين حال المنافقين والمشركين أتبعها حال المؤمنين الذين معبودهم قادر على ايصال كل المنافع فقال (ان الله يدخل) الآية قالت الأشاعرة فى قوله ان الله يفعل ما يريد دليل على أنه خالق الايمان ودواعيه لأنه يريد الايمان من العبد بالاتفاق أجاب الكعبى بأنه يفعل ما يريده لا ما يريد أن يفعله غيره ورد بأن ما يريد أعم من قولنا ما يريده من فعله وما يريد من فعل غيره قوله سبحانه (من كان يظن أن لن ينصره الله) فى هذا الضمير وجهان الاول وهو قول ابن عباس والكلبى ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدى واختيار الفراء والزجاج أنه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم العلم به لان ذكر الايمان يدل على الايمان بالله ورسوله وعلى هذا فالظان من هو قيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطؤن النصر فنزلت وعندى فى هذا القول بعد وعن مقاتل نزلت فى نفر من أسد وغطفان قالوا نخاف أن الله لا ينصر محمدا فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود والأولى العموم وكان حساده وأعداؤه يتوقعون أن لا ينصره الله وأن الله لا يعليه على أعدائه فلما شاهدوا أن الله ينصره غاظهم ذلك والسبب

الحبل والسماء سماء البيت والقطع الاختناق لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه والمراد من كان يظن من حاسديه أن الله تعالى يفعل خلاف النصر والظفر وكان يغيظه نصر الله اياه فليستفرغ جهده فى ازالة ما يغيظه وليس ذلك الا بأن يمد حبلا الى سماء بيته ثم يشده فى عنقه ويختنق فى عنقه ولينظر فى نفسه أنه ان يفعل ذلك هل يذهبن كيده ما يغيظه سمى فعله كيدا حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والحاصل ليس

عظيم البلاء وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وذلك يقولون من قوله فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يقولون يا ويلنا وقوله بل كنا ظالمين يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا ابليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) يقول تعالى ذكره انكم أيها المشركون بالله العابدون من دونه الاوثان والأصنام وما تعبدون من دون الله من الآلهة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انكم وما تعبدون من دون الله يعني الآلهة ومن يعبدها حصب جهنم وأما حصب جهنم فقال بعضهم معناه وقود جهنم وشجرها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حصب جهنم شجر جهنم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يقول وقودها * وقال آخرون بل معناه حطب جهنم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حصب جهنم قال حطبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وزاد فيه وفي بعض القراءة حطب جهنم يعني في قراءة عائشة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حصب جهنم قال حطب جهنم يقذفون فيها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن الحر عن عكرمة قوله حصب جهنم قال حطب جهنم * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يرمى بهم في جهنم ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حصب جهنم يقول ان جهنم انما تحصب بهم وهو الرمي يقول يرمى بهم فيها * واختلف في قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار حصب جهنم بالصاد وكذلك القراءة عندنا لاجماع الحجة عليه وروي عن علي وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك حطب جهنم بالطاء وروي عن ابن عباس أنه قرأه حضب بالضاد حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابراهيم بن محمد عن عثمان بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأها كذلك وكأن ابن عباس ان كان قرأ ذلك كذلك أراد أنهم الذين تسجر بهم جهنم ويوقد بهم فيها النار وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به فهو عند العرب حضب لها فاذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب الرمي من قولهم حصبت الرجل اذا رميته كما قال جل ثناؤه انا أرسلنا عليهم حاصبا كان الاولى بتأويل ذلك قول من قال معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب فان يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فانه في لغة أهل نجد وأما

قوله

في يده الا ما ليس عنده هب لما يغيظ ومنهم من قال السماء هي المظلة لان الاختناق حينئذ أبعد عن الامكان فيكون أصعب فيصرف الحاسد عن الغيظ الى طاعة الله ورسوله ومنهم من قال مع ذلك ان القطع هو قطع المسافة أي فليصعد على الحبل الى السماء والغرض تصوير مشقة من غير فائدة أو القطع قطع الوحي أو النصر أي فليصعد وليقطع الوحي أن ينزل عليه أو النصر أن يأتيه الوجه الثاني أن الضمير عائد الى من والنصر الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله أي من يعطيني أعطاه الله و وجه النظم من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليفعل هذا الظن بعدل عن التمسك بدين محمد وينقلب على وجهه كافرا فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق أو غير ذلك مما عدد فان الله لا يقلبه مرزوقا وحين بين الأحوال وضرب الأمثال أشار الى هذا المذكور بلفظ البعيد اما للتعظيم واما لان كل ما دخل في حيز الذكر وحصل في حيز كان فهو في حكم البعيد فقال (وكذلك أنزلناه) أي ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات وأن الله) حرف التعليل وكذا معلله محذوف للعلم به أي ولان الله (يهدي من يريد) أنزله كذلك مبينا قالت الاشاعرة المراد بالهداية اما وضع الأدلة أو خلق المعرفة والاول غير جائز لأن الله تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد يدل على أن الهداية غير واجبة عليه بل هي معلقة بمشيئته ووضع الأدلة واجب فتعين أن المراد خلق المعرفة أجاب القاضي عبد الجبار بأنه أراد تكليف من يريد لأن التكليف لا يخلو من وصف ما كلف به ومن بيانه أو أراد يهدي الى الجنة والاثابة من يريد ممن آمن وعمل صالحا أو يهدي به الذين يعلم منهم الايمان أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى والى هذين الوجهين أشار الحسن بقوله ان الله يهدي من قبل لا من لم يقبل واعترض بأن الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الكلام بعد بيان الأدلة والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف وأما الوجوه الأخر فخلاف الظاهر مع أن ما ذكروه واجب عندكم على الله وقوله من يريد ينافي الوجوب ثم أراد أن يميز بين المهتدي من الفرق وبين الضال منهم فقال (ان الذين آمنوا) الآية قال مقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان قلت فالمؤمنون واليهود والنصارى تشترك في القول بالاله والنبي وتفترق بالاعتراف بعموم نبوة محمد صلى الله عليه

وسلم و بعدم الاعتراف به والصابئون قد تجعل من جنس النصارى وقد تجعل من غيرهم والمجوس قولهم في البابين مضطرب لأن الاله عندهم اثنان ونبيهم ليس بنبي في الحقيقة وانما هو متنبئ والمشركون لا نبي لهم ولا كتاب قال أهل البرهان قدم النصارى على الصابئين في أوائل البقرة لانهم أهل كتاب وعكس ههنا لأن الصابئين مقدمة عليهم بالزمان وفي المائدة يحتمل الامران أي والصابئون كذلك أو هم والنصارى (إن الله يفصل بينهم) أي يقضي بين المؤمنين وغيرهم وتكرير ان في الخبر لزيادة التأكيد والفصل مطلق يحتمل الفصل في الاحوال وفي المواطن أيضا (ان الله على كل شئ شهيد) فلا يجري في قضائه ظلم ولا حيف (ألم تر) أي تعلم باخبار الله والمراد أن هذه الأجسام غير ممتنعة عما يريد الله احداثه فيها من أنواع تصرفاته وتدبيراته وهذا بين قال العلماء قوله (وكثير من الناس) ليس بمعطوف على ما قبله من المفردات لان السجود بالمعنى المذكور يتناول كل الناس ولا يختص ببعضهم لدليل العقل ولأن قوله ومن في الارض يتناول الثقلين جميعا والعطف يوهم التخصيص بالبعض ولا يمكن أن يكون السجود بالنسبة الى كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة و بالنسبة الى غيرهم بمعنى نفوذ مشيئة الله فيها لان اللفظ المشترك لا يصح استعماله في مفهوميه معا فهو اذن مرفوع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أي و يسجد له كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة أيضا أو هو مبتدأ محذوف الخبر وهو مثاب لان الخبر يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب أو هو مبتدأ وخبر أي وكثير من المكلفين من الناس الذين هم الناس على الحقيقة فكأنه أخرج الذين وجب عليهم العذاب من جملة الناس لأنهم أشبه بالنسناس أولئك كالأنعام بل هم أضل أو قوله ثانيا وكثير تكرار للاول لأجل المبالغة كأنه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وباقي الآية دليل على أن الكل بقضائه وقدره والاكرام والاهانة من عنده وبسابق علمه وسابق مشيئته فمن أهانه في الأزل لم يكرمه أحد الى الأبد عن ابن عباس ان قوله (هذان خصمان) راجع الى أهل الأديان الستة أي هما فوجان أو فريقان خصمان والخصم صفة وصف بها المحذوف وانما قيل (اختصموا) نظرا الى المعنى وقيل ان أقل الجمع اثنان ومعنى (في ربهم) أي في دينه وصفاته فقال المؤمنون في شأنه قولا وقال الكافرون قولا وروي أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله

قوله أنتم لها واردون فان معناه أنتم عليها أيها الناس أو اليها واردون يقول داخلون وقد بينت معنى الورود فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وهم مشركو قريش أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله واردو جهنم ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها اذ كنتم لها في الدنيا عابدين ولكنها اذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضر عنها فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد ومن كان كذلك كان بينا بعده من الالوهة وان الاله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شئ فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون الها وقوله وكل فيها خالدون يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية وانما معنى الكلام كلكم فيها خالدون ❁ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ❁ ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون قال الآلهة التي عبد القوم قال العابد والمعبود ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله لهم المشركين وآلهتهم والهاء والميم في قوله لهم من ذكر كل التي في قوله وكل فيها خالدون يقول تعالى ذكره لكلهم في جهنم زفير وهم فيها لا يسمعون يقول وهم في النار لا يسمعون وكان ابن مسعود يتأول في قوله وهم فيها لا يسمعون ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المسعودي عن يونس بن خباب قال قرأ ابن مسعود هذه الآية لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون قال اذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره ثم قرأ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ❁ وأما قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فان أهل التأويل اختلفوا في المعني به فقال بعضهم عني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مبعد ❁ ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن سعد وليس بابن ماهك عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يخطب فقرأ هذه الآية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون قال عثمان رضي الله عنه منهم ❁ وقال آخرون بل عني من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره ❁ ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أولئك عنها مبعدون قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله

وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله منكم آمنا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبجميع الكتب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه حسدا فنزلت وعن قيس بن عبادة عن أبي ذر الغفاري أنه كان يحلف بالله انها نزلت في ستة نفر من المسلمين علي وحمزة وعبيدة بن الحرث ومن المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة فقال علي رضي الله عنه أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة وعن عكرمة هما الجنة والنار

قالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقص الله من خبرهما على محمد صلى الله عليه وسلم والأقرب هو الاول وقوله (فالذين كفروا) فصل الخصومة المعني بقوله ان الله يفصل بينهم وقوله (قطعت لهم ثياب) فيه أنه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة أو المراد أن تلك النيران مظاهرة عليهم كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض وعن سعيد بن جبير أن قوله (من نار) أي من نحاس أذيب بالنار كقوله سرابيلهم من قطران والحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها ومعنى (يصهر) يذاب صهرت الشئ فانصهر أي أذبته فذاب فهو صهير أي يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم لان تأثير الشئ من الظاهر في الباطن أبلغ من تأثيره في الباطن قال في الكشاف المقامع السياط وقال الجوهري المقمعة واحدة المقامع (من حديد) كالمحجن يضرب على رأس الفيل وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها والاعادة لاتكون الا بعد الخروج ففي الآية اضمار أي (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) خرجوا (أعيدوا فيها) أو المراد بالارادة المداناة والمشارفة كقوله يريد أن ينقض وهذا أقرب كقوله لا يخفف عنهم العذاب ويؤيده ما روي عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وانما اختتمت هذه السورة بقوله من غم وهو الأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متخلصا لانه بولغ ههنا في أهوال النار بخلاف ما في السجدة وانما أضمر القول ههنا قبل قوله (وذوقوا) بخلاف السجدة وقيل لهم ذوقوا لأنه وقع الاختصار ههنا على (عذاب الحريق) وهنالك أطنب فقيل ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون وأيضا

قال ابن جريج قوله انكم وما تعبدون من دون الله ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال في سورة الانبياء انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فقد عبدت الملائكة من دون الله وعزير وعيسى من دون الله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد أولئك عنها مبعدون قال عيسى **حدثني** اسمعيل بن سيف قال ثنا علي بن مسهر قال ثنا اسمعيل ابن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال عيسى وأمه وعزير والملائكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون الى قوله وهم فيها لا يسمعون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي السهمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد خاصم واحتج فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته فأنزل الله عليه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون الى خالدون أي عيسى بن مريم وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله فأنزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله نجزي الظالمين **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك قال يقول ناس من الناس ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعني من الناس أجمعين فليس كذلك انما يعني من يعبد من الآلهة وهو لله مطيع مثل عيسى وأمه وعزير والملائكة واستثنى الله هؤلاء من الآلهة المعبودة التي هي ومن يعبدها في النار

حدثنا

قد تقدم ذكر القول فى تلك السورة كثيرا بخلافه هنا والله تعالى أعلم ۞ التأويل ان زلزلة الساعة هلاك الاستعداد الفطرى شئ عظيم تذهل كل مرضعة هى مواد الاشياء فان لكل شئ مادة ملكوتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه وتضع كل ذات حمل وهى الهيوليات حملها وهو الصورة الكمالية التى خلقت الهيوليات لاجلها وترى الناس سكارى الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها وما هم بسكارى العشق والمحبة والمعرفة فانا خلقناكم من تراب أى كنتم ترابا ميتا فبعثنا (٧٧) التراب بأن خلقنا منه آدم ثم أمتنا منه النطفة ثم بعثناها بأن جعلناها علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر لنبين لكم أمر البعث والنشور ونقر فى الارحام أمهات العدم ما نشاء الى أجل مسمى وهو وقت ايجاده بحسب تعلق الارادة به وفيه دليل على أنه لا يبعد أن يكون الفاعل كاملا فى فاعليته ولكن لا تتعلق ارادته بالمقدور فيبقى فى حيز العدم الى حين تعلق الارادة به ومنه يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم طفلا من أطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا التربية والكمال ومنكم من يتوفى عن الشهوات فيما قبل حصول الكمالات ومنكم من يرد الى أسفل سافلين الطبيعة وترى أرض القالب هامدة فاذا أنزلنا عليها ماء حياة المعرفة والعلم اهتزت ذلك بأن الله هو الحق فى الالهية وأنه يحيى القلوب الميتة وأن الساعة قيامة العشق والخدمة للطالبين الصادقين آتية وأن الله يبعث القلوب المحبوسة فى قبور الصدور عذاب الحريق بنار الشهوات لكنه لا يحس بها فى الدنيا لانه نائم بنوم الغفلة واذا مات انتبه من كان يظن فيه أن العبد يجب أن يكون حسن الظن بالله ثم ليقطع مادة تقديرى فى الازل ونزول أحكامى فى القدر فلينظر هل ينقطع أم لا هذان خصمان يعنى النفس الكافرة والروح المؤمنة قطعت لهم ثياب بتقطيع خياط القضاء على قدرهم وهى ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع يصب من فوق رؤسهم حميم الشهوات النفسانية وفى لفظ الفوق [illegible] على أنهم مغلوبون تحتها وفيه أن الخيالات الفاسدة تنصب من الدماغ الى القلب يصهر به ما فى بطونهم من الاخلاق الحميدة الروحانية والجلود أى يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد خيالاتهم ولا خلاص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب ۞ ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى

حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسين الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال المشركون فان عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لعيسى وغيره * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ما كان من معبود كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم اياه بالله كفار لان قوله تعالى ذكره ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ابتداء كلام محقق لامر كان ينكره قوم على نحو الذى ذكرنا فى الخبر عن ابن عباس فكأن المشركين قالوا لنبى الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ما الامر كما تقول لانا نعبد الملائكة ويعبد آخرون المسيح وعزيرا فقال عز وجل ردا عليهم قولهم بل ذلك كذلك وليس الذين سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون لانهم غير معنيين بقولنا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقول لا معنى له لان الاستثناء انما هو اخراج المستثنى من المستثنى منه ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى انما هم اما ملائكة واما انس أو جان وكل هؤلاء اذا ذكرتها العرب فان أكثر ما تذكرها بمن لا بما والله تعالى ذكره انما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حصب جهنم بما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انما أريد به ما كانوا يعبدونه من الاصنام والآلهة من الحجارة والخشب لا من كان من الملائكة والانس فاذا كان ذلك كذلك لما وصفنا فقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ وأما الحسنى فانها الفعلى من الحسن وانما عنى بها السعادة السابقة من الله لهم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال الحسنى السعادة وقال سبقت السعادة لاهلها من الله وسبق الشقاء لاهله من الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار ويعنى بالحسيس الصوت والحس فان قال قائل فكيف لا يسمعون حسيسها وقد علمت ما روى من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه خوفا منها قيل ان الحال التى لا يسمعون فيها حسيسها هى غير تلك الحال بل هى الحال التى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول لا يسمع أهل الجنة حسيس النار اذا نزلوا منزلهم من الجنة وقوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون

من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع (٧٨) لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ۞ القراآت ولؤلؤا بهمزتين منصوبا نافع وحفص مثله ولكن بتخفيف الاولى وواوا ساكنة أبو بكر وحماد ويزيد وكذلك في سورة فاطر وقرأ سهل ويعقوب والمفضل ههنا بالهمزة والنصب وفي فاطر بالهمز

فيها لا يخافون زوالا عنهم ولا انتقالا عنها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ * اختلف أهل التأويل في الفزع الاكبر أي الفزع هو فقال بعضهم ذلك النار اذا أطبقت على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير لا يحزنهم الفزع الأكبر قال النار اذا أطبقت على أهلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر قال حين تطبق جهنم وقال حين ذبح الموت * وقال آخرون بل ذلك النفخة الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يعني النفخة الآخرة * وقال آخرون بل ذلك حين يؤمر بالعبد الى النار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن لا يحزنهم الفزع الاكبر قال انصراف العبد حين يؤمر به الى النار * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك عند النفخة الآخرة وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الاكبر وأمن منه فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده وقوله وتتلقاهم الملائكة يقول وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه الكرامة من الله والحباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصبون في الدنيا لله في طاعته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون قال هذا قبل أن يدخلوا الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ﴾ يقول تعالى ذكره لا يحزنهم الفزع الاكبر يوم نطوي السماء فيوم من صلة يحزنهم * واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا أبو الوفاء الاشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال اكتبها نورا حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت السدي يقول في قوله يوم نطوي السماء كطي السجل قال السجل ملك * وقال آخرون السجل رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر ابن علي قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في هذه الآية يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب قال كان ابن عباس يقول هو الرجل * قال ثنا نوح ابن قيس قال ثنا يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل هو الصحيفة التي يكتب فيها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس

قوله

والخفض الباقون بالهمز والخفض في السورتين سواء بالنصب حفص ور وح وزيد الآخرون بالرفع والبادي بالياء في الحالين سهل
و يعقوب وابن كثير وافق أبو عمرو وأبو جعفر ونافع غير قالون في الوصل بوأنا مثل أنشأنا بيتي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وحفص وهشام
فتخطفه بتشديد الطاء أبو جعفر ونافع الرياح يزيد طريق المفضل والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون عباس منسكا ونحوه بكسر
السين حمزة وعلي وخلف لن تنال الله بتاء التأنيث يعقوب ولكن تناله بالتأنيث أيضا زيد يدفع من الدفع ابن كثير وأبو عمرو

قوله كطي السجل للكتاب يقول كطي الصحيفة على الكتاب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب يقول كطي الصحف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال السجل الصحيفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال السجل الصحيفة * وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال السجل في هذا الموضع الصحيفة لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه فإن قال قائل وكيف تطوى الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة قيل ليس المعنى كذلك وإنما معناه يوم نطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ثم جعل نطوي مصدرا فقيل كطي السجل للكتاب واللام في قوله للكتاب بمعنى على * واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار سوى أبي جعفر القارئ يوم نطوي السماء بالنون وقرأ ذلك أبو جعفر يوم تطوى السماء بالتاء وضمها على وجه ما لم يسم فاعله * والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار بالنون لإجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وأما السجل فإنه في قراءة جميعهم بتشديد اللام وأما الكتاب فإن قراء أهل المدينة و بعض أهل الكوفة والبصرة قرؤه بالتوحيد كطي السجل للكتاب وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة للكتب على الجماع * وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب لما ذكرنا من معناه فإن المراد منه كطي السجل على ما فيه مكتوب فلا وجه إذ كان ذلك معناه لجميع الكتب إلا وجه تتبعه من معروف كلام العرب وعند قوله كطي السجل انقضاء الخبر عن صلة قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر ثم ابتدأ الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره كما بدأنا أول خلق نعيده فالكاف التي في قوله كما من صلة نعيد تقدمت قبلها ومعنى الكلام نعيد الخلق عراة حفاة غرلا يوم القيامة كما بدأناهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك * وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك اخترت القول به على غيره ذكر من قال ذلك والأثر الذي جاء فيه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أول خلق نعيده قال حفاة عراة غرلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أول خلق نعيده قال حفاة غلفا قال ابن جريج أخبرني إبراهيم بن ميسرة أنه سمع مجاهدا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى نسائه يأتونه حفاة عراة غلفا فاستترت بكم درعها وقالت

وسهل ويعقوب الباقون يدافع من المدافعة أذن مبنيا للمفعول أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم يقاتلون مبنيا للمفعول أيضا أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص الآخرون مبنيا للفاعل فيهما دفاع بألف أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لهدمت مخففا ابن كثير وأبو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وسهل وحمزة وعلي وخلف مشددا مدغما الباقون مشددا في الوقوف ولؤلؤا ط من القول ج للعطف مع تكرار وهدوا الحميد ○ والباد ○ ط أليم ○ السجود ○ عميق ○ لا لتعلق اللام الأنعام ج للابتداء بالأمر مع الفاء الفقير ○ للعطف مع العدول العتيق ○ ذلك ق قد قيل لأن المراد ذلك على ما ذكر أو الأمر أو الشأن ذلك ثم يبتدأ بالشرط عند ربه ط الزور ○ لا مشركين به ط سحيق ○ ذلك ق القلوب ○ العتيق ○ الأنعام ط أسلموا ط المخبتين ○ لا لاتصال الوصف الصلاة ○ ينفقون ج ○ خير ق والوصل أحسن للفاء صواف ج للشرط مع الفاء والمعتر ط تشكرون ○ منكم ط هدى كم ط المحسنين ○ آمنوا ط كفور ○ ظلموا ط لقدير ○ لا بناء على أن الذين بدل من الضمير في نصرهم

ربنا الله ط كثيرا ○ ينصره ط عزيز ○ المنكر ط الأمور ○ في التفسير لما ذكر حال أحد الخصمين في الآخرة أراد أن يذكر حال الآخر وهو المؤمن ولهذا ألزم التكرار إلا أنه يفطن بهذه الآية فائدة أخرى هي بيان أن أهل الجنة يحلون فيها وقدم مثله في أوائل الكهف من قرأ لؤلؤا بالنصب فعلى تقدير ويؤتون لؤلؤا لأن السوار من اللؤلؤ غريب إلا أن يكون شيأ منظوما منه (وهدوا إلى الطيب من القول) عن ابن عباس هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده يلهمهم الله ذلك (وهدوا إلى صراط الحميد) أي إلى طريق المقام المحمود وهو الجنة

واسوأتاه قال ابن جريج أخبرت أنها عائشة قالت يا نبي الله لا يحتشم الناس بعضهم بعضا قال لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا فأول من يكسى ابراهيم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فذكر نحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان النخعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن شعبة قال ثنا المغيرة بن النعمان النخعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه حدثنا عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال انكم ملاقوا الله مشاة غرلا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي عجوز من بني عامر فقال من هذه العجوز يا عائشة فقلت احدى خالاتي فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجز قالت فأخذ العجوز ما أخذها فقال ان الله ينشئهن خلقا غير خلقهن ثم قال يحشرون حفاة عراة غلفا فقالت حاش لله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ان الله قال كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا الى آخر الآية فأول من يكسى ابراهيم خليل الله حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عطاء عن عقبة بن عامر الجهني قال يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي حفاة عراة كما خلقوا أول يوم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني عباد بن العوام عن هلال بن حبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا قلت يا أبا عبد الله ما الغرل قال الغلف فقال بعض أزواجه يا رسول الله أينظر بعضنا الى بعض الى عورته فقال لكل امرئ منهم يومئذ ما يشغله عن النظر الى عورة أخيه قال هلال قال سعيد بن جبير ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة قال كيوم ولدته أمه يرد عليه كل شيء انتقص منه مثل يوم ولد * وقال آخرون بل معنى ذلك كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيأ كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية حتى لا يكون شيء سوانا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس كما بدأنا أول خلق نعيده الآية قال نهلك كل شيء كما كان أول مرة وقوله وعدا علينا يقول وعدناكم ذلك وعدا حقا علينا أن نوفي بما وعدنا انا كنا فاعلين ما وعدناكم من ذلك أيها الناس لانه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله على يقين بأن ذلك كائن واستعدوا وتأهبوا

القول في تأويل قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) اختلف أهل التأويل في المعنى بالزبور والذكر في هذا الموضع فقال بعضهم عني بالزبور كتب الانبياء كلها التي أنزلها الله عليهم وعني بالذكر أم الكتاب التي عنده في السماء ذكر من قال ذلك حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش

أو الى صراط الله كقوله الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وقال السدي الطيب من القول هو القرآن وقيل شهادة أن لا اله الا الله وقال حكماء الاسلام هو كشف الغطاء عن الحقائق الروحانية والمعارف الربانية ثم كرر وعيد أهل الكفر ومن داناهم فقال (ان الذين كفروا ويصدون) انما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه أراد به الاستمرار وأنه من شأنهم الصد وكأنه قيل كفروا واستمروا على الصد وقال أبو علي الفارسي كفروا في الماضي وهم الآن يصدون عن ابن عباس أنها نزلت في أبي سفيان ابن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عام الحديبية عن أن يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدى ومن قرأ (سواء) بالنصب فعلى أنه مفعول ثان لجعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) ومن قرأ بالرفع فعلى أن العاكف مبتدأ وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان ويجوز أن يكون الناس مفعولا ثانيا أي جعلناه متعبدا لكل من وقع عليه اسم الناس وقوله سواء الى آخر الجملة بيان لذلك الجعل أي لا فرق بين الحاضر المقيم وبين الطارئ من البدو واختلفوا في أن المكي والآفاقي يستويان في أي شيء فعن ابن عباس في بعض الروايات أنهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها فالآية بناء على أن المراد بالمسجد الحرام مكة ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال مكة مباحة لمن سبق اليها والى هذا ذهب أبو حنيفة وهو قول قتادة وسعيد بن جبير أيضا ولاجل ذلك زعموا أن كراء دور مكة حرام والاكثرون على أنهما مستويان في العبادة في المسجد ليس للمقيم أن يمنع البادي وبالعكس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف من ولي منكم من أمور الناس شيأ فلا يمنعن أحدا طاف بهذا البيت أو صلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار وعلى هذا فلا منع من بيع دور مكة

قال

قال سألت سعيدا عن قول الله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال الذكر الذى فى السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور قال قرأها الأعمش الزبر قال الزبور والتوراة والانجيل والقرآن من بعد الذكر قال الذكر الذى فى السماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الزبور قال الكتاب من بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الزبور قال الكتاب بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور قال الزبور الكتب التى أنزلت على الانبياء والذكر أم الكتاب الذى تكتب فيه الاشياء قبل ذلك (١) حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال كتبنا فى القرآن من بعد التوراة * وقال آخرون بل عنى بالزبور الكتب التى أنزلها الله على من بعد موسى من الانبياء وبالذكر التوراة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة والزبور الكتب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة ويعنى بالزبور من بعد التوراة الكتب * وقال آخرون بل عنى بالزبور زبور داود وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر أنه قال فى هذه الآية ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال زبور داود ومن بعد الذكر ذكر موسى التوراة حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى أنه قال فى هذه الآية ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال فى زبور داود ومن بعد ذكر موسى * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب فى ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما فى ذلك من أن معناه ولقد كتبنا فى الكتب من بعد أم الكتاب الذى كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والارض وذلك أن الزبور هو الكتاب يقال منه زبرت الكتاب وزبرته اذا كتبته وان كل كتاب أنزله الله الى نبى من أنبيائه فهو ذكر فاذ كان ذلك كذلك فان فى ادخاله الألف واللام فى الذكر الدلالة البينة أنه معنى به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية ولو كان ذلك غير أم الكتاب التى ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف ابراهيم فقد كان قبل زبور داود فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك كما وصفنا ولقد قضينا فأثبتنا قضاءنا فى الكتب من بعد أم الكتاب أن الارض يرثها عبادى الصالحون يعنى بذلك أن أرض الجنة يرثها عبادى العاملون بطاعته المنتهون الى أمره ونهيه من عباده دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله الهلالى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قوله أن الأرض يرثها عبادى الصالحون قال أرض الجنة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا

(١) هذا الأثر مناسب للقول بعده فلعله مقدم من تأخير فتنبه كتبه مصححه

واجارتها وهو مذهب الشافعى وقد جرت المناظرة بينه وبين اسحق الحنظلى وكان اسحق لا يرخص فى كراء دور مكة فاحتج الشافعى بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وبأن عمر اشترى دار السجن فسكت اسحق وانما ذهب الاولون الى أن المراد بالمسجد الحرام ههنا مكة كلها لانه جعل العاكف فيه بازاء البادى أجاب الأكثرون بأنه أراد بالعاكف المجاور للمسجد المتمكن فى كل وقت من التعبد فيه والالحاد العدول عن القصد كما مر فى قوله وذروا الذين يلحدون فى أسمائه وقوله (بالحاد بظلم) حالان ومفعول يرد متروك ليفيد العموم أى ومن يرد فيه مرادا ما جائرا ظالما وفائدة الحال الثانية أن العدول عن القصد قد يكون بالحق كقوله وجزاء سيئة سيئة واختلفوا فى الالحاد فى الحرم فعن قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس فى رواية عطاء أنه الشرك يعنى من لجأ الى حرم الله ليشرك به عذبه الله وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن حنظلة حيث قتل الأنصارى وهرب الى مكة كافرا فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وهو العذاب الاليم وعن مجاهد أنه الاحتكار وقيل المنع من عمارته وعن عطاء هو قول الرجل فى المبايعة لا والله وبلى والله ومثله ما روى عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل فقيل له فى ذلك فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله والاولى التعميم وفيه أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل فى مهامه ومقاصده وهذا وان كان واجبا فى كل مكان الا أن وجوبه هنالك أوكد فللمكان خاصية كما للزمان ولهذا قال مجاهد تضاعف السيئات فيه كما تضاعف الحسنات عن ابن مسعود أن القصد الى الذنب يكتب

هنالك ذنبا وان لم يخرج الى الفعل وعنه لو أن رجلا يهم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله تعالى عذابا أليما واعلم أن خبر إن محذوف لدلالة
جواب الشرط عليه كأنه قيل ان الذين كفروا (٨٣) ويصدون نذيقهم من عذاب أليم ومن يرد فى الحرم بالحاد فهو كذلك وحين انجر

الكلام الى ذكر المسجد الحرام أتبعه ذكر الكعبة وبعض ما يتعلق به من المناسك فقال (واذ بوأنا) أى واذكر حين جعلنا (لابراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة ويروى أن موضع البيت كان مطموسا فبعث الله تعالى ريحا كنست ما حوله حتى ظهر أسه القديم فبنى ابراهيم عليه وقد مر قصة ذلك فى البقرة وقيل بعث غمامة على قدر البيت الحرام فى العرض والطول وفيها رأس يتكلم وله لسان وعينان فقال ياابراهيم ابن على قدرى فأخذ فى البناء وذهبت السحابة وأن فى (أن لا تشرك) هى المفسرة وذلك أن المقصود من التوبة هو العبادة فكأنه قيل تعبدنا لابراهيم قلنا له لا تشرك وطهر وقد مر مثله فى البقرة وانما قال ههنا (والقائمين) لان العاكف ذكر مرة فى قوله سواء العاكف والقائم اما بمعنى القيام فى الصلاة بدليل قوله والركع السجود أو بمعنى المقيم المتوطن والظاهر أن الخطاب فى (وأذن) لابراهيم أيضا أى ناد (فى الناس) وهو أن يقول حجوا أو عليكم (بالحج) يروى أنه صعد أبا قبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج الى القيامة الا وقد سمع ذلك النداء من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فمن أجاب مرة حج مرة ومن أجاب أكثر فأكثر ولعل الفائدة فى قوله (يأتوك)
هى هذه لان الاتيان الى مكة بسبب ندائه اتيان اليه وأيضا هو أول من حج وغيره يقتدى به وكأنه يأتيه وعن الحسن الحسين
وهو اختيار أكثر العلماء المعتزلة أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه معطوف على اذكر مقدرا ثم انه عام لجميع الناس أو خاص بمن حج

فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون قال أخبر سبحانه فى التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والارض أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال كتبنا فى القرآن بعد التوراة والارض أرض الجنة حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال الأرض الجنة حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش قال سألت سعيدا عن قول الله أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال أرض الجنة حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن الارض قال الجنة يرثها عبادى الصالحون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن الأرض يرثها عبادى الصالحون قال الجنة وقرأ قول الله جل ثناؤه وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فالجنة مبتدؤها فى الارض ثم تذهب درجات علوا والنار مبتدؤها فى الارض وبينهما حجاب سور ما يدرى أحد ما ذلك السور وقرأ باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال ودرجها تذهب سفلا فى الارض ودرج الجنة تذهب علوا فى السموات حدثنا محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع قال فقال ان الارض التى يقول الله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال هى الارض التى تجتمع اليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث وقال آخرون هى الارض يورثها الله المؤمنين فى الدنيا * وقال آخرون عنى بذلك بنو اسرائيل وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به واستشهد لقوله ذلك بقول الله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وقد ذكرنا قول من قال أن الارض يرثها عبادى الصالحون انها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس الذى روى عنه على بن أبى طلحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) يقول تعالى ذكره ان فى هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التى فرضها الله الى رضوانه وادراك الطلبة عنده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى الورد بن ثمامة عن أبى محمد الحضرمى قال ثنا كعب فى هذا المسجد قال والذى نفس كعب بيده ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين انهم لأهل أو أصحاب الصلوات الخمس سماهم الله عابدين حدثنا الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن علية عن سعيد بن اياس الجريرى عن أبى الورد عن كعب فى قوله ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين قال صوم شهر رمضان وصلاة الخمس قال هى ملء اليدين والبحر عبادة حدثنا القاسم قال ثنا

الحسين قال ثنا محمد بن الحسين عن الجريرى قال قال كعب الاحبار ان فى هذا البلاغا القوم عابدين لأمة محمد حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان فى هذا البلاغا القوم عابدين يقول عاملين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين قال يقولون فى هذه السورة لبلاغا ويقول آخرون فى القرآن تنزيل الفرائض الصلوات الخمس من أداها كان بلاغا لقوم عابدين قال عاملين حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين قال ان فى هذا المنفعة وعلما لقوم عابدين ذاك البلاغ وقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى خلقنا الا رحمة لمن أرسلناك اليه من خلقى * ثم اختلف أهل التأويل فى معنى هذه الآية أجميع العالم الذين أرسل اليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم أم أريد بها أهل الايمان خاصة دون أهل الكفر فقال بعضهم عنى بها جميع العالم المؤمن والكافر ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن المسعودى عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله فى كتابه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفى مما أصاب الامم من الخسف والقذف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن المسعودى عن أبى سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال تمت الرحمة لمن آمن به فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن به عوفى مما أصاب الامم قبل * وقال آخرون بل أريد بها أهل الايمان دون أهل الكفر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال العالمون من آمن به وصدقه قال وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة وقد جاء الامر مجملا رحمة للعالمين والعالمون ههنا من آمن به وصدقه وأطاعه * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى روى عن ابن عباس وهو أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم فأما مؤمنهم فان الله هداه به وأدخله بالايمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة وأما كافرهم فانه دفع به عنه عاجل البلاء الذى كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد ما يوحى الى ربى الا أنه لا اله لكم يجوز أن يعبد الا اله واحد لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغى ذلك لغيره فهل أنتم مسلمون يقول فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الاوثان والاصنام بالخضوع لذلك ومتبرؤن من عبادة ما دونه من آلهتكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ يقول تعالى ذكره فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الاقرار بالايمان بأن لا اله لهم الا اله واحد فأعرضوا عنه وأبوا الاجابة اليه فقل لهم قد آذنتكم على سواء يقول أعلمتكم وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب لا صلح بينهم ولا سلم وانما عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

معه فى حجة الوداع قولان وقيل انه ابتداء فرض الحج والرجال المشاة واحده راجل وقوله (وعلى كل ضامر) حال آخر كأنه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول لطول السفر (ويأتين) صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع والفج الطريق الواسع وقدمر فى السورة المتقدمة والعميق البعيد ومثله معيق وبه قرأ ابن مسعود وفى تقديم المشاة تشريف لهم روى سعيد بن جبير باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة والماشى سبعمائة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف حسنة قال جار الله نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادات وقد كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان المسلمين لا ينفكون عن التسمية اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على ان التسمية من الأغراض الأصلية المعتبرة خلاف ما كان يفعله المشركون من الذبح للنصب وفى قوله (على ما رزقهم) اشارة الى أن نفس القربان وتيسير ذلك العمل من نعم الله تعالى ولو قيل لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الانعام لم يكن شئ من هذه الفوائد والأيام المعلومات عند أكثر العلماء عشر ذى الحجة الأول آخرها يوم النحر لأنها معلومة عند الناس لحرصهم على أعمال الحج فيها ثم للمنافع أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وكذلك للذبح وقت بعينه وهو يوم النحر وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعى وأبى حنيفة وعن ابن عباس فى رواية أخرى أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعدها وهو اختيار أبى مسلم وقول أبى يوسف ومحمد وعلى الأول يكون قوله فى أيام متعلقا بكلا الفعلين أعنى ليشهدوا ويذكروا وعلى الثانى يختص تعلقه بالثانى ومعنى

حجاج عن ابن جريج قوله فان تولوا فقل آذنتكم على سواء فان تولوا يعنى قريشا وقوله وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون يقول تعالى ذكره لنبيه قل وما أدرى متى الوقت الذى يحل بكم عقاب الله الذى وعدكم فينتقم به منكم أقريب نزوله بكم أم بعيد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون قال الأجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين ان الله يعلم الجهر الذى تجهرون به من القول ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته انه لا يخفى عليه منه شئ فان أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به فما أدرى ما السبب الذى من أجله يؤخر ذلك عنكم لعل تأخيره ذلك عنكم مع وعده اياكم لفتنة يريدها بكم ولتتمتعوا بحياتكم الى أجل قد جعله لكم تبلغونه ثم ينزل بكم حينئذ نقمته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين يقول لعلى ما أقرب لكم من العذاب والساعة أن يؤخر عنكم لمدتكم ومتاع الى حين فيصير قولى ذلك لكم فتنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد يا رب افصل بينى وبين من كذبنى من مشركى قومى وكفر بك وعبد غيرك باحلال عذابك ونقمتك بهم وذلك هو الحق الذى أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به وهو نظير قوله جل ثناؤه ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال رب احكم بالحق قال لا يحكم بالحق الا الله ولكن انما استعجل بذلك فى الدنيا يسأل ربه على قومه **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار قل رب احكم بكسر الباء ووصل الالف ألف احكم على وجه الدعاء والمسألة سوى أبى جعفر فانه ضم الباء من الرب على وجه نداء المفرد وغير الضحاك بن مزاحم فانه روى عنه أنه كان يقرأ ذلك ربى أحكم على وجه الخبر بأن الله أحكم بالحق من كل حاكم فيثبت الياء فى الرب ويهمز الالف من أحكم ويرفع أحكم على أنه خبر للرب تبارك وتعالى * والصواب من القراءة عندنا فى ذلك وصل الباء من الرب وكسرها باحكم وترك قطع الالف من احكم على ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وأما الضحاك فان فى القراءة التى ذكرت عنه زيادة حرف على خط المصاحف ولا ينبغى أن يزاد ذلك فيها مع صحة معنى القراءة بترك زيادته وقد زعم بعضهم أن معنى قوله رب احكم بالحق قل رب احكم بحكمك الحق ثم حذف الحكم الذى الحق نعت له وأقيم الحق مقامه ولذلك وجه غير أن الذى قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل فلذلك اخترناه وقوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون يقول جل

ثناؤه

(بهيمة الانعام) بهيمة من الأنعام لأن البهيمة تشمل كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالانعام وهى الابل والبقر والضأن والمعز وقدمر فى أول المائدة قال مقاتل اذا ذبحت فقل بسم الله والله أكبر اللهم منك واليك وتستقبل القبلة وزاد الكلبى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين قال القفال كان المتقرب بها وباراقة دمائها متصور بصورة من يفدى نفسه بما يعادلها فكأنه يبذل تلك الشاة بذل مهجته طلبا لمرضاة الله واعترافا بأن تقصيره كاد يستحق مهجته أما قوله (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) فالبائس الذى أصابه بؤس أى شدة والفقير قدمر فى آية الصدقات فى التوبة وفى غيرها ثم من الناس من قال الأمران للوجوب لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون منها فأمر المسلمون بمخالفتهم والاكثرون على أن الأكل ليس بواجب ثم منهم من قال يحسن أن يأكل النصف ويتصدق بالنصف رعاية للامرين ومنهم من قال يأكل الثلث ويتصدق بالثلثين لما يجئ من قوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر فجعلها على ثلاثة أقسام ومنهم من قال يأكل الثلث ويدخر الثلث ويتصدق بالثلث لما جاء فى الحديث من الأمر بالادخار والأولى وهو مذهب الشافعى أنه ان أطعم جميعها أجزأه وان أكل جميعها لم يجزئه واذا تصدق بأقل شئ من لحمها يكفى هذا اذا كان متطوعا وأما الواجبات كالنذور والكفارات وجبران النقصانات مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة فلا يأكل منها لا هو ولا أغنياء الرفقة ولا فقراؤها لما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن ناجية الخزاعى قال قلت يارسول الله كيف أصنع بما عطب من البدن قال انحرها ثم اغمس نعلها فى دمها ثم خل بين الناس وبينها يأكلونها وقال أيضا صلى الله عليه وسلم فى مثله لا تأكل منها أنت ولا أحد من

ثناؤه وقل يا محمد وربنا الذى يرحم عباده ويعمهم بنعمته الذى أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لى فيما أتيتكم به من عند الله ان هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقولكم بل افتراه بل هو شاعر وفى كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم اتخذ الرحمن ولدا فانه هين عليه تغيير ذلك وفصل ما بينى وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك

(آخر تفسير سورة الانبياء عليهم السلام)

(تفسير سورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه فان عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد ثم وصف جل ثناؤه هول أشراط ذلك اليوم وبدوه فقال ان زلزلة الساعة شئ عظيم واختلف أهل العلم فى وقت كون الزلزلة التى وصفها جل ثناؤه بالشدة فقال بعضهم هى كائنة فى الدنيا قبل يوم القيامة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة فى قوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال قبل الساعة **حدثنى** سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال هذا فى الدنيا قبل يوم القيامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج فى قوله ان زلزلة الساعة فقال زلزلتها أشراطها الآيات يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال هذا فى الدنيا من آيات الساعة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر فى اسناده نظر وذلك ما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد بن أبى زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والارض إلا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الامواج تكفأ

رفقتك قوله (ثم ليقضوا تفثهم) لا يبعد أن يكون معطوفا على ليشهدوا فان هذه الأعمال كلها غايات للاتيان الا أن اسكان هذه اللامات فى بعض القرا آت يدل على أنها لام الامر وعلى هذا تكون هذه الاوامر الغائبة معطوفة على الامرين الحاضرين قبلها والله أعلم

قال أبو عبيدة لم يجئ فى الشعر ما يحتج به فى معنى التفث وقال الزجاج ان أهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال القفال قال نفطويه سألت أعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما أفسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما أتفثك وما أدرنك ثم زعم القفال أن هذا أولى من قول الزجاج لان المثبت أولى من النافى وقال المبرد أصل التفث فى كلام العرب كل قاذورة تلحق الانسان فيجب عليه نقضها وأجمع أهل التفسير على أن المراد ههنا ازالة الاوساخ والزوائد كقص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فتقدير الآية ثم ليقضوا ازالة تفثهم وليوفوا نذورهم أى الاعمال التى أوجبها الحج بالشروع فيه أو أعمال البر التى أوجبوها على أنفسهم بالنذر فان الرجل اذا حج أو اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدى وغيره ما لولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه (وليطوفوا) هو طواف الافاضة والزيارة التى هى ركن وقد شرحت حاله فى البقرة فى قوله فاذا أفضتم من عرفات وقيل هو طواف الوداع والصدر سمى (بالبيت العتيق) لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وقال قتادة لانه أعتق من تسلط الجبابرة عليه وهو قول ابن عباس وابن الزبير ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن سو قوم واختت عيينة لانه لم يملك قط وعن مجاهد لانه أعتق من الغرق أيام الطوفان وقيل معناه البيت الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير والحرمة ومجد يحل هتكه وجميع التكاليف بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ويحتمل أن يراد ههنا ما يتعلق بالحج عن زيد بن أسلم أن الحرمات

نجس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وتعظيمها العلم بوجوبها والقيام بحقوقها وقوله (فهو خير) أي فالتعظيم له خير من التهاون بذلك وقوله (عند ربه) اشارة الى أن ثوابه مدخر لأجله قوله (وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) قد مر في أول المائدة مثله أي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وهي حرمت عليكم الميتة أو قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم أو قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وحين حث على تعظيم الحرمات أتبعه الأمر بما هو أعظم أنواعها وأقدم أصنافها قائلا (فاجتنبوا الرجس) وبينه بقوله (من الاوثان) أي الرجس الذي هو الأوثان كقولك عندي عشرون من الدراهم والرجس العمل القبيح في الغاية وقد مر في آخر المائدة في تفسير قوله رجس من عمل الشيطان والزور من الزور الميل والاضافة كقولهم رجل صدق جمع بين القول الزور وبين الشرك لان عبادة الاوثان هي رأس الزور وملاكه قال الأصم وصف الاوثان بأنها رجس لان عادتهم في القربان أن يتعمدوا سقوط الدماء عليها والاقرب أنها وصفت بذلك لان عبادتها فعلة متمادية في القبح والسماجة وللمفسرين في قول الزور وجوه منها أنه قولهم هذا حلال وهذا حرام ومنها أنه شهادة الزور رفعوا هذا التفسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها أنه الكذب والبهتان ومنها أنه قول أهل الجاهلية في الطواف لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقوله (حنفاء لله غير مشركين به) حالان مؤكدان والمراد الاخلاص في التوحيد كقوله حنيفا ولم يك من المشركين وفائدة الحالين هي فائدة التولي والتبري وانما أخر نفي الاشراك وان كان مقدما في الرتبة اذ التخلية والتبرئة مقدمة على التحلية والتولية ليرتب عليه قوله (ومن يشرك بالله) الآية قال جار الله

بأهلها أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك فقال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي ومن ذكرنا ذلك عنه قول لولا مجيء الصحاح من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله * والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه * ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن صاحب له حدثه عن عمران بن حصين قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه اذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم ينادي آدم يناديه ربه ابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار قال فأبلس القوم فما وضح منهم ضاحك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا اعملوا وأبشروا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه فمن هلك من بني آدم ومن هلك من بني ابليس ويأجوج ومأجوج قال أبشروا ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في جناح الدابة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا هشام بن أبي عبد الله عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي وحدثنا ابن أبي عدي عن هشام جميعا عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن العلاء بن زياد عن عمران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذاكم قيل الله ورسوله أعلم فذكر نحوه الا أنه زاد وانه لم يكن رسولان الا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وانكم بين ظهراني خليقتين لا يعادهما أحد من أهل الارض الا كثروهم وهم

يأجوج ومأجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لآدم أخرج بعث النار قال فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال قلنا فأين الناجي يارسول الله قال أبشروا فان واحدا منكم وألفا من يأجوج ومأجوج ثم قال اني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال اني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال اني لأطمع أن تكونوا نصف أهل الجنة انما مثلكم في الناس كمثل الشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كمثل الشعرة السوداء في الثور الابيض حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لآدم يوم القيامة ثم ذكر نحوه حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحشر قال يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك فيقول ابعث بعثا الى النار ثم ذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم حتى الى عذاب الله شديد الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير فرجع بها صوته حتى ثاب اليه أصحابه فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وان معكم لخليقتين ما كانتا في شئ قط الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن اسحق عن عمرو بن ميمون قال دخلت على ابن مسعود بيت المال فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال فوالذي نفسي بيده اني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان قلة المسلمين في الكفار يوم القيامة كالشعرة السوداء في الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الاسود حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال هذا يوم القيامة والزلزلة مصدر من قول القائل زلزلت بفلان الارض أزلزله زلزلة وزلزالا بكسر الزاي من الزلزال كما قال الله اذا زلزلت الارض زلزالها وكذلك المصدر من كل سليم من الأفعال اذا جاءت على فعلال فبكسر أوله مثل وسوس وسوسة ووسواسا فاذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوسواس وهو ما وسوس الى الانسان كما قال الشاعر

يعرف الجاهل المضلل أن الدهر فيه النكر والزلزال

وقوله تعالى ذكره يوم ترونها يقول جل ثناؤه يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من

ان كان تشبيها مركبا فعناه من أشرك بالله فقد أهلك نفسه غاية الاهلاك وذلك بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته أي استلبته الطير فتفرق مزعا أي قطعا من اللحم في حواصلها أو يحال من خر فعصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح السحيقة البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي تركه فأشرك فقد سقط منها والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المتخطفة وفي المثل الآخر شبه الشيطان الذي يطرح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بالاشياء في المهاوي المتلفة وتعظيم شعائر الله وهي الهدايا كما مر في أول المائدة هي أن يختارها عظام الأجرام غالية الأثمان وقد مر وصفها الشرعي في البقرة في قوله فما استيسر من الهدى وقد أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب قال في الكشاف (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وأقول في هذا الوجوب نظر لأنه ليس بشرعي ولا بعقلي على ما يزعم المعتزلة أما المضاف الاول فلانه يحتمل أن يعود الضمير الى التعظيم بمعنى الخلة وأما الآخران فلأن من للعموم فلا يلزم أن يقدر لفظة منه أو فاعل التعظيم موحدين حتى لا يطابقها لفظ القلوب بل يحتمل أن يقدر لفظة منهم أو يقدر فان تعظيمهم اياها فيرجع الكلام الى قولنا ومن يعظم شعائر الله فان تلك الخلة منهم من تقوى القلوب أي ناشئة من تقوى قلوبهم فان القلوب مراكز التقوى التي منها اعتبارها وعليها مدارها ولا عبرة بما يظهر من آثارها على سائر الجوارح دونها ثم كان لسائل أن يسأل ما بال هذه الحيوانات تذبح فيتقرب بها الى الله تعالى فلهذا قال (لكم فيها منافع) يعني الدنيوية من الدر وركوب الظهر ويشير الى الدينية بقوله

عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت و يعني بقوله تذهل تنسى وتترك من شدة كربها يقال ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولا وذهلت أيضا وهي قليلة والفصيح الفتح في الهاء فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين لم يسمع غير ذلك ومنه قول الشاعر

* صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل *

فأما اذا أريد أن الهول أنساه وسلاه قلت أذهله هذا الامر عن كذا يذهله اذهالا وفي اثبات الهاء في قوله كل مرضعة اختلاف بين أهل العربية (١) وكان بعض نحويي الكوفيين يقول اذا أثبتت الهاء في المرضعة فانما يراد أم الصبي المرضع واذا أسقطت فانه يراد المرأة التي معها صبي ترضعه لأنه أريد الفعل بها قالوا ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مرضع قال وكذلك كل مفعل أو فاعل يكون للانثى ولا يكون للذكر فهو بغير هاء نحو مقرب وموقر ومشدن وحامل وحائض * قال أبو جعفر وهذا القول عندي أولى بالصواب في ذلك لان العرب من شأنها اسقاط هاء التأنيث من كل فاعل ومفعل اذا وصفوا المؤنث به ولو لم يكن للمذكر فيه حظ فاذا أرادوا الخبر عنها أنها ستفعله ولم تفعله أثبتوا هاء التأنيث ليفرقوا بين الصفة والفعل منه قول الاعشى فيما هو واقع ولم يكن وقع قبل

أيا جارتا بيني فانك طالقه * كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وأما فيما هو صفة نحو قول امرئ القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

وربما أثبتوا الهاء في الحالتين وربما أسقطوها فيهما غير أن الفصيح من كلامهم ما وصفت فتأويل الكلام اذا يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال تترك ولدها للكرب الذي نزل بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن الحسن تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال ذهلت عن أولادها بغير فطام وتضع كل ذات حمل حملها قال ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام وتضع كل ذات حمل حملها يقول وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها وقوله وترى الناس سكارى قرأت قراء الامصار وترى الناس سكارى على وجه الخطاب للواحد كأنه قال وترى يا محمد الناس حينئذ سكارى وما هم بسكارى وقد روى عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير وترى الناس بضم التاء ونصب الناس من قول القائل رؤيت ترى التي تطلب الاسم والفعل كظن وأخواتها * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه واختلف القراء في قراءة قوله سكارى فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض أهل الكوفة سكارى وما هم بسكارى وقرأته عامة قراء أهل الكوفة وترى الناس سكرى وما هم بسكرى * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ومعنى الكلام وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن الحسن

(١) يتأمل في هذا المقام ويراجع اللسان فانه أبسط

لكم فيها خير ولهذا أطلق ذلك وقيد هذه بقوله (الى أجل مسمى) وهو أوان النحر ثم بين أن وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها أو مكان نحرها منتهية الى البيت أو الى ما يجاوره و يقرب منه وهو الحرم كما مر في قوله هديا بالغ الكعبة ومثله قوله بلغنا البلد اذا شارفوه واتصل مسيرهم بحدوده قال القفال هذا انما يختص بالهدايا التي بلغت منى فاما اذا عطبت قبل بلوغ مكة فان محلها هو موضعها روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يا رسول الله انها هدى فقال اركبها ويلك وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال اركبوا الهدى بالمعروف حتى تجدوا ظهرا وهذا هو الذي اختاره الشافعي وعن أبي حنيفة أنه لا يجوز الانتفاع بها لانه لا يجوز اجارتها ولو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها وضعف بأن أم الولد لا يمكنه بيعها و يمكنه الانتفاع بها وممن ذهب الى هذا القول من فسر الأجل المسمى بوقت تسميتها هديا والمراد أن لكم أن تنتفعوا بهذه الانعام الى أن تسموها أضحية وهديا فاذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها وقد ينسب هذا القول الى ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك أجاب الأولون بأن الضمير في قوله لكم فيها منافع عائد الى الشعائر وتسميته ما سيجعل شعيرة مجاز والأصل عدمه قال في الكشاف ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع محلها منتهية الى البيت ومنهم من فسر الشعائر بالمناسك كلها وفسر الاجل المسمى بأوان انقطاع التكليف وزيفه جار الله بان محلها الى البيت يأباه ثم بين أن القرابين في الشرائع القديمة وان اختلفت أمكنتها وأوقاتها فقال (ولكل أمة جعلنا منسكا) موضعا أو قربانا يذبح فيه

وترى

وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وماهم بسكارى قال ماهم بسكارى من الشراب ولكن عذاب الله شديد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وترى الناس سكارى وماهم بسكارى قال ماشربوا خمرا ولكن عذاب الله شديد وقوله ولكن عذاب الله شديد يقول تعالى ذكره ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ماعاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله مع علمهم بشدة عذاب الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قال النضر بن الحرث ويعني بقوله من يجادل في الله بغير علم من يخاصم في الله فيزعم أن الله غير قادر على احياء من قد بلي وصار ترابا بغير علم يعلمه بل بجهل منه بما يقول ويتبع في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم كل شيطان مريد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير ﴾ يقول تعالى ذكره قضي على الشيطان فمعنى كتب ههنا قضي والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كتب عليه أنه من تولاه قال كتب على الشيطان أنه من اتبع الشيطان من خلق الله كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كتب عليه أنه من تولاه قال الشيطان اتبعه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه من تولاه قال اتبعه وقوله فأنه يضله يقول فان الشيطان يضله يعني يضل من تولاه والهاء التي في يضله عائدة على من التي في قوله من تولاه وتأويل الكلام قضي على الشيطان أنه يضل أتباعه ولا يهديهم الى الحق وقوله ويهديه الى عذاب السعير يقول ويسوق من اتبعه الى عذاب جهنم الموقدة وسياقه اياه اليه بدعائه اياه الى طاعته ومعصية الرحمن فذلك هدايته من تبعه الى عذاب جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم اتباعا منه للشيطان المريد وتنبيه له على موضع خطا قيله وانكاره ما أنكر من قدرة ربه قال يا أيها الناس ان كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلائكم استعظاما منكم لذلك فان في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ثم انشائناكم من نطفة آدم ثم تصريفناكم أحوالا حالا بعد حال من نطفة الى علقة ثم من علقة الى مضغة لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه اعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مخلقة وغير مخلقة فقال بعضهم هي من صفة النطفة قال ومعنى ذلك فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة قالوا فأما المخلقة فما كان خلقا سويا وأما غير مخلقة فما دفعته الارحام

النسائك الذبائح كسر السين سماع وفتحها قياس ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى النسك والمراد شرعنا لكل أمة من الامم السالفة من زمن ابراهيم الى من قبله وبعده أن ينسكوا لله أي يذبحوا لوجهه على جهة التقرب وجعل الغاية في ذلك هي أن يذكر اسمه على نحرها تنبيها على العلة في تخصيص اسمه بذلك قائلا (فالهكم اله واحد) لان تفرده بالالهية يقتضي أن لا يذكر على الذبائح الا اسمه ويجوز أن يتعلق هذا الكلام بأول الآية والمعنى انما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والاشخاص لاختلاف المصالح لا لتعدد الاله ثم ذكر أن تفرده بالالهية يقتضي اختصاصه بالطاعة قائلا (فله أسلموا) أي خصوه بالانقياد الكلي والامتثال لأوامره ونواهيه خالصا لوجهه من غير شائبة اشراك ثم أمر نبيه عليه السلام بتبشير المخبتين وفسرهم بقوله (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) والتركيب يدور على التواضع والخشوع ومنه الخبت للمطمئن من الارض وعن عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال الكلبي هم المجتهدون في العبادة ثم عطف على المخبتين قوله (والصابرين على ما أصابهم) أي من المكاره في ذات الله كالأمراض والمحن فأما الذي يصيبهم من قبل الظلمة فقد قال العلماء انه لا يجب الصبر عليه ولكن لو أمكنه الدفع وجب دفعه ولو بالقتال ثم خص من أنواع التكاليف التي تشق على النفس وتكرهها نوعين هما أشرف العبادات البدنية والمالية أعني الصلاة والزكاة وقوله (ومما رزقناهم) عطف على المقيمي الصلاة من حيث المعنى كأنه قيل والذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ثم عاد الى تعظيم شأن الضحايا مرة أخرى وخص منها العظام الجسام بقوله (والبدن جعلناها) هي بضم الدال وسكونها جمع بدنة وهي الابل خاصة لعظم بدنها الا أن الشارع ألحق

البقرة بها حكما قال أبو حنيفة ومحمد لو قال على بدنة يجوز له نحرها فى غير مكة وقال أبو يوسف لا يجوز الا بمكة بناء على أن البدنة مختصة بناقة أو بقرة تذبح هناك واتفقوا فيما اذا نذر هديا بأنه يجب ذبحه بمكة وفيما اذا نذر جزورا أنه يذبحه حيث شاء وانتصب قوله والبدن

من النطف والقته قبل أن يكون خلقا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبى هند عن عامر عن علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة فى الرحم بعث الله ملكا فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يارب فما صفة هذه النطفة أذكر أم أنثى ما رزقها ما أجلها أشقى أو سعيد قال فيقال له انطلق الى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة قال فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتى على آخر صفتها * وقال آخرون معنى ذلك تامة وغير تامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة فى قول الله مخلقة وغير مخلقة قال تامة وغير تامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مخلقة وغير مخلقة فذكر مثله * وقال آخرون معنى ذلك المضغة مصورة انسانا وغير مصورة فاذا صورت فهى مخلقة واذا لم تصور فهى غير مخلقة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله مخلقة قال السقط مخلقة وغير مخلقة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مخلقة وغير مخلقة قال السقط مخلوق وغير مخلوق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر أنه قال فى النطفة والمضغة اذا نكست فى الخلق الرابع كانت نسمة مخلقة واذا قذفتها قبل ذلك فهى غير مخلقة * قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن أبى سلمة عن داود بن أبى هند عن أبى العالية مخلقة وغير مخلقة قال السقط * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال المخلقة المصورة خلقا تاما وغير مخلقة السقط قبل تمام خلقه لان المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا الا التصوير وذلك هو المراد بقوله مخلقة وغير مخلقة خلقا سويا وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصور ولا ينفخ فيها الروح وقوله لنبين لكم يقول تعالى ذكره جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداءنا خلقكم وقوله ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره من كنا كتبنا له بقاء وحياة الى أمد وغاية فانا نقره فى رحم أمه الى وقته الذى جعلنا له أن يمكث فى رحمها فلا تسقطه ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله فاذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها فيخرج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال التمام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال الاجل المسمى اقامته فى الرحم حتى يخرج وقوله ثم نخرجكم طفلا يقول تعالى ذكره ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم اذا بلغتم الأجل الذى قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ووحد الطفل وهو صفة للجميع

بفعل يفسره ما بعده ومعنى جعلها من شعائر الله أنها من أعلام الشريعة التى شرعها الله عن بعض السلف أنه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير أى ثواب فى الآخرة كما ذكرنا وبعضهم لم يفرق بين الآيتين فحمل كلا منهما على خير الدنيا والآخرة والأنسب ما فسرناه حذرا من التكرار ما أمكن ومعنى (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ولعل السر فيه تكثير سوادها للناظرين وتقوية قلوب المحتاجين (فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت على الارض من وجبت الحائط وجبة سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى اذا زهق روحها حل لكم الاكل منها واطعام القانع والمعتر فالقانع السائل والمعتر الذى لا يسأل تعففا وقيل بالعكس فهما من الاضداد كأن القانع قنع بالسؤال أو قنع بما قسم له فلا يسأل والمعتر رضى بعره أى عيبه فلا يسأل أو يسأل ثم من على عباده بأن سخر لهم البدن أن يحبسوها صافة قوائمها مطعونا فى لباتها مثل التسخير الذى شاهدوا وعلموا يأخذ بخطامها صبى فيقودها الى حيث يشاء وليست بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر جرما وأقل قوة ولولا أنه سبحانه سخرها يروى أن أهل الجاهلية كانوا يلطخون الاوثان وحيطان الكعبة بلحوم القرابين ودمائها فبين الله تعالى ما هو المقصود منها فقال (لن ينال الله) أى لن يصيب رضا الله أصحاب اللحوم والدماء المهراقة بمجرد الذبح والتصدق (ولكن يناله التقوى منكم) بأن تكون القربان حلالا ويراعى فيها جهات الاجزاء ثم لانه

لانه مصدر مثل عدل وزور وقوله ثم لتبلغوا أشدكم يقول ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم وقد ذكرت اختلاف المختلفين فى الأشد والصواب من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ يقول تعالى ذكره ومنكم أيها الناس من يتوفى من قبل أن يبلغ أشده فيموت ومنكم من ينسأ فى أجله فيعمر حتى يهرم فيرد من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده الى أرذل عمره وذلك الهرم حتى يعود كهيئته فى حال صباه لا يعقل من بعد عقله الاول شيأ ومعنى الكلام ومنكم من يرد الى أرذل العمر بعد بلوغه أشده لكيلا يعلم من بعد علم كان يعلمه شيأ وقوله وترى الأرض هامدة يقول تعالى ذكره وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع وأصل الهمود الدروس والدثور ويقال منه همدت الأرض تهمد همودا ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا ☼ وأرى ثيابك باليات همدا

والهمد جمع هامد كما الركع جمع راكع ☼ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وترى الارض هامدة قال لا نبات فيها وقوله فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يقول تعالى ذكره فاذا نحن أنزلنا على هذه الارض الهامدة التى لا نبات فيها المطر من السماء اهتزت يقول تحركت بالنبات وربت يقول وأضعفت النبات بمجىء الغيث ☼ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اهتزت وربت قال عرف الغيث فى ربوها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة اهتزت وربت قال حسنت وعرف الغيث فى ربوها وكان بعضهم يقول معنى ذلك فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ويوجه المعنى الى الزرع وان كان الكلام مخرجه على الخبر عن الارض وقرأت قراء الامصار وربت بمعنى الربو الذى هو النماء والزيادة وكان أبو جعفر القارئ يقرأ ذلك وربأت بالهمز **حدثت** عن الفراء عن أبى عبد الله التميمى عنه وذلك غلط لانه لا وجه للربء ههنا وانما يقال ربأ بالهمز بمعنى حرس من الربيئة ولا معنى للحراسة فى هذا الموضع والصحيح من القراءة ما عليه قراء الامصار وقوله وأنبتت من كل زوج بهيج يقول جل ثناؤه وأنبتت هذه الارض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج يعنى بالبهيج البهج وهو الحسن ☼ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنبتت من كل زوج بهيج قال حسن **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذى ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم فى بطون أمهاتكم ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده طفلا وكهلا وشيخا هرما وتنبيهنا كم على فعلنا بالارض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث

يصرفها فيما أمر ثم كرر منة التسخير وأن الغاية تكبير الله على الهداية لأعلام دينه ومناسك حجه وصورة التكبير وما يتعلق بها قد سبق فى البقرة فى آية الصيام قالت المعتزلة لما لم ينتفع المكلف بالأجسام التى هى اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب أن تكون التقوى فعلا له والا كان بمنزلة الاجسام وأيضا انه قد شرط التقوى فى قبول العمل وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يقبل عمله والجواب أنه لا يلزم من عدم انتفاعه ببعض ما ليس من أفعاله أن لا ينتفع بكل ما ليس من أفعاله وأيضا ان صاحب الكبائر اتقى الشرك فيصدق عليه أنه متق (وبشر المحسنين) الى أنفسهم بتوفير الثواب عليها والاحسان بالحقيقة أن تعبد الله كأنك تراه وفيه ترغيب لما شرط من رعاية الاخلاص فى القرابين وغيرها وحين فرغ من تعداد بعض مناسك الحج ومنافعها وكان الكلام قد انجر الى ذكر الكفار وصدهم عن المسجد الحرام أتبعه بيان ما يزيل ذلك الصد ويمكن من الحج وزيارة البيت فقال (ان الله يدفع) ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع (عن الذين آمنوا) فعل المغالب والمدفوع هو بأس المشركين وما كانوا يخونون الله ورسوله فيه ودل عليه تعليله بقوله (ان الله لا يحب كل خوان كفور) أى انه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته قال مقاتل أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأى خيانة أعظم من هذا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقون من المشركين أذى شديدا وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فنزل (أذن) وفاعله الله سبحانه أم لم يسم والمأذون فيه القتال بدليل قوله (للذين يقاتلون) ان فتح التاء فظاهر لان المشركين كانوا يقاتلون المؤمنين وانهم يؤمرون بالصبر وان كسرت فمعناه أذن للذين يحرصون على قتال المشركين فى المستقبل نزل حرصهم على القتال منزلة نفس القتال (بأنهم ظلموا) أى بسبب كونهم مظلومين وهى

لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذى فعل ذلك الله الذى هو الحق لا شك فيه وأن من سواه مما تعبدو ولا من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شئ من ذلك وتعلموا أن القدرة التى جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذر عليها أن يحيى بها الموتى بعد فنائها ودروسها فى التراب وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شئ قادر لا يمتنع عليه شئ أراده ولتوقنوا بذلك أن الساعة التى وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جائية لا محالة لا ريب فيها يقول لا شك فى مجيئها وحدوثها وأن الله يبعث من فى القبور حينئذ من فيها من الأموات أحياء الى موقف الحساب فلا تشكوا فى ذلك ولا تمتروا فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ يقول تعالى ذكره ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله وافراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ولا هدى يقول وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان ولا كتاب منير يقول وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول منير يقول ينير عن حجته وانما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا وذكر أنه عنى بهذه الآية والتى بعدها النضر بن الحرث من بنى عبد الدار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ يقول تعالى ذكره يجادل هذا الذى يجادل فى الله بغير علم ثانى عطفه * واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله وصف بأنه يثنى عطفه وما المراد من وصفه اياه بذلك فقال بعضهم وصفه بذلك لتكبره وتبختره وذكر عن العرب أنها تقول جاءنى فلان ثانى عطفه اذا جاء متبخترا من الكبر ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ثانى عطفه يقول مستكبرا فى نفسه * وقال آخرون بل معنى ذلك لاو رقبته ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ثانى عطفه قال رقبته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ثانى عطفه قال لاو عنقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى اليه فلا يسمع له ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثانى عطفه يقول يعرض عن ذكرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله قال لاويا رأسه معرضا موليا لا يريد أن يسمع ما قيل له وقرأ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثانى عطفه قال يعرض عن الحق * قال أبو جعفر وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الاعراض عما هو مستكبر عنه ولى عنقه عنه والاعراض * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله وصف هذا المخاصم فى الله بغير علم أنه من كبره اذا دعى الى الله أعرض عن داعيه ولوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا وقوله ليضل عن سبيل الله يقول تعالى ذكره يجادل هذا

أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم وفى قوله ان الله يدافع ثم فى قوله وان الله على نصرهم لقدير عدة كاملة باعلاء هذا الدين واظهار ذويه على أهل الاديان كلهم كما تقول لغيرك ان أطعتنى فأنا قادر على مجازاتك لا تريد مجرد اثبات القدرة بل تريد أنك ستفعل ذلك ثم وصف ذلك الظلم بأن وصف الموعودين بالنصر بقوله (الذين أخرجوا من ديارهم) ومحل أن يقولوا جر على الابدال من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى يوجب الاقرار والتمكين لا الاخراج والازعاج نظيره هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله (ولولا دفع الله الناس) قد مر فى أواخر البقرة وللمفسرين فيه عبارات قال الكلبى يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين عن القاعدين وعن ابن عباس يدفع بالمحسن عن المسئ وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الآية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام وأهله عن أهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص أما الصوامع والبيع والصلوات فعن الحسن أنها كلها أسماء المساجد فقد يتخذ المسلم لنفسه صومعة لاجل العبادة قال الجوهرى الأصمع الصغير الاذن ويقال أتانا بثريدة مصمعة اذا دققت وحدد رأسها وصومعة النصارى فوعلة من هذا لانها دقيقة الرأس وقد تطلق البيعة على المسجد للتشبيه وكذا الصلوات وسميت كنيسة اليهود صلاة لانها يصلى فيها ويحتمل أن يراد مكان الصلوات أو يراد الصلاة الشرعية نفسها وصح ايقاع الهدم عليها نظرا الى قرائنها كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * وان كان الرمح لا يتقلد هذا كله توجيه تفسير الحسن والاكثرون على أنها متعبدات مختلفة فعن أبى العالية أن الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد

المشرك

المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويسيرلهم عمه له في الدنيا خزي يقول جل ثناؤه لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين فقتله الله بأيديهم يوم بدر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج له في الدنيا خزي قال قتل يوم بدر وقوله ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق يقول تعالى ذكره ونحرقه يوم القيامة بالنار وقوله ذلك بما قدمت يداك يقول جل ثناؤه ويقال له اذا أذيق عذاب النار يوم القيامة هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبته فيها من الاجرام وأن الله ليس بظلام للعبيد يقول وفعلنا ذلك لان الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بعض عبيده على جرم وهو يعفو مثله عن آخر غيره أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب ولكنه لا يعاقب أحدا الا على جرمه ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر الا بسبب استحق به منه مغفرته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ يعني جل ذكره بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فان نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الاسلام أقاموا على الاسلام والا ارتدوا على أعقابهم فقال الله ومن الناس من يعبد الله على شك فان أصابه خير اطمأن به وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالاسلام وثبت عليه وان أصابته فتنة وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انقلب على وجهه يقول ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الى قوله انقلب على وجهه قال الفتنة البلاء كان أحدهم اذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة فان صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن اليه وقال ما أصبت منذ كنت على ديني هذا الا خيرا وان أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا الا شرا وذلك الفتنة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي بكر عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قول الله ومن الناس من يعبد الله على حرف قال على شك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على حرف قال على شك فان أصابه خير رخاء وعافية اطمأن به استقر وان أصابته فتنة عذاب ومصيبة انقلب ارتد على وجهه كافرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج كان ناس من قبائل العرب وممن حولهم من أهل القرى يقولون نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فان صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه والا لحقنا بأهلنا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من يعبد الله

للمسلمين وفي تخصيصها بقوله (يذكر فيها اسم الله كثيرا) تشريف لها وتفضيل على غيرها الا ان الظاهر عود الضمير اليها فقط وعن قتادة أن الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود قال الزجاج وهي بالعبرانية صلوتا. وقيل الصوامع والبيع كلتاهما للنصارى ولكن الاولى في الصحراء والاخرى في البلد وانما أخر متعبد أهل الاسلام لتأخر زمانهم ولاضير فان أول الفكر آخر العمل وقال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وتفسير الآية على قول الاكثرين لولا دفع الله لهدم في شرع كل نبي المكان المعهود لهم في العبادة فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وعلى هذا الوجه انما رفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ ويحتمل أن يراد لولا ذلك لاستولى أهل الشرك على أهل الاديان في زمن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المسلمين وأهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا المتعبدات بأسرها وعلى هذا الوجه انما دفع عن سائر أهل الاديان لان متعبداتهم يجري فيها ذكر الله في الجملة ليست بمنزلة بيوت الاصنام ثم عزم على نفسه نصرة من ينصر دينه وأولياءه وأكد ذلك بقوله (ان الله لقوي عزيز) ومعنى القوة والعزة أنه لا يمتنع شيء من نفاذ أمره فيدمع أنه لا يتأثر عن شيء أصلا ونصرة الله العبد تقويته على أعدائه ووضع الدلائل على ما ينفعه في الدارين ونفث روح القدس بأمره داعيا الى الخير والصلاح في روعه ثم أتبع قوله الذين أخرجوا قوله (الذين ان مكناهم) وقيل هو بدل من قوله من ينصره وهو اخبار منه عز وجل عما ستكون عليه سيرة المهاجرين اذا مكنهم في الارض وبسط لهم الدنيا وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء أراد أن الله تعالى قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا في شأن الدين واعلائه ما أحدثوا وقيل انه مخصوص من المهاجرين بالخلفاء

على حرف قال شك فان أصابه خير يقول كثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن وقال لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته الاخير وان أصابته فتنة يقول وان ذهب ماله وذهبت ماشيته انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية كان ناس من قبائل العرب وممن حول المدينة من القرى كانوا يقولون نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه فان صادفنا خيرا اتبعناه والا لحقنا بمنازلنا وأهلينا وكانوا يأتونه فيقولون نحن على دينك فان أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا هذا دين صدق وان تأخر عنهم الرزق وأزلقت خيولهم وولدت نساؤهم البنات قالوا هذا دين سوء فانقلبوا على وجوههم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة قال هذا المنافق ان صلحت له دنياه أقام على العبادة وان فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ولا يقيم على العبادة الا لما صلح من دنياه واذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع الى الكفر وقوله خسر الدنيا والآخرة يقول غبن هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه لانه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة يقول وخسر الآخرة فانه معذب فيها بنار الله الموقدة وقوله ذلك هو الخسران المبين يقول وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران يعني الهلاك المبين يقول يبين لمن فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار جميعا غير حميد الاعرج خسر الدنيا والآخرة على وجه المضي وقرأه حميد الاعرج خاسرا نصبا على الحال على مثال فاعل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾ يقول تعالى ذكره وان أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة ارتد عن دين الله يدعو من دون الله آلهة لا تضره ان لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة ان عبدها ذلك هو الضلال البعيد يقول ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يكفر بعد ايمانه ذلك هو الضلال البعيد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ يقول تعالى ذكره يدعو هذا المنقلب على وجهه من ان أصابته فتنة آلهة لضرها في الآخرة له أقرب وأسرع اليه من نفعها وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو من ضره أقرب من نفعه واختلف أهل العربية في موضع من فكان بعض نحويي البصرة يقول موضعه نصب بيدعو ويقول معناه يدعو لآلهة ضرها أقرب من نفعها ويقول هو شاذ لانه لم يوجد في الكلام يدعو لزيدا وكان بعض نحويي الكوفة يقول اللام من صلة ما بعد من كأن معنى الكلام عنده يدعو من لضره أقرب من نفعه وحكي عن العرب سماعا منها عندي لما غيره خير منه بمعنى عندي ما غيره خير منه وأعطيتك لما غيره خير منه بمعنى ما غيره خير منه وقال جائز في كل ما لم يتبين فيه الاعراب الاعتراض باللام دون الاسم * وقال آخرون منهم جائز أن يكون معنى ذلك هو الضلال

البعيد

الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم وعن الحسن أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتمكينهم هو ابقاؤهم الى أوان التكليف وقد يشمل الاطفال أيضا اذا ماتوا قبل البلوغ لقوله الله أعلم بما كانوا عاملين ثم ختم الآية بقوله (ولله عاقبة الامور) أي مرجعها ومصيرها الى حكمه وتقديره وقد أراد تمكين أهل هذا الدين في كل حين فيقع لا محالة ﴿ التأويل ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام القلب سواء فيه من سبق البدء مدة طويلة والذي يصل اليه في الحال لافضل الاسبق مقامات القلب ومنازله واذبوأنا لابراهيم الروح مكان بيت القلب وطهر بيتي عن غيري وهو كل ما فيه حظ النفس دون الواردات المطيفة والاخلاق الثابتة والاحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والانس والهيبة رجالا هي النفس وصفاتها وعلى كل ضامر هي البدن وجوارحه وان الاعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة فاعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس بسيطة لانها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لان مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الاخلاق ومنافع القالب والجوارح بظهور أثر الطاعة عليها ويذكروا أي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فانعموا منها وأطعموا منها على الطالبين فهو خير لان العبد يصل بالطاعة الى الجنة ويصل بحرمة الطاعة الى الله وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة وأحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة الا ما يتلى عليكم في قولنا ولا تسرفوا وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام

الا بعيد يدعو فيكون يدعو صلة الضلال البعيد وتضمر فى يدعو الهاء ثم تستأنف الكلام باللام فتقول لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى كقولك فى الكلام فى مذهب الجزاء لما فعلت لهو خير لك فعلى هذا القول من فى موضع رفع بالهاء فى قوله ضره لأن من اذا كانت جزاء فانما يعربها ما بعدها واللام الثانية فى لبئس المولى جواب اللام الاولى وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح والاول الى مذهب أهل التأويل أقرب وقوله لبئس المولى يقول لبئس ابن العم هذا الذى يعبد الله على حرف ولبئس العشير يقول ولبئس الخليط المعاشر والصاحب هو كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولبئس العشير قال العشير هو المعاشر الصاحب وقد قيل عنى بالمولى فى هذا الموضع الولى الناصر وكان مجاهد يقول عنى بقوله لبئس المولى ولبئس العشير الوثن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولبئس العشير قال الوثن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله فى الدنيا وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعنى بساتين تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى الانهار من تحت أشجارها ان الله يفعل ما يريد فيعطى ما شاء من كرامته أهل طاعته وما شاء من الهوان أهل معصيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بالهاء التى فى قوله أن لن ينصره الله فقال بعضهم عنى بها نبى الله صلى الله عليه وسلم فتأويله على قول بعض قائلى ذلك من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا فى الدنيا والآخرة فليمدد بحبل وهو السبب الى السماء يعنى سماء البيت وهو سقفه ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ يقول هل يذهبن ذلك ما يجد فى صدره من الغيظ ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على قال ثنى أبى قال ثنى خالد بن قيس عن قتادة من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت فليختنق به فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت ثم ليقطع يقول ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه ۞ وقال آخرون ممن قال الهاء فى ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التى ذكرت فى هذا الموضع هى السماء المعروفة قالوا معنى الكلام ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فقرأ حتى بلغ هل يذهبن كيده ما يغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ويكايد هذا الامر ليقطعه عنه ومنه فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه فان أصله فى السماء فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه من الله فانه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه فكايد ذلك حتى

المرء تركه ما لا يعنيه فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين فى الطلب لا مزورين مائلين الى الحق غير طالبين معه غيره ونحرمن سماء القلب فاستلبه طير الشياطين أو تهوى به ريح الهوى والخذلان الى أسفل سافلين البعد والحرمان لكم فى شواهد آثار صنع الارشاد منافع وهى لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الانس الى أجل مسمى وهو حد الكمال ثم انتهاء السلوك الى حضرة القديم ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ومنهم من يطلبه به فله أسلموا أى أخلصوا والاخلاص تصفية الاعمال من الآفات ثم الاخلاق من الكدورات ثم الاحوال من الالتفات ثم الانفاس من الاغيار وبشر المخبتين عنى المستقيمين على هذه الطريقة وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلى الحق للقلب والصابرين على ما أصابهم من غير تمنى ترحة ولا روم فرحة والمقيمى الصلاة الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون اطلاع الخلق على أحوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود فى طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعنى بدن الابدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق فى الطلب فاذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حياة المعرفة شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت

كذلك سخرناها لكم فيه أن ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر الا بتسخير خالقها وتيسيره وجدها يؤكده قوله ان الله يدافع خيانة النفس وهواها عن الذين آمنوا أذن للذين يقاتلون فيه أن قتال النفس يجب أن يكون باذن من الله تعالى وهو أن يكون على وفق الشرع

قطع أصله عنه فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ما دخلهم من ذلك وغاظهم الله به من نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وما ينزل عليه * وقال آخرون ممن قال الهاء التى فى قوله ينصره من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم معنى النصر ههنا الرزق فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا فى الدنيا ولن يعطيه وذكروا سماعا من العرب من ينصرنى نصره الله بمعنى من يعطنى أعطاه الله وحكوا أيضا سماعا منهم نصر المطر أرض كذا اذا جادها وأحياها واستشهد لذلك ببيت الفقعسى

وانك لا تعطى امرأ فوق حظه * ولا تملك الشق الذى الغيث ناصره

ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى قال قلت لابن عباس أرأيت قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا فليربط حبلا فى سقف ثم ليختنق به حتى يموت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى عن التميمى قال سألت ابن عباس عن قوله من كان يظن أن لن ينصره الله قال أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء والسبب الحبل والسماء سقف البيت فليعلق حبلا فى سماء البيت ثم ليختنق فلينظر هل يذهبن كيده هذا الذى صنع ما يجد من الغيظ حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن مطرف عن أبى اسحق عن رجل من بنى تميم عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت التميمى يقول سألت ابن عباس فذكر مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة الى قوله ما يغيظ قال السماء التى أمر الله أن يمد اليها بسبب سقف البيت أمر أن يمد اليه بحبل فيختنق به قال فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ اذا اختنق ان خشى أن لا ينصره الله * وقال آخرون الهاء فى ينصره من ذكر من وقالوا معنى الكلام من كان يظن أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى سماء البيت ثم ليختنق فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ أنه لا يرزق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث(١) عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن لن ينصره الله قال يرزقه الله فليمدد بسبب قال بحبل الى السماء سماء ما فوقك ثم ليقطع ليختنق هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله من كان يظن أن لن ينصره الله يرزقه الله فليمدد بسبب الى السماء قال بحبل الى السماء * قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال الى السماء الى سماء البيت قال ابن جريج وقال مجاهد ثم ليقطع قال ليختنق وذلك كيده ما يغيظ قال ذلك خنقه أن لا يرزقه الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فليمدد بسبب يعنى بحبل الى السماء يعنى سماء البيت حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء قال سئل عكرمة عن قوله فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت ثم ليقطع قال يختنق * وأولى ذلك بالصواب عندى فى تأويل

(١) وقع اختصار فى السند ولعله من الناسخ فتنبه كتبه مصححه

ذلك

وفى أوان التكليف وعلى حسب ظلم النفس على القلب واخراجها اياه من ديار الطمأنينة ولولا دفع الله النفوس بالقلوب لضعفت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التى يذكر فيها اسم الله كثيرا لاتساعها باشراق نور الله عليها ان مكناهم فى الارض البشرية أقاموا صلاة المواصلة وآتوا زكاة الاحوال وهى ايثار ربع عشر الاوقات على مصالح الخلق وأمروا بحفظ الحواس عن مخالفات الامر وبمراعاة الانفاس مع الله ونهوا عن مناكير الرياء والاعجاب والى الله عاقبة الامور ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والىّ المصير قل يأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم

ذلك قول من قال الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قوما يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين ان أصابوا خيرا في عبادتهم اياه وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها ثم أتبع ذلك هذه الآية فمعلوم أنه انما أتبعها اياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين أو على شكهم فيه ونفاقهم استبطاء منهم السعة في العيش أو السبوغ في الرزق واذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم فمعنى الكلام اذا اذ كان ذلك كذلك من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدنيا فيوسع عليهم من فضله فيها ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم فليمدد بحبل الى سماء فوقه اما سقف بيت أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه ثم يختنق اذا اغتاظ من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه كذلك ما يغيظ فان لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجله قبل حينه وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان تباطؤا عن الاسلام وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يروونا فقال الله تبارك وتعالى لهم من استعجل من الله نصر محمد فليمدد بسبب الى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه هل هو مذهب غيظه فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه * واختلف أهل العربية في ما التي في قوله ما يغيظ فقال بعض نحويي البصرة هي بمعنى الذي وقال معنى الكلام هل يذهبن كيده الذي يغيظه قال وحذفت الهاء لأنها صلة الذي لانه اذا صارا جميعا اسما واحدا كان الحذف أخف وقال غيره بل هو مصدر لا حاجة به الى الهاء هل يذهبن كيده غيظه وقوله وكذلك أنزلناه آيات بينات يقول تعالى ذكره وكما بينت لكم حججي على من جحد قدرتي على احياء من مات من الخلق بعد فنائه فأوضحتها أيها الناس كذلك أنزلنا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بينات يعني دلالات واضحات يهدين من أراد الله هدايته الى الحق وأن الله يهدي من يريد يقول جل ثناؤه ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد أنزل هذا القرآن آيات بينات فأن في موضع نصب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد﴾ يقول تعالى ذكره ان الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام والذين هادوا وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها وبين الذين آمنوا بالله ورسله الى الله وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم ادخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله فذلك هو الفصل من الله بينهم وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا قال الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤن الزبور والمجوس يعبدون الشمس والقمر والنيران والذين أشركوا يعبدون الاوثان والاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن وأدخلت ان في خبر ان الاولى لما ذكرت من المعنى وأن الكلام بمعنى الجزاء كأنه قيل من كان على دين من هذه الاديان ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله والعرب تدخل أحيانا في خبر ان إن اذا كان خبر الاسم الاول في اسم مضاف الى ذكره فتقول ان عبد الله ان الخير عنده لكثير كما قال الشاعر

وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد ﴾

۞ القراآت نكيري باثبات الياء حيث كان في الحالين يعقوب ووافق ورش وسهل وعباس في الوصل أهلكتها على التوحيد أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون أهلكناها وبير بالياء أبو عمرو غير شجاع وأوقية ويزيد والاعشى

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وكان الفراء يقول من قال هذا لم يقل انك انك قائم ولا ان أباك انه قائم لان الاسمين قد اختلفا فحسن
رفض الاول وجعل الثانى كأنه هو المبتدأ فحسن للاختلاف وقبح للاتفاق وقوله ان الله على كل
شئ شهيد يقول ان الله على كل شئ من أعمال هؤلاء الاصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه وغير
ذلك من الاشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شئ من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله
يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر
يا محمد بقلبك فتعلم أن الله يسجد له من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الخلق من
الجن وغيرهم والشمس والقمر والنجوم فى السماء والجبال والشجر والدواب فى الارض
وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس وحين تزول اذا تحول ظل كل شئ فهو سجوده
كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر
أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب قال ظلال هذا كله وأما سجود الشمس والقمر والنجوم فانه كما حدثنا به ابن بشار
قال ثنا ابن أبى عدى ومحمد بن جعفر قالا ثنا عوف قال سمعت أبا العالية الرياحى يقول ما فى
السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات
اليمين و زاد محمد حتى يرجع الى مطلعه وقوله وكثير من الناس يقول ويسجد كثير من بنى آدم
وهم المؤمنون بالله منهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد وكثير من الناس قال المؤمنون وقوله وكثير حق عليه العذاب يقول تعالى ذكره وكثير
من بنى آدم حق عليه عذاب الله فوجب عليه بكفره به وهو مع ذلك يسجد لله ظله كما حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكثير حق عليه العذاب
وهو يسجد مع ظله فعلى هذا التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد وقع قوله وكثير حق عليه العذاب
بالعطف على قوله وكثير من الناس ويكون داخلا فى عداد من وصفه الله بالسجود له ويكون قوله
حق عليه العذاب من صلة كثير ولو كان الكثير الثانى ممن لم يدخل فى عداد من وصف بالسجود
كان مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله حق عليه العذاب وكان معنى الكلام حينئذ وكثير أبى
السجود لان قوله حق عليه العذاب يدل على معصية الله وابائه السجود فاستحق بذلك العذاب
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء﴾ يقول
تعالى ذكره ومن يهنه الله من خلقه فيشقه فما له من مكرم بالسعادة يسعده بها لان الأمور كلها
بيد الله يوفق من يشاء لطاعته ويخذل من يشاء ويشقى من أراد ويسعد من أحب وقوله ان الله
يفعل ما يشاء يقول تعالى ذكره ان الله يفعل فى خلقه ما يشاء من اهانة من أراد اهانته واكرام من
أراد كرامته لان الخلق خلقه والامر أمره لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد ذكر عن بعضهم
أنه قرأه فما له من مكرم بمعنى فما له من اكرام وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء
على خلافه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع
من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ اختلف أهل
التأويل فى المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله فقال بعضهم أحد الفريقين أهل الايمان

وورش وربيعة وابن فليح وحمزة
فى الوقف يعدون على الغيبة ابن
كثير وحمزة وعلى وخلف مجزين
بالتشديد حيث كان ابن كثير
وأبو عمرو ثم قتلوا بالتشديد ابن
عامر وأن ما يدعون بياء الغيبة
وكذلك فى سورة لقمان أبو عمرو
وسهل ويعقوب وحمزة وعلى
وخلف وحفص ۞ الوقوف وثمود
○ ولوط ○ مدين ج لانقطاع
النظم مع اتحاد المعنى أخذتهم ج
لابتداء التهديد مع فاء التعقيب
نكير ○ مشيد ○ يسمعون
بها ○ للابتداء بان مع الفاء
الصدور ○ وعده ط تعدون
○ أخذتها ط المصير ○ مبين
○ ج للابتداء مع الفاء كريم ○
الجحيم ○ أمنيته ج لانقطاع
النظم مع اتحاد المعنى آياته ط
حكيم ○ لا لتعلق اللام قلوبهم ط
بعيد ○ لا قلوبهم ط مستقيم
○ عقيم ○ لله ط بينهم ط
النعيم ○ مهين ○ حسنا ط
الرازقين ○ يرضونه ط حليم ○
ذلك ج لينصرنه الله ط غفور
○ بصير ○ الكبير ○ ماء ز لنوع
عدول مع العطف مخضرة ط خبير
○ وما فى الارض ط الحميد ○
۞ التفسير انه سبحانه بعد ضمان
النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم
والدفع عن أمته ذكر ما فيه
تسليته وهو أنه ليس بأوحدى

والفريق الآخر عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر ذكر من قال ذلك
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت
أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين بارزوا يوم بدر
حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة قال وقال علي إني لأول أو من
أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى حدثنا علي بن سهل قال ثنا
مؤمل قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم بالله
قسما نزلت هذه الآية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن
الحرث رضي الله عنهم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة هذان خصمان اختصموا
في ربهم الى آخر الآية ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية حدثنا ابن
بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال
سمعت أبا ذر يقسم ثم ذكر نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان
عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف قال نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر هذان
خصمان اختصموا في ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق
عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هؤلاء الآيات هذان خصمان اختصموا في ربهم في
الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن
عتبة الى قوله وهدوا الى صراط الحميد * قال ثنا جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن
قيس بن عباد قال والله لأنزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم في الذين خرج بعضهم
الى بعض يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة رحمة الله عليهم وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة * وقال آخرون
ممن قال أحد الفريقين فريق الايمان بل الفريق الآخر أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هذان خصمان
اختصموا في ربهم قال هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل
نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من
كتاب فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا وكان ذلك خصومتهم في ربهم * وقال
آخرون منهم بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أي ملة كانوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء
ابن أبي رباح وأبي قزعة عن الحسن قال هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم * قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل الكافر والمؤمن قال ابن جريج خصومتهم
التي اختصموا في ربهم خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين يرون أنهم أولى بالله من غيرهم
حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال كان عاصم والكلبي يقولان جميعا في هذان
خصمان اختصموا في ربهم قال أهل الشرك والاسلام حين اختصموا أيهم أفضل قال جعلا
الشرك ملة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هذان خصمان
اختصموا في ربهم قال مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث * وقال آخرون الخصمان
اللذان ذكرهما الله في هذه الآية الجنة والنار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة في هذان خصمان اختصموا في ربهم

في التكذيب له والقصص معلومة
مما سلف قال جار الله انما لم يقل
وقوم موسى لان موسى كذبه غير
بني اسرائيل وهم القبط أو المراد
وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته
وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
والنكير بمعنى الانكار عبر به عن
الهلاك المعجل لانه يستلزمه أولأن
الهلاك رادع لغيرهم فكأنه أنكر
به عليهم حتى ارتدعوا أو هو بمعنى
التغيير لأنه أبدلهم بالنعمة محنة
وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا قوله
(وهي ظالمة فهي خاوية) الاولى في
محل النصب على أنها حال والثانية
لا محل لها لانها معطوفة على
أهلكناها وهذا ليس لها محل قال
أبو مسلم أراد وهي كانت ظالمة فهي
الآن خاوية على عروشها وقدمر
تفسيرها في البقرة في قوله أو كالذي
مر على قرية وهي خاوية قوله (وبئر
معطلة) عطف على قرية أي وكم بئر
عطلناها عن سقاتها مع أنها عامرة
فيها الماء ومعها آلات الاستقاء
وكم قصر مشيد مجصص أو مرتفع
أخليناه عن ساكنيه فحذف هذه
الجملة لدلالة معطلة عليها وقد يغلب
على الظن من هاتين القرينتين أن
على في قوله على عروشها بمعنى مع
كأنه قيل هي خاوية أي ساقطة أو
خالية مع بقاء عروشها قاله في
الكشاف وأقول اذا كانت القرى
المهلكة غير البئر والقصر فهذا الظن

قال هما الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقد قص الله عليك من خبرهما ما تسمع * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين وانما قلت ذلك أولى بالصواب لانه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه أحدهما أهل طاعة له بالسجود له والآخر أهل معصية له قد حق عليه العذاب فقال ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر ثم قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما فقال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال الله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما فان قال قائل فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر في قوله ان ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر قيل ذلك ان شاء الله كما روي عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الاسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب وهذه من تلك وذلك أن الذين تبارزوا انما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله والآخر أهل ايمان بالله وطاعة له فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لاهل الايمان خصم وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الايمان منهما في أنه لاهل الشرك خصم فتأويل الكلام هذان خصمان اختصموا في دين ربهم واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته اياه على دينه وقوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يقول تعالى ذكره فأما الكافر بالله منهما فانه يقطع له قميص من نحاس من نار كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال الكافر قطعت له ثياب من نار والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الانهار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال ثياب من نحاس وليس شئ من الآنية أحمى وأشد حرا منه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكفار قطعت لهم ثياب من نار والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الانهار وقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم يقول يصب على رؤسهم ماء مغلي كما **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني قال ثنا ابن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهي الصهر ثم يعاد كما كان **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا سعيد بن زيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا أنه قال فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه وكان بعضهم يزعم أن قوله ولهم مقامع من حديد من المؤخر الذي معناه التقديم ويقول وجه الكلام فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقول انما وجب أن يكون ذلك كذلك لان الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى يثقب رأسه ثم يصب فيه الحميم الذي انتهى حره فيقطع بطنه والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا يدل على خلاف ما قال هذا القائل وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحميم اذا صب على رؤسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص الى أجوافهم وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ولو كانت المقامع قد تثقب رؤسهم قبل

مرجوح أو مساو لا غالب يروى أنها بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وسميت بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحكى أن الامام أبا القاسم الانصاري قال هذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف قيل انه بحضرموت قلت لا غرو أن يتفق الموت بأرض والدفن بأرض أخرى ثم أنكر على أهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلا (أفلم يسيروا) حثهم على السفر ليروا مصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا جاء الانكار كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون والمراد بالسماع سماع تدبر وانتفاع والا كان كلا سماع كما أن المراد بالابصار ابصار الاعتبار ولهذا قال (فانها) أي ان القصة (لا تعمى الابصار) أي أبصارهم (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وفي هذا التصوير زيادة التمكين والتقرير لا غرابة نسبة العمى الى القلب وجوز في الكشاف

صب الحميم عليهم لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم ان الحميم ينفذ الجمجمة معنى ولكن الامر فى ذلك بخلاف ما قال هذا القائل وقوله يصهر به ما فى بطونهم والجلود يقول يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم ما فى بطونهم من الشحوم وتشوى جلودهم منه فتتساقط والصهر هو الاذابة يقال منه صهرت الألية بالنار اذا أذبتها أصهرها صهرا ومنه قول الشاعر

تروى لقى ألقى فى صفصف ❊ تصهره الشمس ولا ينصهر

ومنه قول الراجز ❊ شك السفافيد الشواء المصطهر ❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يصهر به قال يذاب اذابة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج يصهر به قال ما قطع لهم من العذاب حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يصهر به ما فى بطونهم قال يذاب به ما فى بطونهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار الى قوله يصهر به ما فى بطونهم والجلود يقول يسقون ماء اذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال هرون اذا جاع أهل النار وقال جعفر اذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فيأكلون منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم يعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثوا فيغاثوا بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التى قد سقطت عنها الجلود ويصهر به ما فى بطونهم يعنى أمعاءهم وتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حاله يدعون بالويل والثبور وقوله ولهم مقامع من حديد تضرب رؤسهم بها الخزنة اذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم اليها وقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها يقول كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب ردوا اليها كما حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الاعمش عن أبى ظبيان قال النار سوداء مظلمة لا يضئ لهبها ولا جمرها ثم قرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقى من فيها الى أعلى أبوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع ويقولون لهم اذا ضربوهم بالمقامع ذوقوا عذاب الحريق وعنى بقوله ذوقوا عذاب الحريق ويقال لهم ذوقوا عذاب النار وقيل عذاب الحريق والمعنى المحرق كما قيل العذاب الاليم يعنى المؤلم

❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الاعمال فان الله يدخلهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار فيحليهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ❊ واختلفت القراء فى قراءة قوله ولؤلؤا فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا مع التى فى الملائكة بمعنى يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا عطفا باللؤلؤ على موضع الأساور لان الاساور وان كانت مخفوضة من أجل دخول من فيها فانها

أن يكون الضمير فى فانها ضميرا مبهما يفسره الابصار وفاعل تعمى ضميرا عائدا الى الضمير الاول المبهم والمعنى على الوجهين أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أو لا تعتدوا بعمى الابصار وان فرض لانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وزعم بعضهم أن فى الآية ابطالا لقول من جعل محل الكفر الدماغ وليس بقوى فقد يتشاركان فى ذلك أو يكون سلطانه فى القلب والدماغ كالآلة ثم حكى من عظيم ما هم عليه من التكذيب أنهم يستهزؤن باستعجال العذاب العاجل والآجل كأنهم جوزوا الفوت فلهذا قال (ولن يخلف الله وعده) أو لعلهم طلبوا عذاب الآخرة فذكر أن استعجاله فى الدنيا كالخلف لأن موعده الآخرة (وان يوما عند ربك كألف سنة) قال أبو مسلم أراد أن العاقل لا ينبغى أن يستعجل عذاب الآخرة لان يوما واحدا من أيام عذاب الله فى الشدة كألف سنة من سنينكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كألف سنة من سنى العذاب اذا عدها العاد وذلك لشدة العذاب أيضا وقيل أراد أن اليوم الواحد وألف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذى لا يعجزه شئ فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا يستبعدوا أيضا امهال ألف سنة وقد يدور فى الخلد أن هذا اشارة

بمعنى النصب قالوا وهى تعد فى خط المصحف بالألف فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصرين ولؤلؤ خفضا عطفا على اعراب الاساور الظاهر واختلف الذين قرؤا ذلك كذلك فى وجه اثبات الالف فيه فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لى عنه يقول أثبتت فيه كما أثبتت فى قالوا وكالوا وكان الكسائى يقول أثبتوها فيه للهمزة لأن الهمزة حرف من الحروف والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متفقتا المعنى صحيحتا المخرج فى العربية فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ولباسهم فيها حرير يقول ولبوسهم التى تلى أبشارهم فيها ثياب حرير وقوله وهدوا الى الطيب من القول يقول تعالى ذكره وهداهم ربهم فى الدنيا الى شهادة أن لا اله الا الله كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهدوا الى الطيب من القول قال هدوا الى الكلام الطيب لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وهدوا الى الطيب من القول قال ألهموا وقوله وهدوا الى صراط الحميد يقول جل ثناؤه وهداهم ربهم فى الدنيا الى طريق الرب الحميد وطريقه دينه دين الاسلام الذى شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه والحميد فعيل صرف من مفعول اليه ومعناه أنه محمود عند أوليائه من خلقه ثم صرف من محمود الى حميد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه وعن المسجد الحرام الذى جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض سواء العاكف فيه والباد يقول معتدل فى الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام وقضاء نسكه به والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه وهو المقيم به والباد وهو المنتاب اليه من غيره ✻ واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه والباد فى أنه ليس أحدهما بأحق بالمنزل فيه من الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن يزيد بن أبى زياد عن ابن سابط قال كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان الرجل اذا وجد سعة نزل ففشا فيهم السرق وكل انسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فأرسل اليه عمر أتخذت بابا من حجاج بيت الله فقال لا انما جعلته ليحرز متاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال الباد فيه كالمقيم ليس أحد أحق بمنزله من أحد الا أن يكون أحد سبق الى منزل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين قال قلت لسعيد بن جبير أعتكف بمكة قال أنت عاكف وقرأ سواء العاكف فيه والباد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح سواء العاكف فيه والباد العاكف أهله والباد المنتاب فى المنزل سواء حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سواء العاكف فيه والباد يقول ينزل أهل مكة وغيرهم فى المسجد الحرام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سواء العاكف فيه والباد قال العاكف فيه المقيم بمكة والباد الذى يأتيه هم فيه سواء فى البيوت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سواء العاكف فيه والباد سواء فيه أهله وغير أهله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن حميد

قال

الى لا تناهى طرف الابد المستتبع لازديادامتداد الآحاد الاعتبارية لاجل سهولة الضبط والغرض أن من كانت أيامه فى الطول الى هذا الحد لا يفيد الاستعجال بالنسبة اليه شيأ فالاولى بل الواجب تفويض الامور الى أوقاتها المقدرة لها من غير تقدم ولا تأخر ثم كرر قوله (وكأين من قرية) وليس بتكرار فى الحقيقة لأن الأول سيق لبيان الاهلاك مناسبا لقوله فكيف كان نكير ولهذا عطف بالفاء بدلا عن ذلك والثانى سيق لبيان الاملاء مناسبا لقوله ان يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة فكأنه قيل وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع للكل الى حكمى ثم أمر رسوله بأن يتلو عليهم جملة حاله فى الرسالة وهى أنه نذير مبين وجملة حالهم فى باب التكليف مآلا وانما اقتصر على النذارة لانها تتضمن البشارة فان كلام الحكيم لا يخلو عن ترغيب وان كان مبنيا على الترهيب بدليل يا أيها الناس وهو نداء للكفرة فى قول ابن عباس قال فى الكشاف هم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا قالت الأشاعرة المغفرة اما للصغائر أو للكبائر بعد التوبة أو قبلها والأولان واجبان

قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله سواء العاكف فيه والباد قال أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء * وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب سواء حق الله عليهما فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء سواء العاكف فيه قالا من أهله والباد الذين يأتونه من غير أهله هما في حرمته سواء وانما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك لان الله تعالى ذكره ذكر في أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام فقال ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام فقال الذي جعلناه للناس فأخبر جل ثناؤه أنه جعله للناس كلهم فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه ثم قال سواء العاكف فيه والباد فكان معلوما أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد انما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار به أنهم صدوا عنه المؤمنين به وذلك لاشك طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام لا الخبر عن ملكهم اياه وغير ملكهم وقيل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فعطف بيصدون وهو مستقبل على كفروا وهو ماض لان الصد بمعنى الصفة لهم والدوام واذا كان ذلك معنى الكلام لم يكن الا بلفظ الاسم أو الاستقبال ولا يكون بلفظ الماضي واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام ان الذين كفروا من صفتهم الصد عن سبيل الله وذلك نظير قول الله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وأما قوله سواء العاكف فيه فان قراء الامصار على رفع سواء بالعاكف والعاكف به واعمال جعلناه في الهاء المتصلة به واللام التي في قوله للناس ثم استأنف الكلام بسواء وكذلك تفعل العرب بسواء اذا جاءت بعد حرف قد تم الكلام به فتقول مررت برجل سواء عنده الخير والشر وقد يجوز في ذلك الخفض وانما يختار الرفع في ذلك لان سواء في مذهب واحد عندهم فكأنهم قالوا مررت برجل واحد عنده الخير والشر وأما من خفضه فانه يوجهه الى معتدل عنده الخير والشر ومن قال ذلك في سواء فاستأنف به ورفع لم يقله في معتدل لان معتدل فعل مصرح وسواء مصدر فاخراجهم اياه الى الفعل كاخراجهم حسب في قولهم مررت برجل حسبك من رجل الى الفعل وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه سواء نصبا على اعمال جعلناه فيه وذلك وان كان له وجه في العربية فقراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافه وقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يقول تعالى ذكره ومن يرد فيه الحادا بظلم نذقه من عذاب أليم وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم وأدخلت الباء في قوله بالحاد والمعنى فيه ما قلت كما أدخلت في قوله تنبت بالدهن والمعنى تنبت الدهن كما قال الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

والمعنى وأسفله ينبت المرخ والشبهان وكما قال أعشى بني ثعلبة

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * بين المراجل والصريح الاجرد

بمعنى ضمنت رزق عيالنا أرماحنا في قول بعض نحويي البصريين وأما بعض نحويي الكوفيين فانه كان يقول أدخلت الباء فيه لان تأويله ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم وكان يقول دخول الباء في أن أسهل منه في الحاد وما أشبهه لان أن تضمر الخوافض معها كثيرا وتكون كالشرط فاحتملت دخول

عند الخصم وأداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقي الثالث ويلزم منه عفو صاحب الكبيرة من أهل القبلة أما الرزق فلا شك أنه الثواب وأما الكريم فاما أن يكون أمرا سلبيا وهو أن يكون الانسان معه بحيث يستغني عن المكاسب وتحمل المتاعب والذل والدناءة وما ينجر الى المآثم والمظالم واما أن يكون ثبوتيا وهو أن يكون رزقا كثيرا دائما خالصا عن شوائب الضرر مقرونا بالتعظيم والاجلال (والذين سعوا في آياتنا) أي بذلوا جهدهم في تكذيبها وارادة ابطالها كمن يسعى سعيا أي يمشي مشيا سريعا قال أهل اللغة عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمراد معاجزين الله ورسوله أي مقدرين ذلك ظنا منهم أن كيدهم للاسلام يتم لهم وأن طعنهم في القرآن وتثبيطهم الناس عن التصديق يبلغ بهم غرضهم ثم بين ان له اسوة بالأنبياء السالفة والرسل السابقة في كل ما يأتي ويذر فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) خصص أولا ثم عمم فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فقد لا يكون معه كتاب بل يؤمر بأن يدعو الى شريعة من قبله وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وانما يرى الوحي في المنام أو يخبره بذلك رسول في عصره

الخافض ونحو وجه لان الاعراب لا يتبين فيها وقال في المصادر يتبين الرفع والخفض فيها قال وأنشدني أبو الجراح

فلما رجت بالشرب هزلها العصا * شحيح له عند الأداء نهيم

وقال امرؤ القيس

ألا هل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

قال فأدخل الباء على أن وهي في موضع رفع كما أدخلها على الحاد وهو في موضع نصب قال وقد أدخلوا الباء على ما اذا أرادوا بها المصدر كما قال الشاعر

ألم يأتيك والانباء تنمي * بما لاقت لبون بني زياد

وقال وهو في ما أقل منه في أن لان أن أقل شبها بالاسماء من ما قال وسمعت أعرابيا من ربيعة وسألته عن شئ فقال أرجو بذلك يريد أرجو ذلك * واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الالحاد به في المسجد الحرام أذاقه الله من العذاب الاليم فقال بعضهم ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به أي بالبيت ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم يقول بشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم هو أن يعبد فيه غير الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال هو الشرك من أشرك في بيت الله عذبه الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال يعمل فيه عملا سيئا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأودي قالا ثنا المحاربي عن سفيان عن السدي عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الاليم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله قال مجاهد قال يزيد قال لنا شعبة رفعه وأنا لا أرفعه لك في قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال لو أن رجلا هم فيه بسيئة وهو بعدن أبين لأذاقه الله عذابا أليما حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها فتكتب عليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال الالحاد الظلم في الحرم * وقال آخرون بل معنى ذلك الظلم استحلال الحرم متعمدا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس بالحاد بظلم قال الذي يريد استحلاله متعمدا ويقال الشرك * وقال آخرون بل ذلك

ولابد للكل من المعجزة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا قال عامة المفسرين في سبب نزول الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما شق عليه اعراض قومه عنه تمنى في نفسه أن لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم وكان ذات يوم جالسا في ناد من أنديتهم وقد نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وكان ذلك التمني في نفسه فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته حتى ختم السورة فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين فتفرقت قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبرائيل وقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية واعترض المحققون على هذه الرواية بالقرآن والسنة وبالمعقول أما القرآن فكقوله ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين

احتكار الطعام بمكة ذكر من قال ذلك **حدثني** هرون بن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن أشعث عن حبيب بن أبي ثابت في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال هم المحتكرون الطعام بمكة * وقال آخرون بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل حتى قول القائل لا والله وبلى والله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبي ربعي عن الأعمش قال كان عبد الله بن عمرو يقول لا والله وبلى والله من الالحاد فيه «قال أبو جعفر» وأولى الاقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معنى بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ولم يخصص به ظلما دون ظلم في خبر ولا عقل فهو على عمومه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعصى الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك ومن يرد فيه بفتح الياء بمعنى ومن يرده بالحاد من وردت المكان أرده وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن يرد فعل واقع يقال منه هو يرد مكان كذا أو بلدة كذا غدا ولا يقال يرد في مكان كذا وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب أن طيئا تقول رغبت فيك تريد رغبت بك وذكر أن بعضهم أنشده بيتا

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكنني عن سنبس لست أرغب

بمعنى وأرغب بها فان كان ذلك صحيحا كما ذكرنا فانه يجوز في الكلام فأما القراءة به فغير جائزة لما وصفت ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلمه عظيم ما ركب قومه من قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه والبيت الذي أمر ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببنائه وتطهيره من الآفات والريب والشرك واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري اذ بوأنا لخليلنا ابراهيم يعني بقوله بوأنا وطأنا له مكان البيت كما **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت قال وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم الى الارض وكان مهبطه بأرض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا وان آدم لما فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم شكا ذلك الى الله فقال الله يا آدم انى قد أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى حول عرشي فانطلق اليه فخرج اليه ومد له في خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفاوز على ذلك حتى أتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الانبياء **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما عهد الله الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين انطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الاساس فذلك حين يقول

ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وما ينطق عن الهوى وقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن نفي القرب من الركون فكيف به وأما السنة فهي ما روى عن ابن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وقد صنف فيه كتابا وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لنفي الأوثان فكيف يثنيها وأيضا انه بمكة لم يمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص وأيضا ان معاداتهم اياه كانت أكثر من أن يغتروا بهذا القدر فيخروا ساجدا قبل أن يقفوا على حقيقة الأمر وأيضا منع الشيطان من أصله أولى من تمكنه من الالقاء ثم نسخه وأيضا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان من الشرع ولناقض قوله بلغ ما أنزل اليك وحال الزيادة في الوحي كحال النقصان منه اذا عرفت هذا فلا ثمة في تأويل الآية

واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ويعني بالبيت الكعبة أن لا تشرك بي شيأ في عبادتك اياي وطهر بيتي الذي بنيته من عبادة الاوثان كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد في قوله وطهر بيتي قال من الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال من الآفات والريب. حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة طهرا بيتي قال من الشرك وعبادة الاوثان وقوله للطائفين يعني للطائفين به والقائمين يعني المصلين الذين هم قيام في صلاتهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عطاء في قوله وطهر بيتي للطائفين والقائمين قال القائمون في الصلاة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والقائمين قال القائمون المصلون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والقائمين والركع السجود قال القائم والراكع والساجد هو المصلي والطائف هو الذي يطوف به وقوله والركع السجود يقول والركع السجود في صلاتهم حول البيت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ يقول تعالى ذكره عهدنا اليه أيضا أن أذن في الناس بالحج يعني بقوله وأذن أعلم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام يأتوك رجالا يقول فان الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم وعلى كل ضامر يقول وركبانا على كل ضامر وهي الابل المهازيل يأتين من كل فج عميق يقول تأتي هذه الضوامر من كل فج عميق يقول من كل طريق ومكان ومسلك بعيد وقيل يأتين فجمع لانه أريد بكل ضامر النوق ومعنى الكل الجمع فلذلك قيل يأتين وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب مررت على كل رجل قائمين قال وهو صواب وقول الله وعلى كل ضامر يأتين ينبئ عن صحة جوازه وذكر أن ابراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج قام على مقامه فنادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق * وقد اختلف في صفة تأذين ابراهيم بذلك فقال بعضهم نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتي قال أذن وعلي البلاغ فنادى ابراهيم أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فحجوا قال فسمعه ما بين السماء والارض أفلا ترى الناس يجيؤن من أقصى الارض يلبون حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بنى ابراهيم البيت أوحى الله اليه أن أذن في الناس بالحج قال فقال ابراهيم ألا ان ربكم قد اتخذ بيتا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من شئ من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شئ لبيك اللهم لبيك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ابن واقد عن أبي الزبير عن مجاهد عن ابن عباس قوله وأذن في الناس بالحج قال قام ابراهيم خليل الله على الحجر فنادى يا أيها الناس كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا قال وقرت في قلب كل ذكر وأنثى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير قال لما فرغ

قولان الاول أن التمني بمعنى القراءة كما سلف في البقرة في قوله ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وما المراد بهذه القراءة فيه وجهان أحدهما أنه ما يجوز أن يسهو النبي فيه ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى وثانيهما أنه قراءة هذه الكلمة وانها قد وقعت بعينها وكيف وقعت ذهبت جماعة الى أنه لما قرأ سورة والنجم اشتبه على الكفار فتوهموا بعض ألفاظه ذلك وزيف بأن هذا التوهم من الجم الغفير بعيد وقيل ان شيطان الجن ألقاها في البين فظنها الحاضرون من قول الرسول وضعف بأن هذا يفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبي قلت الانصاف أنه غير ضعيف ولا يفضي الى ارتفاع الوثوق لقوله سبحانه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقيل ان المتكلم به شيطان الانس وهم الكفرة كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته ويلقون فيها في أثناء وقفاته وقيل ان المتكلم به الرسول قاله سهوا كما روي عن قتادة ومقاتل أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان ولا ريب أنه يكون بالقاء الشيطان وضعف باستلزامه زوال

ابراهيم من بناء البيت أوحى الله اليه أن أذن فى الناس بالحج قال فخرج فنادى فى الناس يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فلم يسمعه يومئذ من انس ولا جن ولا شجر ولا أكمة ولا تراب ولا جبل ولا ماء ولا شئ الا قال لبيك اللهم لبيك * قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قام ابراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن فى الناس بالحج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وأذن فى الناس بالحج قال قام ابراهيم على مقامه فقال يا أيها الناس أجيبوا ربكم فقالوا لبيك اللهم لبيك فمن حج اليوم فهو ممن أجاب ابراهيم يومئذ حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة بن خالد المخزومى قال لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت قام على المقام فنادى نداء سمعه أهل الارض ان ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه قال داود فأرجو من حج اليوم من اجابة ابراهيم عليه السلام حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل قال قال ابن عباس هل تدرى كيف كانت التلبية قلت وكيف كانت التلبية قال ان ابراهيم لما أمر أن يؤذن فى الناس بالحج خفضت له الجبال رؤسها ورفعت القرى فأذن فى الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله وأذن فى الناس بالحج قال ابراهيم كيف أقول يارب قال قل يا أيها الناس استجيبوا لربكم قال وقرت فى قلب كل مؤمن * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مجاهد قال قيل لابراهيم أذن فى الناس بالحج قال يارب كيف أقول قال قل لبيك اللهم لبيك قال فكانت أول التلبية وكان ابن عباس يقول عنى بالناس فى هذا الموضع أهل القبلة ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأذن فى الناس بالحج يعنى بالناس أهل القبلة ألم تسمع أنه قال ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا الى قوله ومن دخله كان آمنا يقول ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم وكتب عليهم الحج فانه آمن فعظموا حرمات الله تعالى فانها من تقوى القلوب وأما قوله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يأتوك رجالا قال مشاة * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة قال قال ابن عباس ما آسى على شئ فاتنى الا أن لا أكون حججت ماشيا سمعت الله يقول يأتوك رجالا * قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال حج ابراهيم واسمعيل ماشيين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس يأتوك رجالا قال على أرجلهم حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى كل ضامر قال الابل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وعلى كل ضامر قال الابل حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا المحاربى عن عمر بن ذر قال قال مجاهد كانوا لا يركبون فأنزل الله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر قال فأمرهم بالزاد ورخص لهم فى الركوب والمتجر وقوله من كل فج عميق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس من كل فج عميق يعنى مكان بعيد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس من كل فج عميق قال بعيد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فج عميق قال مكان بعيد

الامان عن الشرع وقد عرفت جوابه وبأن مثل هذا الكلام المطابق لفواصل السورة يستبعد وقوعها فى النعاس وزعم قوم أن الشيطان أجبره على ذلك ورد بنحو قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وذهب جماعة الى أنه قال ذلك اختيارا ثم انها باطلة أم لا فيه وجهان أما الاول ففيه طريقان أحدهما قول ابن عباس فى رواية ان شيطانا يقال له الأبيض أتاه على صورة جبريل وألقاها اليه فقرأها فلما سمع المشركون ذلك أعجبهم فجاء جبريل واستعرضه فقرأها فلما بلغ الى تلك الكلمة أنكر عليه جبريل فقال انه أتانى آت على صورتك فألقاها على لسانى وثانيهما أنه لشدة حرصه على ايمان القوم أدخل هذه الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها والطريقان منحرفان عند المحققين لان الاول يقتضى أن النبى لا يفرق بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثانى أنه يؤدى الى كونه خائنا فى الوحى وأما الوجه الثانى فتصحيحه أنه أراد بالغرانيق الملائكة وقد كان قرآنا منزلا فى وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته أو هو فى تقدير الاستفهام بمعنى الانكار أو المراد بالاثبات

حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله ليشهدوا منافع لهم اختلف أهل التأويل فى معنى المنافع التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم هى التجارة ومنافع الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس ليشهدوا منافع لهم قال هى الاسواق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر بن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال تجارة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن أبى رزين فى قوله ليشهدوا منافع لهم قال أسواقهم * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير ليشهدوا منافع لهم قال التجارة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن واقد عن سعيد مثله حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سنان عن عاصم بن أبى النجود عن أبى رزين ليشهدوا منافع لهم قال الاسواق * وقال آخرون هى الاجر فى الآخرة والتجارة فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وسوار بن عبد الله قالا ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليشهدوا منافع لهم قال التجارة وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا سفيان قال أخبرنا اسحق عن أبى بشر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ليشهدوا منافع لهم قال الأجر فى الآخرة والتجارة فى الدنيا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هى العفو والمغفرة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر ليشهدوا منافع لهم قال العفو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر قال قال محمد بن على مغفرة * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال عنى بذلك ليشهدوا منافع لهم من العمل الذى يرضى الله والتجارة وذلك أن الله عم منافع لهم جميع ما يشهد له الموسم ويأتى له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة ولم يخصص من ذلك شيأ من منافعهم بخبر ولا عقل فذلك على العموم فى المنافع التى وصفت وقوله ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام يقول تعالى ذكره وكى يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبدن التى أهدوها من الابل والبقر والغنم فى أيام معلومات وهن أيام التشريق فى قول بعض أهل التأويل وفى قول بعضهم أيام العشر وفى قول بعضهم يوم النحر وأيام التشريق وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك بالروايات وبينا الاولى بالصواب منها فى سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع غير أنى أذكر بعض ذلك أيضا فى هذا الموضع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات يعنى أيام التشريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك فى قوله أيام معلومات يعنى أيام التشريق على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعنى البدن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى أيام معلومات قال أيام العشر والمعدودات أيام التشريق وقوله فكلوا منها يقول كلوا من

ههنا النفى كقوله يبين الله لكم أن تضلوا قال الجوهرى الغرنيق بضم الغين وفتح النون من طير الماء طويل العنق واذا وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون وغرنوق وغرانق بالضم وهو الشاب السيد والجمع غرانق بالفتح والغرانيق * القول الثانى أن التمنى هو تمنى القلب ومعنى الآية ما من نبى الا وهو بحيث اذا تمنى أمرا من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغى ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ما هو الحق وما تلك الوسوسة قيل هى أن يتمنى ما يتقرب به الى المشركين من ذكر آلهتهم بالخير وقدم فساده وقال مجاهد انه كان يتمنى انزال الوحى بسرعة دون تأخير فعرفه الله تعالى أن ذلك خاطر غير رحمانى وانما المصلحة هى انزال الوحى على وفق الحوادث وقيل كان يتفكر فى تأويل المجمل فيلقى الشيطان الى جملته ما هو غير مراد وكان رد الله سبحانه الى المعنى المراد بانزال المحكمات وقيل معناه اذا أراد فعلا يتقرب به الى الله حال الشيطان بينه وبين مقصوده والله تعالى يثبته على ذلك نظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من

بهائم الانعام التى ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك وهذا الامر من الله جل ثناؤه أمر اباحة
لا أمر ايجاب وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك ان لم يأكل من هديه
أو بدنته أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه فكان معلوما بذلك أنه غير واجب ذكر الرواية عن
بعض من قال ذلك من أهل العلم حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن
جريج عن عطاء قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير قال كان لا يرى الاكل منها واجبا حدثنا
يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد أنه قال هى رخصة ان شاء
أكل وان شاء لم يأكل وهى كقوله واذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض يعنى
قوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر * قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله
فكلوا منها قال هى رخصة فان شاء أكل وان شاء لم يأكل * قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن
عطاء فى قوله فكلوا منها قال هى رخصة فان شاء أكلها وان شاء لم يأكل حدثنى على بن سهل قال
ثنا زيد قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد فى قوله فكلوا منها قال انما هى رخصة وقوله
وأطعموا البائس الفقير يقول وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الانعام من هديكم
وبدنكم البائس وهو الذى به ضر الجوع والزمانة والحاجة والفقير الذى لا شئ له * وبنحو الذى قلنا
فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال
ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير يعنى
الزمن الفقير حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن رجل عن مجاهد البائس
الفقير الذى يمد اليك يديه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله البائس
الفقير قال هو القانع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
قال أخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة قال البائس المضطر الذى عليه البؤس والفقير المتعفف
* قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله البائس الذى يبسط يديه
وقوله ثم ليقضوا تفثهم يقول تعالى ذكره ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك حجهم من حلق شعر وأخذ
شارب ورمى جمرة وطواف بالبيت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنى يزيد قال أخبرنا الاشعث بن سوار عن نافع عن ابن عمر
أنه قال ثم ليقضوا تفثهم قال ما هم عليه فى الحج حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال
ثنى الأشعث عن نافع عن ابن عمر قال التفث المناسك كلها * قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد
الملك عن عطاء عن ابن عباس أنه قال فى قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حلق الرأس وأخذ من
الشاربين ونتف الابط وحلق العانة وقص الأظفار والأخذ من العارضين ورمى الجمار والموقف
بعرفة والمزدلفة حدثنا حميد قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا خالد عن عكرمة قال
التفث الشعر والظفر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة مثله حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول فى هذه
الآية ثم ليقضوا تفثهم رمى الجمار وذبح الذبيحة وأخذ من الشاربين واللحية والاظفار والطواف
بالبيت وبالصفا والمروة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن
الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية ثم ليقضوا تفثهم قال هو حلق الرأس وذكر أشياء من الحج قال
شعبة لا أحفظها * قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا

الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله واعترض على هذا
القول بأن تمنى القلب كيف يكون
فتنة للذين فى قلوبهم مرض وهم
المنافقون وللقاسية قلوبهم وهم
المشركون وأجيب بأنه اذا قوى
التمنى اشتغل الخاطر به فحصل
السهو فى الافعال الظاهرة بسببه
فيصير ذلك فتنة لمن ضعفت عقيدته
فى النبى والحاصل أن الرسل
لا ينفكون عن السهو وان كانوا
معصومين عن العمد فعليهم أن
لا يتبعوا الا ما يقطعون به لصدوره
عن علم وذلك هو المحكم وذهب أبو
مسلم الى أن حاصل الآية هو أن كل
نبى من جنس البشر الذين هم بصدد
الخطا والنسيان من قبل وساوس
الشيطان ووجه النظم بين هذه الآية
والتى قبلها أنه أمر بأن يقول انى لكم
نذير لكنى من البشر لا من الملائكة
ولم يرسل الله قبلى ملكا بل أرسل
رجالا يوسوس الشيطان اليهم وعلى
هذا فالملائكة لعدم امكان استيلاء
الشيطان عليهم أعظم درجة من
الانبياء وأقوى حالا منهم وقال
صاحب الكشاف المعنى أن الرسل
والانبياء من قبلك كانت هجيراهم
كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت وهو

ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم ليقضوا تفثهم قال حلق الرأس وحلق العانة وقص
الاظفار وقص الشارب ورمي الجمار وقص اللحية حدثنا القاسم قال ثنا في قوله ذلك ومن يعظ
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه لم يقل في حديثه وقص اللحية حدثني نصر بن
عبد الرحمن الأودي قال ثنا المحاربي قال سمعت رجلا يسأل ابن جريج عن قوله ثم ليقضوا
تفثهم قال الأخذ من اللحية ومن الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ورمي الجمار
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن الحسن وأخبرنا
جويبر عن الضحاك أنهما قالا حلق الرأس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا
عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ثم ليقضوا تفثهم يعني حلق الرأس حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال التفث حلق الرأس وتقليم
الظفر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن
ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم يقول نسكهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد في قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حرمهم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني
معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم قال يعني بالتفث وضع احرامهم من حلق
الرأس ولبس الثياب وقص الاظفار ونحو ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن
السائب قال التفث حلق الشعر وقص الاظفار والأخذ من الشارب وحلق العانة وأمر الحج كله
وقوله وليوفوا نذورهم يقول وليوفوا الله بما نذروا من هدي وبدنة وغير ذلك * وبنحو الذي قلنا في
ذلك قال أهل التأويل حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن
عباس قوله وليوفوا نذورهم نحر ما نذروا من البدن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدي وما نذر الانسان من شيء يكون في الحج
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وليوفوا نذورهم
قال نذر الحج والهدي وما نذر الانسان على نفسه من شيء يكون في الحج وقوله وليطوفوا بالبيت
العتيق يقول وليطوفوا ببيت الله الحرام * واختلف أهل التأويل في معنى قوله العتيق في هذا
الموضع فقال بعضهم قيل ذلك لبيت الله الحرام لان الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه
وهدمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري أن
ابن الزبير قال انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن الزبير مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل
قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انما سمي العتيق لانه أعتق من الجبابرة
قال ثنا سفيان قال ثنا أبو هلال عن قتادة وليطوفوا بالبيت العتيق قال عتق من الجبابرة
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله البيت العتيق قال أعتقه الله
من الجبابرة يعني الكعبة * وقال آخرون قيل له عتيق لانه لم يملكه أحد من الناس ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبيد عن مجاهد قال
انما سمي البيت العتيق لانه ليس لأحد فيه شيء * وقال آخرون سمي بذلك لقدمه ذكر من قال
ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله البيت العتيق قال العتيق

أن لا ينزل عليه ما ينفر أمته ولا
يوافق هواهم مكن الله الشيطان
ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في
أمنيتك حتى سبق لسانك فقلت
تلك الغرانيق الخ وسبب التمكين
ارادة امتحان من حولهم والله
سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء
من صنوف المحن وأنواع الفتن
ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في
عقاب المذبذبين فهذه جملة أقوال
المفسرين في الآية وأما قوله
(فينسخ الله) فالمراد ازالة تأثير
ما يلقي الشيطان وهو النسخ اللغوي
لا النسخ الشرعي المستعمل في
الاحكام وقوله (ثم يحكم الله آياته)
فالمراد بالآيات هي آيات القرآن أي
يجعلها بحيث لا يختلط بها شيء من
كلام غيره فتكون ثابتة في مظانها
أو يجعلها بحيث لا يتطرق اليها
تأويل فاسد معمول به عند الامة
ويحتمل أن يكون المراد باحكام
الآيات الارشاد الى أدلة الاحكام
الشرعية وقوله (وان الظالمين) أراد
المنافقين والمشركين المذكورين
الا أنه وضع الظاهر موضع
الضمير قضاء عليهم بالظلم والشقاق
البعيد والمعاداة الكاملة واعلم أنه
سبحانه ذكر لتمكين الشيطان من
الالقاء في الامنية أثرين أحدهما

القديم لانه قديم كما يقال السيف العتيق لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم وهو أول من بناه ثم بوأ
بعد الغرق فبناه ابراهيم واسمعيل * قال أبو جعفر ولكل هذه الأقوال
التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله البيت العتيق وجه صحيح غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب
معانيه عليه في الظاهر غير أن الذي روى عن ابن الزبير أولى بالصحة ان كان ما حدثني به محمد
ابن سهل البخاري قال ثنا عبد الله بن صالح قال أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن
مسافر عن الزهري عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط صحيحا حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الزهري بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه ثم ذكر مثله وعنى بالطواف الذي أمر جل ثناؤه
حاج بيته العتيق به في هذه الآية طواف الافاضة الذي يطاف به بعد التعريف اما يوم النحر واما
بعده لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك حدثنا عمرو بن
سعيد القرشي قال ثنا الانصاري عن أشعث عن الحسن وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف
الزيارة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا خالد قال ثنا الاشعث أن الحسن قال في قوله
وليطوفوا بالبيت العتيق قال الطوف الواجب حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني
معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وليطوفوا بالبيت العتيق يعني زيارة البيت حدثني يعقوب
قال ثنا هشيم عن حجاج وعبد الملك عن عطاء في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف يوم
النحر حدثني أبو عبد الرحمن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سألت زهيرا عن قول الله
وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف الوداع * واختلف القراء في قراءة هذه الحروف فقرأ ذلك
عامة قراء الكوفة ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بتسكين اللام في كل ذلك طلب
التخفيف كما فعلوا في هو اذا كانت قبلها واو فقالوا وهو عليم بذات الصدور فسكنوا الهاء وكذلك
يفعلون في لام الامر اذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم وكذلك قرأت عامة
قراء أهل البصرة غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله ثم ليقضوا خاصة من أجل أن
الوقوف على ثم دون ليقضوا حسن وغير جائز الوقوف على الواو والفاء وهذا الذي اعتل به أبو عمرو
لقراءته علة حسنة من جهة القياس غير أن أكثر القراء على تسكينها * وأولى الأقوال بالصواب
في ذلك عندي أن التسكين في لام ليقضوا والكسر قراءتان مشهورتان ولغتان سائرتان فبأيتهما
قرأ القارئ فمصيب الصواب غير أن الكسر فيها خاصة أقيس لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة لان من
قرأ وهو عليم بذات الصدور فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء ويحركها في قوله ثم هو يوم القيامة
من المحضرين فذلك الواجب عليه أن يفعل في قوله ثم ليقضوا تفثهم فيحرك اللام الى الكسر مع
ثم وان سكنها في قوله وليوفوا نذورهم وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري
تحريكهما مع ثم والواو وهي لغة مشهورة غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها وهي
أشهر اللغتين في العرب وأفصحها فالقراءة بها أعجب الي من كسرها * القول في تأويل قوله تعالى
﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا
الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذي أمر به من قضاء
التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت العتيق هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم
ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه يقول ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال احرامه

في حق غير أهل الايمان وهم أهل
النفاق والشرك وذلك قوله (ليجعل)
الآية وثانيهما في حق المؤمنين
العارفين بالله وصفاته وهو قوله
(وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق) قال
مقاتل يعني القرآن وعن الكلبي
أي النسخ قال جار الله أي تمكين
الشيطان من الالقاء قلت أما عند
الاشاعرة فلان المالك له أن يتصرف
في ملكه كيف يشاء وأما عند
المعتزلة فلان أفعاله جارية على وفق
الحكمة والتدبير (فتخبت) تخضع
وتطمئن (له قلوبهم) بناء على أصلي
الفريقين والصراط المستقيم ههنا
فسروه بالتأويلات الصحيحة
والبيانات المطابقة للاصول قلت
وتفسيره بمعنى أعم من ذلك غير
ضائر ثم بين أن الأعصار الى قيام
الساعة لا تخلو ممن يكون في شك
من القرآن والرسول واليوم العقيم
قيل يوم بدر لانه لا مثل له في عظم
أمره لقتال الملائكة فيه أو لانه
لا خير فيه للكفار من قولهم ريح
عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح
شجرا أو لأن يوم الحرب يقال له
العقيم من حيث ان أولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم
يلدن أو من حيث ان المقاتلين
يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا بقي

تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحرمه أن يستحلها فهو خير له عند ربه في الآخرة كما حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد
حرمات الله قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها حدثني محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد في قوله ومن يعظم حرمات الله قال الحرمات المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد
الحرام هؤلاء الحرمات وقوله وأحلت لكم الأنعام يقول جل ثناؤه وأحل الله لكم أيها الناس
الأنعام أن تأكلوها اذا ذكيتموها فلم يحرم عليكم منها بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاما
ولا ما جعلتموه منها لآلهتكم الا ما يتلى عليكم يقول الا ما يتلى عليكم في كتاب الله وذلك الميتة والدم
ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح
على النصب فان ذلك كله رجس كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن
قتادة الا ما يتلى عليكم قال الا الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان يقول فاتقوا عبادة الأوثان
وطاعة الشيطان في عبادتها فانها رجس * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن
أبيه عن ابن عباس قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان يقول تعالى ذكره فاجتنبوا طاعة الشيطان
في عبادة الأوثان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله
الرجس من الأوثان قال عبادة الأوثان وقوله واجتنبوا قول الزور يقول تعالى ذكره واتقوا قول
الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولكم للملائكة هي
بنات الله ونحو ذلك من القول فان ذلك كذب وزور وشرك بالله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قول
الزور قال الكذب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به يعني الافتراء على الله والتكذيب
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن وائل بن ربيعة عن
عبد الله قال تعدل شهادة الزور بالشرك وقرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور
حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن وائل بن ربيعة قال عدلت شهادة الزور الشرك
ثم قرأ هذه الآية فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حدثني أبو السائب قال ثنا أبو
أسامة قال ثنا سفيان العصفري عن أبيه عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حدثنا
أبو كريب قال ثنا مروان بن معاوية عن سفيان العصفري عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله مرتين
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ويجوز
أن يكون مرادا به اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيها الناس من الأوثان بعبادتكم اياها فان قال قائل

الحرب بلا أبناء وعن الضحاك أنه
يوم القيامة لأنهم لا يرون فيه خيرا
أو لأن كل ذات حمل تضع فيه
حملها أو لأنه لا ليل فيه فيستمر
كاستمرار المرأة على عدم الولادة ولا
تكرار على هذا القول لان المراد
بالساعة مقدماته أو المراد حتى
تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذابها
فوضع يوم عقيم مقام الضمير
واستحسن بعض الأئمة قول
الضحاك ورجحه لان الاول يلزم
منه أن الكفار ينتهي شكهم
في يوم بدر وليس كذلك فانهم
في مرية بعد يوم بدر أيضا ويمكن
أن يقال أو للعطف على أول
الآية فيكون المراد بالذين كفروا في
الاول الجنس وفي الثاني العهد سلمنا
أنه للعطف على تأتيهم الا أن اللام
في الذين كفروا للجنس فيقع على
الذين ما انتهى شكهم الى يوم القيامة
ويحتمل أن يراد بالساعة وقت
موت كل واحد وبعذاب يوم
عقيم القيامة ثم بين أنه لا مالك
يوم تأتي الساعة الا الله وأنه يحكم بين
الناس فيميز بين أهل الجنة وأهل
النار ثم أفرد المهاجرين بالذكر
تخصيصا لهم بمزيد التشريف
يروى أن طوائف من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا

وهل من الأوثان ماليس برجس حتى قيل فاجتنبوا الرجس منها فيقال كلها رجس وليس المعنى ماذهبت اليه فى ذلك وانما معنى الكلام فاجتنبوا الرجس الذى يكون من الأوثان أى عبادتها فالذى أمر جل ثناؤه بقوله فاجتنبوا الرجس منها اتقاء عبادتها وتلك العبادة هى الرجس على ماقاله ابن عباس ومن ذكرنا قوله قبل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾ يقول تعالى ذكره اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان وقول الشرك مستقيمين لله على اخلاص التوحيد له وافراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام غير مشركين به شيأ من دونه فانه من يشرك بالله شيأ من دونه فمثله فى بعده من الهدى واصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك أو هوت به الريح فى مكان سحيق يعنى بعيد من قولهم أبعده الله وأسحقه وفيه لغتان أسحقته الريح وسحقته ومنه قيل للنخلة الطويلة نخلة سحوق ومنه قول الشاعر

كانت لنا جارة فأزعجها ۞ قاذورة تسحق النوى قدما

ويروى تسحق يقول فهكذا مثل المشرك بالله فى بعده من ربه ومن اصابة الحق كبعد هذا الواقع من السماء الى الأرض أو كهلاك من اختطفته الطير منهم فى الهواء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فكأنما خر من السماء قال هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله فى بعده من الهدى وهلاكه فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فى مكان سحيق قال بعيد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل فتخطفه الطير وقد قيل قبله فكأنما خر من السماء وخر فعل ماض وتخطفه مستقبل فعطف بالمستقبل على الماضى كما فعل ذلك فى قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وقد بينت ذلك هنالك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور حنفاء لله وتعظيم شعائر الله وهو استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ماأمر الله جل ثناؤه من تقوى قلوبكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا محمد بن زياد عن محمد ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال استعظامها واستحسانها واستسمانها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ومن يعظم شعائر الله قال الاستسمان والاستعظام * وبه عن عنبسة عن ليث عن مجاهد مثله الا أنه قال والاستحسان حدثنا عبد الحميد ابن بيان الواسطى قال أخبرنا اسحق عن أبى بشر وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومن يعظم شعائر الله قال استعظام البدن واستسمانها واستحسانها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن المثنى

يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ماأعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا معك فأنزل الله عز وجل (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أوماتوا) قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم هم الذين خرجوا من الاوطان فى سرية أو عسكر ولا يبعد حمل الآية على الفريقين والرزق الحسن نعيم الجنة وعن الكلبى هو الغنيمة لأنها حلال وقال الأصم العلم والفهم كقول شعيب ورزقنى منه رزقا حسنا وضعف الوجهان بأنهما ممتنعان بعد القتل أو الموت قال العلماء وانما تظهر هذه الفضيلة للمهاجرين فى مزيد الدرجات والافلابد من شرط اجتناب الكبائر كما فى حق غيرهم (وان الله لهو خير الرازقين) لان رزق غيره ينتهى اليه وغيره لايقدر على مثل رزقه ولأن رزقه لايختلط بالمن والأذى ولا بغرض من الاغراض الفاسدة ولأنه يرزق ويعطى مابه يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس وغير ذلك من الشرائط الوجودية والعدمية قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن غير الله يقدر على الفعل وهو الرزق ويمكن

قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قال الوقوف بعرفة من شعائر الله وبجمع من شعائر الله ورمي الجمار من شعائر الله والبدن من شعائر الله ومن يعظمها فانها من شعائر الله في قوله ومن يعظم شعائر الله فمن يعظمها فانها من تقوى القلوب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يعظم شعائر الله قال الشعائر الجمار والصفا والمروة من شعائر الله والمشعر الحرام والمزدلفة قال والشعائر تدخل في الحرم هي شعائر وهي حرم * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره وهي ما جعله أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم من الاماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والاعمال التي ألزمهم عملها في حجهم من تقوى قلوبهم لم يخصص من ذلك شيأ فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك وقال فانها من تقوى القلوب وأنث ولم يقل فانه لانه أريد بذلك فان تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه ان ربك من بعدها الغفور رحيم وعنى بقوله فانها من تقوى القلوب فانها من وجل القلوب من خشية الله وحقيقة معرفتها بعظمته واخلاص توحيده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده أنها الى أجل مسمى على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فقال الذين قالوا عني بالشعائر البدن معنى ذلك لكم أيها الناس في البدن منافع ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع وفي الاجل الذي قال عز ذكره الى أجل مسمى فقال بعضهم الحال التي أخبر الله جل ثناؤه أن لهم فيها منافع هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها قالوا ومنافعها في هذه الحال شرب ألبانها وركوب ظهورها وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها قالوا والأجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها اليه هو الى ايجابهم اياها فاذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شئ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال ما لم يسم بدنا حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الركوب واللبن والولد فاذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها حتى تصير بدنا * قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال في أشعارها وأوبارها وألبانها قبل أن تسميها بدنة * قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل أن تسمى هديا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وزاد فيه وهي الأجل المسمى حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء أنه قال في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق قال منافع

أن يجاب بأنه مجاز أو على سبيل الفرض والتقدير وليس في الآية دليل ظاهر على أن المهاجر المقتول والمهاجر الميت على فراشه هل يستويان في الاجر أم لا بل المعلوم منها هو الجمع بينهما في الوعد وقد يستدل على التسوية بما روى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الأجر شريكان فان لفظ الشركة مشعر بالتسوية وحين بين رزقهم شرع في ذكر مسكنهم قيل في المدخل الذي يرضونه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال أبو القاسم القشيري هو أن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم وقال ابن عباس يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولا (وان الله لعليم) بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم فيمهله حتى يتوب فيدخل الجنة ثم بين أنه مع اكرامه لهم في الآخرة لا يدع نصرهم في الدنيا قبل أن يقتلوا أو يموتوا فقال (ذلك) قال الزجاج أي

في ألبانها وظهورها وأوبارها الى أجل مسمى الى أن تقلد حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثل ذلك حدثني يعقوب قال قال ابن علية سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الى أن توجبها بدنة * قال ثنا ابن علية عن ابن أبي نجيح عن قتادة لكم فيها منافع الى أجل مسمى يقول في ظهورها وألبانها فاذا قلدت فمحلها الى البيت العتيق * وقال آخرون ممن قال الشعائر البدن في قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب والهاء في قوله لكم فيها من ذكر الشعائر ومعنى قوله لكم فيها منافع لكم في الشعائر التي تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أو هديا بأن تركبوا ظهورها اذا احتجتم الى ذلك وتشربوا ألبانها ان اضطررتم اليها قالوا والأجل المسمى الذي قال جل ثناؤه الى أجل مسمى الى ان تنحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن عطاء لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال هو ركوب البدن وشرب لبنها ان احتاج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الى أن تنحر قال له أن يحمل عليها المعيي والمنقطع به من الضرورة كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة اذا احتاج اليها سيدها أن يحمل عليها ويركب عند منهوكه قلت لعطاء ما (١) قال الرجل الراجل والمنقطع به والمتبع وان نتجت أن يحمل عليها ولدها ولا يشرب من لبنها الا فضلا عن ولدها فان كان في لبنها فضل فليشرب من أهداها ومن لم يهدها وأما الذين قالوا معنى الشعائر في قوله ومن يعظم شعائر الله شعائر الحج وهي الاماكن التي ينسك عندها لله فانهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله لكم فيها منافع فقال بعضهم معنى ذلك لكم في هذه الشعائر التي تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوقكم والاجل المسمى الخروج من الشعائر الى غيرها ومن المواضع التي ينسك عندها الى ما سواها في قول بعضهم حدثني الحسن بن علي الصدائي قال ثنا أبو اسامة عن سليمن الضبي عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن ابن عباس في قوله لكم فيها منافع قال أسواقهم فانه لم يذكر منافع الا للدنيا حدثني محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال والاجل المسمى الخروج منه الى غيره * وقال آخرون منهم المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع العمل لله بما أمر من مناسك الحج قالوا والأجل المسمى هو انقضاء أيام الحج التي ينسك لله فيهن ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فقرأ قول الله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم في تلك الشعائر منافع الى أجل مسمى اذا ذهبت تلك الايام لم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها يبتغي الأجر ولا المزدلفة ولا رمي الجمار وقد ضربوا من البلدان لهذه الايام التي فيها المنافع وانما منافعها الى تلك الايام وهي الأجل المسمى ثم محلها حين تنقضي تلك الايام الى البيت العتيق * قال أبو جعفر وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره ومن يعظم شعائر الله معني به كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه اذ لم يخصص من ذلك جل ثناؤه شيأ في خبر ولا عقل واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى في هذه الشعائر منافع الى أجل مسمى فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا فمنافعها لكم من حين تملكون الى أن أوجبتموها هدايا وبدنا وما كان منها أماكن ينسك لله عندها فمنافعها التجارة لله عندها والعمل لله بما أمر به الى الشخوص عنها وما كان منها أوقاتا

الامر ما قصصنا عليكم من المجازاة الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا أو ماتوا عن مقاتل أن قوما من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت لهم المسلمون فنصروا فوقع في أنفس المسلمين شيء من القتال في الشهر الحرام فنزل (ومن عاقب) أي قاتل (بمثل ما عوقب به) أي كما ابتدئ بقتاله سمي الابتداء باسم الجزاء للطباق وللملابسة من حيث ان ذلك سبب وهذا مسبب عنه (ثم بغي عليه) أي ثم كان المجازي مبغيا عليه أي مظلوما ومعنى ثم تفاوت الرتبة لأن كونه مبدوأ بالقتال معه نوع ظلم كما قيل البادي أظلم وهو موجب لنصرته ظاهرا الا أن كونه في نفس الأمر مظلوما هو السبب الأصلي في النصرة وعن الضحاك أن الآية مدنية وهي في القصاص والجراحات واستدل الشافعي بها في وجوب رعاية المماثلة في القصاص فقال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وفي ختم الآية بذكر العفو والمغفرة وجوه

(١) لعله يريد ما المعيي قال الخ تأمل كتبه مصححه

بأن يطاع الله فيها بعمل أعمال الحج وبطلب المعاش فيها بالتجارة الى أن يطاف بالبيت فى بعض أو يوافى الحرم فى بعض ويخرج عن الحرم فى بعض وقد اختلف الذين ذكرنا اختلافهم فى تأويل قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى فى تأويل قوله ثم محلها الى البيت العتيق فقال الذين قالوا عنى بالشعائر فى هذا الموضع البدن معنى ذلك ثم محل البدن الى أن تبلغ مكة وهى التى بها البيت العتيق ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ثم محلها الى البيت العتيق الى مكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم محلها الى البيت العتيق يعنى محل البدن حين تسمى الى البيت العتيق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ثم محلها حين تسمى هديا الى البيت العتيق قال الكعبة أعتقها من الجبابرة فوجه هؤلاء تأويل ذلك الى ثم منحر البدن والهدايا التى أوجبتموها الى أرض الحرم وقالوا عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها وقالوا وذلك نظير قوله فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد الحرم كله * وقال آخرون معنى ذلك ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم الى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم فى حجكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى ثم محلها الى البيت العتيق قال محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت * وقال آخرون معنى ذلك ثم محل منافع أيام الحج الى البيت العتيق بانقضائها ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم محلها الى البيت العتيق حين تنقضى تلك الايام أيام الحج الى البيت العتيق * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معنى ذلك ثم محل الشعائر التى لكم فيها منافع الى أجل مسمى الى البيت العتيق فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم فى الحرم وما كان من نسك فالطواف بالبيت وقد بينا الصواب فى ذلك من القول عندنا فى معنى الشعائر

القول فى تأويل قوله تعالى {ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين} يقول تعالى ذكره ولكل أمة ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الايمان بالله أيها الناس جعلنا ذبحا يهريقون دمه ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام بذلك لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير وقيل انما قيل للبهائم بهائم لانها لا تتكلم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله جعلنا منسكا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولكل أمة جعلنا منسكا قال اهراق الدماء ليذكروا اسم الله عليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فالهكم اله واحد يقول تعالى ذكره فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فالهكم اله واحد لا شريك له فاياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة وقوله فله أسلموا يقول فلالهكم فاخضعوا بالطاعة وله فذلوا بالاقرار بالعبودية وقوله وبشر المخبتين يقول تعالى ذكره وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة المذعنين له بالعبودية المنيبين اليه بالتوبة وقد بينا معنى الاخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا * وقد اختلف أهل التأويل فى المراد به فى هذا الموضع فقال بعضهم أريد به وبشر المطمئنين الى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان

منها أن المندوب للجنى عليه هو أن يعفو عن الجانى كقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وكأنه قال أنا ضامن لنصرته ان ترك الانتقام وطلب الثار ما هو أولى به فانى عفو غفور ومنها أنه ضمن النصر على الباغى ولوح بذكر هاتين الصفتين بما هو أولى بالمجنى عليه وهو العفو والصفح ومنها أنه دل بذكرهما على أنه قادر على العقوبة لان العفو عند المقدرة ثم بين أن ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن كمال قدرته ايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل وذلك أن زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر وأراد تحصيل أحد العرضين الظلام والضياء فى مكان الآخر وقد مر فى أوائل آل عمران وفيه أن خالق الليل والنهار ومصرف الأدوار والاكوار لا يخفى عليه شئ من الزمانيات خيرا أو شرا انصافا أو بغيا وأكد هذا المعنى بقوله (ان الله سميع بصير) يسمع أقوال الخلائق ويبصر أفعالهم ثم بين أن كمال القدرة والعلم هو يقتضى وجوب الوجود فقال (ذلك) أى الوصف بخلق الملوين وبالاحاطة بما يجرى فيهما بسبب أن الحقيقة منحصرة فى ذاته وان وجود غيره ولا سيما الأوثان موسوم بالبطلان فلا نقص كالامكان ويعلم

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمئنين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن
يمان عن ابن جريج عن مجاهد قوله وبشر المخبتين المطمئنين الى الله حدثني محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وبشر المخبتين قال المطمئنين حدثنا الحسن قال
ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وبشر المخبتين قال المتواضعين * وقال
آخرون في ذلك بما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن
عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس قال المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا
حدثني محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا محمد بن مسلم الطائفي قال
ثني عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس مثله * القول في تأويل قوله تعالى (الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)
فهذا من نعت المخبتين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبشر يا محمد المخبتين الذين
تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه كما حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال لا تقسو
قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من شدة في أمر الله ونالهم من مكروه في جنبه والمقيمي الصلاة
المفروضة ومما رزقناهم من الاموال ينفقون في الواجب عليهم انفاقها فيه في زكاة ونفقة عيال
ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله * القول في تأويل قوله تعالى (والبدن جعلناها لكم من
شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا
القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى ذكره والبدن وهي جمع بدنة
وقد يقال لواحدها بدن واذا قيل بدن احتمل أن يكون جمعا وواحدا يدل على أنه قد يقال ذلك
للواحد قول الراجز

عليّ حين تملك الامورا * صوم شهور وجبت نذورا
وحلق رأسي وافيا مضفورا * وبدنا مدرعا موفورا

والبدن هو الضخم من كل شئ ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير
البدن لضخمه واسترخاء لحمه فانه يقال قد بدن تبدينا فعني الكلام والابل العظام الاجسام
الضخام جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله يقول من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك
حجكم اذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الابل والبقر كما
حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن ابن جريج قال قال عطاء والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
قال البقرة والبعير وقوله لكم فيها خير يقول لكم في البدن خير وذلك الخير هو الأجر في الآخرة
بنحرها والصدقة بها وفي الدنيا الركوب اذا احتاج الى ركوبها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
في قول الله لكم فيها خير قال أجر ومنافع في البدن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا
سفيان عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير قال اللبن والركوب اذا احتاج حدثنا عبد الحميد
ابن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير قال اذا اضطررت

عما ذكر أنه لا شئ أعلى منه شأنا
وأكبر سلطانا واعلم أنه قال ههنا (من
دونه هو الباطل) بزيادة هو وفي لقمن
من دونه الباطل لأن هذا وقع بين
عشر آيات كل آية مؤكدة مرة أو
مرتين ولهذا أيضا زيدت اللام في
قوله (وان الله لهو الغني الحميد)
بخلاف ما في لقمن وأيضا يمكن أن
يقال تقدم في هذه السورة ذكر
الشيطان فلهذا ذكرت هذه
المؤكدات بخلاف لقمن فانه لم
يتقدم ذكر الشيطان ثمة بنحو
ما ذكره ههنا ثم ذكر أنواعا أخر من
دلائل قدرته ونعمته فقال (ألم
تر) قيل هي رؤية البصر لان نزول
الماء من جهة السماء واخضرار
النبات من المبصرات وقيل بمعنى
العلم لان الرؤية اذا لم يقترن بها العلم
لم يعتد بها وفي قوله (فتصبح)
دون أن يقول فأصبحت مناسبا
لأنزل اشارة الى بقاء أثر المطر زمانا
طويلا وان كان ابتداء الاصباح
عقيب النزول ونظيره قول القائل
أنعم فلان علي عام كذا فأروح
وأغدو شاكرا له ولو قال فرحت
وغدوت لم يقع ذلك الموقع واعلم
بنصب فتصبح جوابا للاستفهام
لايهام عكس ما هو المقصود لانه
يوهم نفي الاخضرار كالوقت

الى بدنتك ركبتها وشربت من لبنها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم
لكم فيها خير من احتاج الى ظهر البدنة ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وقوله فاذكروا اسم الله
عليها صواف يقول تعالى ذكره فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم اياها صواف * واختلف
القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار فاذكروا اسم الله عليها صواف بمعنى مصطفة واحدها
صافة وقد صفت بين أيديها وروى عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وجماعة أخر معهم أنهم قرؤا
ذلك صوافي بالياء منصوبة بمعنى خالصة لله لا شريك له فيها صافية له وقرأ بعضهم ذلك صواف باسقاط
الياء وتنوين الحرف على مثال عوار وعواد وروى عن ابن مسعود أنه قرأه صوافن بمعنى معقلة
* والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها لاجماع الحجة من القراء
عليه بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها
حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله
فاذكروا اسم الله عليها صواف قال الله أكبر الله أكبر اللهم منك ولك صواف قياما على ثلاث أرجل
فقيل لابن عباس ما نصنع بجلودها قال تصدقوا بها واستمتعوا بها حدثني محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس
في قوله صواف قال قائمة قال يقول الله أكبر لا اله الا الله الله أكبر اللهم منك ولك حدثني محمد بن المثنى
قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن أبي ظبيان عن ابن عباس فاذكروا اسم الله عليها
صواف قال قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله والله أكبر اللهم منك ولك حدثني يعقوب
قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس في قوله صواف قال معقولة احدى
يديها قال قائمة على ثلاث قوائم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن
ابن عباس في قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف يقول قياما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف والصواف
أن تعقل قائمة واحدة وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال
أخبرنا يعلى بن عطاء قال أخبرني بجير بن سالم قال رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته قال فقال صواف
كما قال الله قال فنحرها وهي قائمة معقولة احدى يديها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن
ادريس قال أخبرنا ليث عن مجاهد قال الصواف اذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث * قال ثنا
ليث عن مجاهد في قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف قال صواف بين أوظفتها حدثني محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صواف قال قيام صواف على ثلاث قوائم حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذكروا اسم الله عليها صواف قال
بين وظائفها قياما حدثنا ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن
خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن نافع عن عبد الله أنه كان ينحر البدن وهي قائمة مستقبلة البيت
تصف أيديها بالقيود قال هي التي ذكر الله فاذكروا اسم الله عليها صواف حدثنا ابن حميد قال
ثني جرير عن منصور عن رجل عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال قلت له قول الله فاذكروا اسم
الله عليها صواف قال اذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها وقل الله أكبر لا اله الا الله اللهم منك ولك ثم
سم ثم انحرها قلت فأقول ذلك للاضحية قال وللاضحية ذكر من تأوله بتأويل من قرأه صوافي بالياء
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن الحسن أنه قال فاذكروا اسم الله عليها

لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك
فتشكران نصبته أوهمت أنك ناف
لشكره شاك تفريطه فيه وان
رفعته فأنت مثبت لشكره بطريق
الاستمرار ولا يبعد أن تكون هذه
الآية اشارة الى دليل الاعادة كما
في أول السورة وهذا قول أبي مسلم
(ان الله لطيف خبير) قال الكلبي
لطيف في أفعاله خبير بأعمال
خلقه وقال مقاتل لطيف
باستخراج النبت خبير بكيفية
خلقه وقال ابن عباس لطيف
بأرزاق عباده خبير بما في قلوبهم من
القنوط وقد مر مثل هذه في أواسط
الانعام ثم بين أن كل ما في السموات
والارض ملكه وملكه لا يمتنع شيء
منها من تصرفاته وهو غني عن كل
ذلك وانما خلقها لحاجة المكلفين
اليها ومن جملتها المطر والنبات
خلقها رحمة للحيوانات وانعاما عليها
واذا كان انعامه خاليا عن غرض
عائد اليه كان مستحقا للحمد بل هو
حميد في ذاته وان لم يحمده
الحامدون (ق) التأويل وكأين من
قرية قالب أهلكناها بضيق
الصدر وسوء الخلق واستيلاء الغفلة
وبئر معطلة هي القلب الفارغ عن
أعمال القوى الروحانية في طلب
المعارف والحقائق وقصر مشيد

صوافى قال مخلصين * قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال الحسن صوافى خالصة حدثنا الحسن
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن صوافى خالصة لله حدثنا ابن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن شقيق الضبى فاذكروا اسم الله عليها صوافى
قال خالصة * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أيمن بن نابل قال سألت طاوسا عن قوله فاذكروا
اسم الله عليها صوافى قال خالصا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون يجعلون لله
ولآلهتهم صوافى صافية لله تعالى ذكر من تأوله بتأويل من قرأ صوافن حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى حرف ابن مسعود فاذكروا اسم الله عليها صوافن أى
معقلة قياما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى حرف
ابن مسعود فاذكروا اسم الله عليها صوافن قال أى معقلة قياما حدثنا ابن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأها صوافن قال معقولة قال ومن
قرأها صواف قال تصف بين يديها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد
قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف يعنى صوافن والبدنة اذا نحرت
عقلت يد واحدة فكانت على ثلاث وكذلك تنحر * قال أبو جعفر وقد تقدم بيان أولى هذه
الاقوال بتأويل قوله صواف وهى المصطفة بين أيديها المعقولة احدى قوائمها وقوله فاذا وجبت
جنوبها يقول فاذا سقطت فوقعت جنوبها الى الارض بعد النحر فكلوا منها وهو من قولهم قد
وجبت الشمس اذا غابت فسقطت للتغيب ومنه قول أوس بن حجر

ألم تكسف الشمس والبدر وال * كواكب للجبل الواجب

يعنى بالواجب الواقع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا وجبت جنوبها سقطت الى الارض
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا فرغت ونحرت
حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن
مجاهد فاذا وجبت نحرت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى
أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا نحرت حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا ماتت وقوله فكلوا منها
وهذا مخرجه مخرج الأمر ومعناه الاباحة والاطلاق يقول الله فاذا نحرت فسقطت ميتة بعد
النحر فقد حل لكم أكلها وليس بأمر ايجاب وكان ابراهيم النخعى يقول فى ذلك ما حدثنا محمد
ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال المشركون كانوا
لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فأكلوا منها فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل حدثنا
ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد قال ان شاء أكل وان شاء لم
يأكل فهى بمنزلة فاذا حللتم فاصطادوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى
قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر يقول يأكل منها ويطعم
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن وأخبرنا مغيرة

هو الرأس الخالى عن نتائج الفكر
الصافى والحواس السليمة أفلم يسيروا
فى أرض البشرية عابرين على
منازل السالكين الى أن يصلوا
الى مقام القلب فتكون لهم
قلوب يعقلون بها الرحمن بذاته
أو آذان قلوب يسمعون بها
أقواله أو أبصار بصائر يبصرون
بها أفعاله واذا صح وصف القلب
بالسمع والبصر صح وصفه بسائر
وجوه الادراك فقد يدرك نسيم
الاقبال بمشام السر كقوله انى
لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن
وكقول يعقوب انى لأجد ريح يوسف
ولن يخلف الله وعده ليس خلفه فى
وعيد المؤمنين بخلف فى الحقيقة
لانه تصديق قوله سبقت رحمتى
غضبى وان يوما عند ربك كألف
سنة قيل لانه موجد الزمان وليس
عنده صباح ولا مساء فوجود الزمان
وعدمه وكثرته وقلته سواء عنده
والاستعجال وضده انما يتصور فى
المترمنات قلت ففيه أن الكل بارادته
وأن ما أراد الله فأسبابه متهيئة يحصل
فى يوم بارادته ما لا يحصل فى ألف سنة
بحسب فرضنا وتقديرنا ومن هنا
قيل جذبة من جذبات الرحمن توازى
عمل الثقلين أمليت لها فيه أنه تعالى
يمهل ولكنه لا يهمل لهم مغفرة أى

عن ابراهيم وأخبرنا حجاج عن عطاء وأخبرنا حصين عن مجاهد في قوله فكلوا منها قال ان شاء أكل وان شاء لم يأكل قال مجاهد هي رخصة هي كقوله فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الارض ومثل قوله واذا حللتم فاصطادوا وقوله وأطعموا القانع والمعتر يقول فأطعموا منها القانع * واختلف أهل التأويل في المعنى بالقانع والمعتر فقال بعضهم القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع المستغني بما أعطيته وهو في بيته والمعتر الذي يتعرض لك ويلم بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البدن حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد قال القانع جارك الذي يقنع بما أعطيته والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية وأطعموا القانع والمعتر القانع الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به والمعتر الذي يمر بجانبك لا يسأل شيأ فذلك المعتر * وقال آخرون القانع الذي يقنع بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يعتريك فيسألك ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله القانع والمعتر يقول القانع المتعفف والمعتر يقول السائل حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا يقول القانع أهل مكة والمعتر الذي يعتريك فيسألك حدثني أبو السائب قال ثنا عطاء عن خصيف عن مجاهد فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثني كعب بن فروخ قال سمعت قتادة يحدث عن عكرمة في قوله القانع والمعتر قال القانع الذي يقعد في بيته والمعتر الذي يسأل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال القانع المتعفف الجالس في بيته والمعتر الذي يعتريك فيسألك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال القانع والمعتر قال القانع الطامع بما قبلك ولا يسألك والمعتر الذي يعتريك ويسألك حدثني نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وابراهيم قالا القانع الجالس في بيته والمعتر الذي يسألك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في القانع والمعتر قال القانع الذي يقنع بما في يديه والمعتر الذي يعتريك ولكليهما عليك حق يا ابن آدم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذي يجلس في بيته والمعتر الذي يعتريك * وقال آخرون القانع هو السائل والمعتر هو الذي يعتريك ولا يسأل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا يونس عن الحسن قال القانع الذي يقنع اليك ويسألك والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن في هذه الآية وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذي يقنع والمعتر الذي يعتريك قال وقال الكلبي القانع الذي يسألك والمعتر الذي يعتريك يتعرض ولا يسألك حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا المحاربي عن سفيان عن يونس عن الحسن في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذي يسألك والمعتر الذي يتعرض لك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه قال قال سعيد بن جبير القانع السائل حدثني محمد بن اسمعيل الأحمسي قال ثني غالب قال ثني شريك عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير في قوله القانع

ستر فمنهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه أعماله الصالحة صيانة له عن الملاحظة ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهوة فتنة كما قيل شعر

لا تنكرن جحدي هواك فانما * ذاك الجحود عليك ستر مسبل

ومنهم من يستره بين أوليائه في باب العزة كما قال أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ومنهم من يستر أنانيته بهويته فيقول أنا الحق وسبحاني والرزق الكريم هو الخالي عن شوائب الحدوث لانه من القديم الكريم الاذاتي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بل الولي لا يليق به التمني بل ما على الرسول الا البلاغ ولا على الولي الا الرضا والتسليم فلو بقي في أحدهم أدنى ملاحظة لغير الله كالحرص على ايمان القوم فوق ما أمر به ابتلاه الله بالقاء محال الشيطان في أمنيته بقول أو بعمل فتدركه العناية الازلية ويزيل الخاطر الشيطاني ويثبته على الخاطر الرحماني ولا يكون لدخان الفتنة تأثير في نور يقينه كما لا تأثير للضباب في شعاع الشمس بخلاف من في قلبه ظلم الشبهات فان ذلك الدخان يزيدها كدورة وربما حتى تأتيهم ساعة سلب الاستعداد بالكلية

قال هو السائل ثم قال أما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني * مفاقره أعف من القنوع

قال بن السؤال حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن أنه قال في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذي يقنع اليك يسألك والمعتر الذي يريك نفسه ويتعرض لك ولا يسألك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشام قال أخبرنا منصور ويونس عن الحسن قال القانع السائل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم القانع الذي يسأل الناس * وقال آخرون القانع الجار والمعتر الذي يعتريك من الناس ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال القانع جارك وان كان غنيا والمعتر الذي يعتريك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع جارك الغني والمعتر من اعتراك من الناس حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله وأطعموا القانع والمعتر أنه قال أحدهما السائل والآخر الجار * وقال آخرون القانع الطواف والمعتر الصديق الزائر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثني أبي وشعيب بن الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال قال قال زيد بن أسلم في قول الله تعالى القانع والمعتر فالقانع المسكين الذي يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذي يزور * وقال آخرون القانع الطامع والمعتر الذي يعتر بالبدن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله القانع قال الطامع والمعتر من يعتر بالبدن من غني أو فقير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال القانع الطامع * وقال آخرون القانع هو المسكين والمعتر الذي يتعرض للحم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع المسكين والمعتر الذي يعتر القوم للحمهم وليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجيء الى القوم من أجل لحمهم والبائس الفقير هو القانع * وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فرات عن سعيد بن جبير قال القانع الذي يقنع والمعتر الذي يعتريك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسن بمثله * قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ومجاهد القانع والمعتر القانع الجالس في بيته والمعتر الذي يتعرض لك * وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال عني بالقانع السائل لانه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل وأطعموا القانع والسائل ولم يقل وأطعموا القانع والمعتر وفي اتباع ذلك قوله والمعتر الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل من قولهم قنع فلان الى فلان بمعنى سأله وخضع اليه فهو يقنع قنوعا ومنه قول لبيد

وأعطاني المولى على حين فقره * اذا قال أبصر خلتي وقنوعي

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي فانه من قنعت به بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا وأما المعتر فانه الذي يأتيك معترا بك لتعطيه وتطعمه وقوله كذلك سخرناها لكم يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس لعلكم تشكرون يقول لتشكروني على تسخيرها لكم (القول

أو يأتيهم عذاب يوم عقيم هو الأبد لانه لا ليل له وهو عذاب قطيعة لا وصلة بعدها والذين هاجروا عن أوطان الطبيعة في طلب الحقيقة ثم قتلوا بسيف الصدق والرياضة حتى تزكوا أنفسهم أو ماتوا عن أوصاف البشرية ليرزقنهم الله رزقا حسنا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الاسرار مشاهدات الجمال ورزق الارواح مكاشفات الجلال وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزق من أوصاف ربوبيته كما قال صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ومن عاقب بالمجاهدة نفسه بمثل ما عاقبت النفس بالمخالفة قلبه ثم بغي عليه أي غلبت النفس على القلب باستيلاء صفاتها لينصرنه الله باستئصال النفس وتمحيق صفاتها ان الله لعفو لما سلف غفور لما بقي في نفوس الطالبين من الانانية يولج ليل السر في نهار التجلي وبالعكس أو يولج ليل القبض في نهار

في تأويل قوله تعالى ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره لم يصل الى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها ولكن يناله اتقاؤكم اياه ان اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه وعملتم فيها بما ندبكم اليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم في قول الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ما أريد به وجه الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ان اتقيت الله في هذه البدن وعملت فيها لله وطلبت ما قال الله تعظيما لشعائر الله ولحرمات الله فانه قال ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه قال وجعلته طيبا فذلك الذي يتقبل الله فأما اللحوم والدماء فمن أين تنال الله وقوله كذلك سخرها لكم يقول هكذا سخر لكم البدن لتكبروا الله على ما هداكم يقول كي تعظموا الله على ما هداكم يعني على توفيقه اياكم لدينه وللنسك في حجكم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لتكبروا الله على ما هداكم قال على ذبحها في تلك الايام وبشر المحسنين يقول وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم اياه في الدنيا بالجنة في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله ان الله لا يحب كل خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان كفور يقول جحود لنعمه عنده لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها وقيل انه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ﴾ يقول تعالى ذكره أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة أذن بضم الالف يقاتلون بفتح التاء بترك تسمية الفاعل في أذن ويقاتلون جميعا وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة أذن بترك تسمية الفاعل ويقاتلون بكسر التاء بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض المكيين أذن بفتح الالف بمعنى أذن الله ويقاتلون بكسر التاء بمعنى ان الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون المشركين وهذه القراآت الثلاث متقاربات المعنى لان الذين قرؤا أذن على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه في التأويل الى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله وان من قرأ يقاتلون ويقاتلون بالكسر أو الفتح فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر وذلك أن من قاتل انسانا فالذي قاتله له مقاتل وكل واحد منهما مقاتل فاذ كان ذلك كذلك فبأية هذه القراآت قرأ القارئ فمصيب الصواب غير أن أحب ذلك الي أن أقرأ به أذن بفتح الالف بمعنى أذن الله لقرب ذلك من قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن الله في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم فيرد أذن على قوله ان الله لا يحب وكذلك أحب القراآت الي في يقاتلون كسر التاء بمعنى الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم فيكون الكلام متصلا معنى بعضه ببعض وقد اختلف في الذين عنوا بالاذن لهم بهذه الآية في القتال فقال بعضهم عنى به نبي الله وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير يعني محمدا

وأصحابه

البسط أو ليل الهيبة في نهار الانس أنزل من سماء القلب ماء الحكمة فتصبح أرض البشرية مخضرة بالشريعة وأرض القلوب والارواح والاسرار بالعلوم والكشوف والانوار والله أعلم بالصواب ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم

وأصحابه اذ أخرجوا من مكة الى المدينة يقول الله فان الله على نصرهم لقدير وقد فعل حدثنا ابن بشار قال، ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال رجل أخرجوا نبيهم فنزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حدثنا يحيى بن داود الواسطي قال ثنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن قال ابن عباس فأنزل الله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال أبو بكر فعرفت أنه سيكون قتال وهي أول آية نزلت قال ابن داود قال ابن اسحق كانوا يقرؤن أذن ونحن نقرأ أذن حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا أنه قال فقال أبو بكر قد علمت أنه يكون قتال والى هذا الموضع انتهى حديثه ولم يزد عليه حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا محمد بن يوسف قال ثنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر انا لله وانا اليه راجعون أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ليهلكن جميعا فلما نزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الى قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق عرف أبو بكر أنه سيكون قتال حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين وقرأ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقال هؤلاء المؤمنون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق(١) * وقال آخرون بل عني بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة فمنعوا من ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فكانوا يمنعون فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة وكانوا يمنعون فأدركهم الكفار فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم قال ابن جريج يقول أول قتال أذن الله به للمؤمنين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود أذن للذين يقاتلون في سبيل الله قال قتادة وهي أول آية نزلت في القتال فأذن لهم أن يقاتلوا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال هي أول آية أنزلت في القتال فأذن لهم أن يقاتلوا وقد كان بعضهم يزعم أن الله انما قال أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الكفار اذ آذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرا فأنزل الله في ذلك ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة أطلق لهم قتلهم وقتالهم فقال أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وهذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت وقوله وان الله على نصرهم لقدير يقول جل ثناؤه وان الله على نصر المؤمنين

آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

(١) لعله اختصره ان لم يكن سقط منه شيء من الناسخ والأصل هم النبي وأصحابه أو نحو ذلك فتنبه كتبه مصححه

الذين يقاتلون فى سبيل الله لقادر وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ﴾ يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون الذين
أخرجوا من ديارهم بغير حق فالذين الثانية رد على الذين الاولى وعنى بالمخرجين من دورهم
المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة وكان اخراجهم اياهم من دورهم وتعذيبهم
بعضهم على الايمان بالله ورسوله وسبهم بعضهم بألسنتهم ووعيدهم اياهم حتى اضطروهم الى
الخروج عنهم وكان فعلهم ذلك بهم بغير حق لانهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحق فلذلك
قال جل ثناؤه الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقوله الا أن يقولوا ربنا الله يقول تعالى ذكره
لم يخرجوا من ديارهم الا بقولهم ربنا الله وحده لا شريك له فأن فى موضع خفض ردا على الباء فى
قوله بغير حق وقد يجوز أن تكون فى موضع نصب على وجه الاستثناء وقوله ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولولا دفع الله المشركين
بالمسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض دفع المشركين بالمسلمين * وقال آخرون معنى ذلك ولولا
القتال والجهاد فى سبيل الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال لولا القتال والجهاد * وقال آخرون بل
معنى ذلك ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن بعدهم من التابعين ذكر من
قال ذلك حدثنا ابراهيم بن سعيد قال ثنا يعقوب بن ابراهيم عن سيف بن عمرو عن أبى روق
عن ثابت بن عوسجة الحضرمى قال ثنى سبعة وعشرون من أصحاب علىّ وعبد الله منهم لاحق
ابن الأقمر والعيزار بن حرول وعطية القرظى أن عليا رضى الله عنه قال انما أنزلت هذه الآية فى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لولا دفاع الله بأصحاب
محمد عن التابعين لهدمت صوامع وبيع * وقال آخرون بل معنى ذلك لولا أن الله يدفع عمن أوجب
قبول شهادته فى الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عمن لا يجوز قبول شهادته وغيره فأحيا
بذلك مال هذا ويوقى بسبب هذا إراقة دم هذا وتركوا المظالم من أجله لتظالم الناس فهدمت صوامع
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض يقول دفع بعضهم بعضا فى الشهادة وفى الحق وفيما يكون من قبل هذا يقول
لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله
تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهدم ما ذكر من دفعه تعالى ذكره بعضهم
ببعض كفه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفه ببعضهم التظالم كالسلطان الذى كف به رعيته
عن التظالم بينهم ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق ونحو ذلك
وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض لولا ذلك لتظالموا فهدم القاهرون صوامع المقهورين
وبيعهم وما سمى جل ثناؤه ولم يضع الله تعالى دلالة فى عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض
ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر
ذلك جميع ما ذكرنا وقوله لهدمت صوامع اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالصوامع فقال بعضهم

واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى
ونعم النصير ﴾ ۞ القراآت ما لم ينزل من
الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل
والآخرون بالتشديد يصطون
بالصاد مثل بصطة فى البقرة الذين
يدعون بياء الغيبة سهل ويعقوب
۞ الوقوف بأمره ط باذنه ط
رحيم ○ أحياكم ز لان ثم
لترتيب الاخبار يحييكم ○ ط
لكفور ○ الى ربك ط مستقيم ○
تعملون ○ تختلفون ○ والارض
ط فى كتاب ط يسير ○ علم ط
نصير ○ المنكر ط آياتنا ط
ذلكم ط النار ط كفروا ط
المصير ○ فاستمعوا له ط اجتمعوا
له ط منه ط والمطلوب ○
قدره ط عزيز ○ ومن الناس
ط بصير ○ خلفهم ط الامور
○ تفلحون ○ ج للآية مع
العطف جهاده ط حرج ط
ابراهيم ط الناس ج للعطف مع
الفاء بالله ط مولاكم ط النصير
○ ۞ التفسير ان من جملة نعم الله

عنى بها صوامع الرهبان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال
ثنا داود عن رفيع فى هذه الآية لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لهدمت صوامع قال
صوامع الرهبان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لهدمت
صوامع قال صوامع الرهبان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال
سمعت الضحاك يقول فى قوله لهدمت صوامع وهى (١) صوامع الصغار يبنونها * وقال آخرون بل
هى صوامع الصابئين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن
معمر عن قتادة صوامع قال هى للصابئين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن قتادة مثله * واختلفت القراء فى قراءة قوله لهدمت فقرأ ذلك عامة قراء المدينة لهدمت
خفيفة وقرأته عامة قراء أهل الكوفة والبصرة لهدمت بالتشديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرة بعد
مرة والتشديد فى ذلك أعجب القراءتين الى لان ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك وأما قوله وبيع
فانه يعنى بها بيع النصارى * وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم مثل الذى قلنا فى ذلك
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن رفيع
وبيع قال بيع النصارى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة
وبيع للنصارى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله
حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البيع
بيع النصارى * وقال آخرون عنى بالبيع فى هذا الموضع كنائس اليهود ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال وبيع قال وكنائس حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وحدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وبيع قال البيع الكنائس قوله وصلوات اختلف أهل التأويل
فى معناه فقال بعضهم عنى بالصلوات الكنائس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال
ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وصلوات قال يعنى
بالصلوات الكنائس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت
الضحاك يقول فى قوله وصلوات كنائس اليهود ويسمون الكنيسة صلوتا حد ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وصلوات كنائس اليهود حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون عنى بالصلوات مساجد الصابئين
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود قال سألت
أبا العالية عن الصلوات قال هى مساجد الصابئين * قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن
رفيع نحوه * وقال آخرون هى مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وصلوات قال مساجد لأهل
الكتاب ولأهل الاسلام بالطرق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن

تعالى على عباده تسخير الارضيات
وتذليلها لهم فلا أصلب من الحديد
والحجر ولا أشد نكاية من النار وقد
سخرها للانسان وسخر لهم الانعام
أيضا ينتفعون بها بالاكل والركوب
والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها
أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
وسخر لهم الدواب وغيرها وسخر
لهم الفلك حال كونها جارية بأمره
وهو تهيئة الاسباب المعاونة ودفع
الاشياء المضادة لسهولة جريها
ولا ريب أن الانتفاع بالارضيات
لا يتأتى الا بعد الأمن من وقوع
السماء على الارض فمن الله تعالى
على المكلفين بأن حفظها كيلا
تقع أو كراهة أن تقع على الارض
وذلك محض الاقتدار عند أهل
الظاهر أو بأن جعل طبعها هو
الاحاطة بما فى ضمنها اذ لا خفة فيها
ولا ثقل ولهذا خصت بالحركة على
المركز وفى قوله الا باذنه اشارة الى
أن الأفلاك ستنخرق وتنشق
فتقع على الارض ويحتمل

(١) لعله وهى الصوامع الصغار أى المعابد الصغار الخ فتأمل

ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وصلوات قال الصلوات صلوات أهل الاسلام تنقطع اذا دخل العدو عليهم انقطعت العبادة والمساجد تهدم كما صنع بختنصر وقوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول فقال بعضهم أريد بذلك مساجد المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قوله ومساجد قال مساجد المسلمين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المساجد مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة نحوه * وقال آخرون عنى بقوله ومساجد الصوامع والبيع والصلوات ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومساجد يقول في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا ولم يخص المساجد وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول الصلوات لا تهدم ولكن حمله على فعل آخر كأنه قال وتركت صلوات وقال بعضهم انما يعني مواضع الصلوات وقال بعضهم انما هي صلوات وهي كنائس اليهود تدعى بالعبرانية صلوتا * وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم وما خالفه من القول وان كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه اليه من وجهه اليه وقوله ولينصرن الله من ينصره يقول تعالى ذكره وليعينن الله من يقاتل في سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه فنصر الله عبده معونته اياه ونصر العبد ربه جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا وقوله ان الله لقوي عزيز يقول تعالى ذكره ان الله لقوي على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته عزيز في ملكه يقول منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب

﴿القول في تأويل قوله تعالى (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)﴾ يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة والذين ههنا رد على الذين يقاتلون ويعني بقوله ان مكناهم في الارض ان وطنا لهم في البلاد فقهروا المشركين وغلبوهم عليها وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة أطاعوا الله فأقاموا الصلاة بحدودها وآتوا الزكاة يقول وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له وأمروا بالمعروف يقول ودعوا الناس الى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الايمان بالله ونهوا عن المنكر يقول ونهوا عن الشرك بالله والعمل بمعاصيه الذي ينكره أهل الحق والايمان بالله ولله عاقبة الامور يقول ولله آخر أمور الخلق يعني أن اليه مصيرها في الثواب عليها والعقاب في الدار الآخرة * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسين الاشيب قال ثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان الذي يقال له الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا الى الاخلاص لله وحده لا شريك له ونهيهم عن المنكر أنهم نهوا عن عبادة الاوثان وعبادة الشيطان قال فمن دعا الى الله من الناس كلهم فقد أمر بالمعروف ومن نهى عن عبادة الاوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن

المنكر

أن يقال توقيف الوقوع على الاذن لا يوجب حصول الاذن فالانخراق والانشقاق لا يستفاد من هذه الآية ثم ذكر الانسان مبدأه ومعاده فقال (وهو الذي أحياكم) نظيره قوله في أول البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم وقد سبق هنالك وفي قوله (ان الانسان لكفور) زجر لهم عن الكفران بطريق التوبيخ وعن ابن عباس أنه الكافر وبعضهم جعله أخص فقال هو أبو جهل وأضرابه والاولى ارادة الجنس ثم عاد الى بيان أن أمر التكاليف مستقر على ما في هذه الشريعة فقال (لكل أمة) الآية قال في الكشاف انما فقد العاطف ههنا بخلاف نظرائها في السورة لان تلك مناسبة لما تقدمها وهذه مباينة لها قلت وذلك لأن من ههنا الى آخر السورة عود ابعد ذكر المعاد الى الوسط الذي هو حالة التكليف والأقرب أن المنسك في هذه الآية هو الشريعة كقوله

المنكر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴾ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله فذلك سنة اخوانهم من الامم الخالية المكذبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم فلا يصدنك ذلك فان العذاب المهين من ورائهم ونصرى اياك وأتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك كما أتى عذابى على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الامهال الى بلوغ الآجال فقد كذبت قبلهم يعنى مشركى قريش قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وهم قوم شعيب يقول كذب كل هؤلاء رسلهم وكذب موسى فقيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى لان قوم موسى بنو اسرائيل وكانت قد استجابت له ولم تكذبه وانما كذبه فرعون وقومه من القبط وقد قيل انما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد فى أهل مكة وقوله فأمليت للكافرين يقول فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الامم فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ثم أخذتهم يقول ثم أحللت بهم العقاب بعد الاملاء فكيف كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييرى ما كان بهم من نعمة وتنكرى لهم عما كنت عليه من الاحسان اليهم ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا وهلاكا وبالعمارة خرابا يقول فكذلك فعلى بمكذبيك من قريش وان أمليت لهم الى آجالهم فانى منجزك وعدى فيهم كما أنجزت غيرك من رسلى وعدى فى أممهم فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ يقول تعالى ذكره وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون يقول وهم يعبدون غير من ينبغى أن يعبد ويعصون من لا ينبغى لهم أن يعصوه وقوله فهى خاوية على عروشها يقول فباد أهلها وخلت وخوت من سكانها فخربت وتداعت وتساقطت على عروشها يعنى على بنائها وسقوفها كما حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك فهى خاوية على عروشها قال خواؤها خرابها وعروشها سقوفها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة خاوية قال خربة ليس فيها أحد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله وبئر معطلة يقول تعالى فكأين من قرية أهلكناها ومن بئر عطلناها بافناء أهلها وهلاك واردها فاندفنت وتعطلت فلا واردة لها ولا شاربة منها ومن قصر مشيد رفيع بالصخور والجص قد خلا من سكانه بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم فبادوا وبقى قصورهم المشيدة خالية منهم والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية وكان بعض نحويى الكوفة يقول هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا وان لم يحسن فيهما على أن العروش أعالى البيوت والبئر فى الارض وكذلك القصر لان القرية لم تخو على القصر ولكنه أتبع بعضه بعضا كما قال وحور عين كأمثال اللؤلؤ فمعنى الكلام على ما قال هذا الذى ذكرنا قوله فى ذلك فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ولها بئر معطلة وقصر مشيد ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها أتبعها فى الاعراب العروش والمعنى ما وصفت * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وبئر معطلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبئر معطلة

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء وقيل أراد مكانا معينا وزمانا للاداء الطاعات وقال مجاهد هو الذبائح ولا وجه للتخصيص ههنا والأمة أعم من أن تكون قد بقيت آثارهم أولم تبق أما الضمير فى قوله (فلا ينازعنك) فلابد من رجوعه الى الامم الباقية آثارهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج انه نهى له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أى لا تضاربه وذلك أن المفاعلة تقتضى العكس ضمنا وقال فى الكشاف هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى أمر الدين وكانوا يقولون فى الميتة ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله ومنه يعلم استقرار أمر الديانة على هذه الشريعة وأن على كل أمة من الامم

قال التى قد تركت وقال غيره لا أهل لها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر
عن قتادة وبئر معطلة قال عطلها أهلها تركوها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال
سمعت الضحاك يقول فى قوله وبئر معطلة قال لا أهل لها * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله
وقصر مشيد فقال بعضهم معناه وقصر مجصص ذكر من قال ذلك حدثنى مطر بن محمد الضبى
قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة فى قوله وقصر
مشيد قال مجصص حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن هلال بن
خباب عن عكرمة مثله حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنى غالب بن فائد قال ثنا
سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة مثله حدثنى الحسين بن محمد العنقزى قال ثنى أبى
عن أسباط عن السدى عن عكرمة فى قوله وقصر مشيد قال مجصص حدثنى مطر بن محمد
قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان قال كنت أمشى مع عكرمة فرأى حائط
آجر مصهرج فوضع يده عليه وقال هذا المشيد الذى قال الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة وقصر مشيد قال المجصص قال عكرمة
والجص بالمدينة يسمى الشيد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
وقصر مشيد قال بالقصة أو الفضة حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد وقصر مشيد قال بالقصة يعنى بالجص حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء فى قوله وقصر مشيد قال مجصص حدثنا الحسن
قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير فى قوله وقصر مشيد
قال مجصص هكذا هو فى كتابى عن سعيد بن جبير * وقال آخرون بل معنى ذلك وقصر رفيع
طويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة
وقصر مشيد قال كان أهله شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا
عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وقصر مشيد يقول طويل * وأولى القولين فى ذلك
بالصواب قول من قال عنى بالمشيد المجصص وذلك أن الشيد فى كلام العرب هو الجص بعينه
ومنه قول الراجز (٣) * كحبة الماء بين الطى والشيد *
فالمشيد انما هو مفعول من الشيد ومنه قول امرئ القيس

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * ولا أجما إلا مشيدا بجندل

يعنى بذلك الا البناء بالشيد والجندل وقد يجوز أن يكون معنيا بالمشيد المرفوع بناؤه بالشيد فيكون
الذين قالوا عنى بالمشيد الطويل نحوا بذلك الى هذا التأويل ومنه قول عدى بن زيد

شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور

وقد تأوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده اذا زينته به وذلك شبيه
بمعنى من قال مجصص (القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب

التى بقيت منها بقية أن يتبعوه
ويتركوا مخالفته فلذلك قال (وادع
الى ربك) أى لا تخص بالدعوة أمة
دون أمة فان كلهم أمتك (انك لعلى
هدى مستقيم) أى على دين وسط
ودليل ظاهر وان أبوا الا الجدال
فكل أمرهم الى الله قائلا (الله أعلم
بما تعملون) وفيه وعيد وانذار مخلوط
برفق ولكن (الله يحكم بينكم) أى
يفصل بين المؤمنين والكافرين
منكم ويحتمل أن يكون من تتمة
المقول وأن يكون ابتداء خطاب
من الله سبحانه للامم (ألم تعلم)
خطاب لكل عالم أو للرسول صلى
الله عليه وسلم والمراد تقوية قلبه
والا فالرسالة لا تكون الا بعد العلم
بكونه تعالى عالما بكل المعلومات
والا اشتبه عليه الصادق بالكاذب
(ان ذلك) الذى ذكر وهو كل ما فى
السماء والارض (فى كتاب) قال أبو
مسلم أراد به الحفظ والضبط كالشئ
المكتوب والجمهور على أنه حقيقة
وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾
يقول تعالى ذكره أفلم يسيروا هؤلاء المكذبون بآيات الله والجاحدون قدرته فى البلاد فينظروا
الى مصارع ضربائهم من مكذبى رسل الله الذين خلوا من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب
وأوطانهم ومساكنهم فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها سنة الله
فيمن كفر وعبد غيره وكذب رسله فينيبوا من عتوهم وكفرهم ويكون لهم اذا تدبروا ذلك واعتبروا
به وأنابوا الى الحق قلوب يعقلون بها حجج الله على خلقه وقدرته على ما بينا أو آذان يسمعون بها
يقول أو آذان تصغى لسماع الحق فتعى ذلك وتميز بينه وبين الباطل وقوله فانها لا تعمى الابصار
يقول فانها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها بل يبصرون ذلك بأبصارهم
ولكن تعمى قلوبهم التى فى صدورهم عن ابصار الحق ومعرفته والهاء فى قوله فانها لا تعمى هاء
عماد كقول القائل انه عبد الله قائم وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فانه لا تعمى الابصار وقيل
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور والقلوب لا تكون الا فى الصدور توكيدا للكلام كما قيل
يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلونك
يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم اياك فيما أتيتهم به من
عند الله فى الدنيا ولن يخلف الله وعده الذى وعدك فيهم من احلال عذابه ونقمته بهم فى عاجل
الدنيا ففعل ذلك ووفى لهم بما وعدهم فقتلهم يوم بدر * واختلف أهل التأويل فى اليوم الذى
قال جل ثناؤه وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أى يوم هو فقال بعضهم هو من الأيام
التى خلق الله فيها السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وان يوما عند ربك كألف سنة مما
تعدون قال من الأيام التى خلق الله فيها السموات والارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وان يوما عند ربك الآية قال هى مثل قوله فى الم
تنزيل سواء هو هو الآية وقال آخرون بل هو من أيام الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال مقدار الحساب
يوم القيامة ألف سنة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سعيد الجريرى عن أبى
نضرة عن سمير بن نهار قال قال أبو هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بمقدار نصف
يوم قلت وما نصف يوم قال أوما تقرأ القرآن قلت بلى قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما
تعدون حدثنا ابن بشار قال ثنى عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن مجاهد
وان يوما عند ربك كألف سنة قال من أيام الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن
جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية وان يوما عند ربك كألف
سنة مما تعدون قال هذه أيام الآخرة وفى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما
تعدون قال يوم القيامة وقرأ انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقد اختلف فى وجه صرف الكلام
من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب الى الخبر عن طول اليوم عند الله فقال بعضهم ان
القوم استعجلوا العذاب فى الدنيا فأنزل الله ولن يخلف الله وعده فى أن ينزل ما وعدهم من
العذاب فى الدنيا وان يوما عند ربك من عذابهم فى الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدون فى الدنيا
* وقال آخرون قيل ذلك كذلك اعلاما من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل ولكنه يمهل
الى أجل أجله وأن البطىء عندهم قريب عنده فقال لهم مقدار اليوم عندى ألف سنة مما تعدونه

واعل فى تلك الكتابة لطفا للملائكة لان مطابقة تلك الاشياء المكتوبة لما سيحدث الى الأبد من أدل دليل على كونه عالم الذات ولذلك قال (ان ذلك) الكتب (على الله يسير) وهذا تصوير لضده وهو صعوبة مثل ذلك على غيره والا فلا مدخل لليسر والصعوبة فى كمال قدرته وحين بين كمال ألوهيته قطع شأن أهل الشرك بقوله (ويعبدون) الآية والمراد أنهم لم يتمسكوا فى صحة عبادته بدليل سمعى ولا علم ضرورى وقوله (وما للظالمين من نصير) الظلم الشرك والنصرة اما بالشفاعة أو بالحجة ولا حجة الا للحق وهو كقوله فى آخر آل عمران وما للظالمين من أنصار وقدم والمنكر دلائل الغيظ والحنق وقال جار الله هو الفظيع من التجهم والبسور أو هو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقال الكلبى أراد أنهم كرهوا القرآن مع

أنتم أيها القوم من أيامكم وهو عندكم بطيء وهو عندي قريب * وقال آخرون معنى ذلك وان يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة والقول الثاني عندي أشبه بالحق في ذلك وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ثم أتبع ذلك قوله وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة فأخبر عن املائه أهل القرية الظالمة وتركه معاجلتهم بالعذاب فبين بذلك أنه عنى بقوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون نفي العجلة عن نفسه ووصفها بالأناة والانتظار واذ كان ذلك كذلك كان تأويل الكلام وان يوما من الايام التي عند الله يوم القيامة يوم واحد كألف سنة من عددكم وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والى المصير﴾ يقول تعالى ذكره وكأين من قرية أمليت لها يقول أمهلتهم وأخرت عذابهم وهم بالله مشركون ولأمره مخالفون وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جل ثناؤه فلم أعجل بعذابهم ثم أخذتها يقول ثم أخذتها بالعذاب فعذبتها في الدنيا باحلال عقوبتنا بهم والى المصير يقول والى مصيرهم أيضا بعد هلاكهم فيلقون من العذاب حينئذ مالا انقطاع له يقول تعالى ذكره فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركي قومك وان أمليت لهم الى آجالهم التي أجلتها لهم فاني آخذهم بالعذاب فقاتلهم بالسيف ثم الى مصيرهم بعد ذلك فموجعهم اذا عقوبة على ماقدموا من آثامهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يامحمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم اتباعا منهم لكل شيطان مريد ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا وعذابه في الآخرة أن تصلوه مبين يقول أبين لكم انذاري ذلك وأظهره لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك لا أملك لكم غير ذلك فأما تعجيل العقاب وتأخيره الذي تستعجلونني به فالى الله ليس ذلك الي ولا أقدر عليه ثم وصف نذارته وبشارته ولم يجر للبشارة ذكر ولما ذكرت النذارة على عمل علم أن البشارة على خلافه فقال والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم لهم مغفرة يقول لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة ورزق كريم يقول ورزق حسن في الجنة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم قال الجنة وقوله والذين سعوا في آياتنا معاجزين يقول والذين عملوا في حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا والاقرار بكتابنا الذي أنزلناه وقال في آياتنا فأدخلت فيه في كما يقال سعى فلان في أمر فلان * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله معاجزين فقال بعضهم معناه مشاقين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس أنه قرأها معاجزين في كل القرآن يعني بألف وقال مشاقين * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في آياتنا معاجزين قال كذبوا بآيات الله فظنوا أنهم يعجزون الله ولن يعجزوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه في آياتنا معاجزين بالالف وهي قراءة عامة قراء المدينة والكوفة وأما بعض قراء أهل مكة والبصرة فانه قرأه معجزين بتشديد الجيم بغير ألف بمعنى أنهم عجزوا

وضوح دلائله وقال ابن عباس هو التجبر والترفع وقال مقاتل أنكروا أن يكون من الله تعالى السطو الوثب والبطش أي يهمون بالبطش والوثوب لعظم انكار ماتلي عليهم وقوله (من ذلكم) اشارة الى غيظهم على التالين أو الى همهم ثم انه كان سائلا قائلا ماذلك الشر فقيل (النار) أي هو النار قلت وذلك أن حرارة الغيظ والسطو تشبه حرارة النار ولكن هذه أقوى ولا سيما نار جهنم ثم استأنف للنار حكما فقال وعدها الآية ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا ثم ضرب للأصنام مثلا فقال (ياأيها الناس ضرب مثل) انما قال بلفظ الماضي لانه معلوم من قبل لكل ذي عقل والمثل بمعنى المثل استعاروه لجملة من الكلام مستغربة مستفصحة متلقاة بالرضا والقبول

الناس وتبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان بالقرآن ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله معجزين قال مبطئين يبطؤن الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن من عجز عن آيات الله فقد عاجز الله ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف أمره وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطؤن الناس عن الايمان بالله واتباع رسوله ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه وقد ضمن الله له نصره عليهم فكان ذلك معاجزتهم الله فاذ كان ذلك كذلك فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك وأما المعاجزة فانها المفاعلة من العجز ومعناه مغالبة اثنين أحدهما صاحبه أيهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره وأما التعجيز فانه التضعيف وهو التفعيل من العجز وقوله أولئك أصحاب الجحيم يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ قيل ان السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نادٍ من أندية قريش كثير أهله فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه فأنزل الله عليه والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى عليه الشيطان كلمتين تلك الغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعا معه ورفع الوليد بن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود فرضوا بما تكلم به وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده اذ جعلت لها نصيبا فنحن معك قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال ما جئتك بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله اليه وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم قال فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد المدني عن محمد ابن كعب القرظي قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه وكان يسره مع حبه وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم حين حدث بذلك نفسه وتمنى

أهل التيسير والارسال وذلك أنهم جعلوا المضروب بها مثلا لمورده ثم استعاروا هذا المستعار للقصة أو الحالة أو الصفة المستغربة لما فيها من الغرابة وهذا هو الذي قصد في الآية (فاستمعوا له) أي تدبروه وحق له ذلك فان السماع المجرد لا نفع له قال جار الله محل (ولو اجتمعوا له) نصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا فكيف لو انفردوا وأقول الظاهر أن لو هذه للمبالغة وجوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه تقديره ولو اجتمعوا لخلق الذباب لن يخلقوه أيضا وليس من شرط كل جملة أن يكون لها محل ثم زاد لعجزهم وضعفهم تأكيدا بقوله (وان يسلبهم الذباب) الآية يعني اترك أمر الخلق والايجاد وتكلم فيما هو أسهل من ذلك ان هذا الحيوان الضعيف الذي لا قدره

وأحبه فأنزل الله والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فلما انتهى الى قول الله أفرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن يأتى
به قومه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتضى فلما سمعت ذلك قريش فرحوا وسرهم وأعجبهم
ما ذكر به آلهتهم فأصاخوا له والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على
خطا ولا وهم ولا زلل فلما انتهى الى السجدة منها وختم السورة سجد فيها فسجد المسلمون بسجود
نبيهم تصديقا لما جاء به واتباعا لامره وسجد من فى المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما
سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة فانه كان شيخا
كبيرا فلم يستطع فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس من المسجد وخرجت
قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقد زعم فيما
يتلو أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل أسلمت قريش فنهضت منهم رجال وتخلف آخرون وأتى جبرائيل
النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله وقلت
ما لم يقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وخاف من الله خوفا كبيرا فأنزل الله
تبارك وتعالى عليه وكان به رحيما يعزيه ويخفض عليه الامر ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبى
تمنى كما تمنى ولا أحب كما أحب الا والشيطان قد ألقى فى أمنيته كما ألقى على لسانه صلى الله عليه
وسلم فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته أى فأنت كبعض الانبياء والرسل فأنزل الله وما
أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية فأذهب الله عن نبيه
الحزن وأمنه من الذى كان يخاف ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرانيق
العلى وان شفاعتهن ترتضى يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الى قوله وكم
من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى أى فكيف تنفع
شفاعة آلهتكم عنده فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه قالت قريش
ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله فغير ذلك وجاء بغيره وكان ذلك الحرفان اللذان
ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن أبى العالية قال قالت قريش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما جلساؤك عبد بنى فلان ومولى بنى فلان فلو ذكرت آلهتنا بشئ
جالسناك فانه يأتيك أشراف العرب فاذا رأوا جلساءك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك قال
فألقى الشيطان فى أمنيته فنزلت هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى قال فأجرى
الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترجى مثلهن لا ينسى قال فسجد النبى صلى
الله عليه وسلم حين قرأها وسجد معه المسلمون والمشركون فلما علم الذى أجرى على لسانه كبر ذلك
عليه فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الى قوله
والله عليم حكيم حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد بن سلمة عن داود بن
أبى هند عن أبى العالية قال قالت قريش يا محمد انما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس
فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فان الناس يأتونك من الآفاق فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة النجم فلما انتهى على هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فألقى الشيطان
على لسانه وهى الغرانقة العلى وشفاعتهن ترتجى فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون والمشركون الا أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ كفا من تراب وسجد عليه وقال قد آن

لابن

لهم على خلقه لو سلب منهم شيأ لم
يقدروا أيضا على استخلاص ذلك
الشئ منه عن ابن عباس أنهم كانوا
يطلون الأصنام بالزعفران ورؤسها
بالعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فيأكله
وقيل سمى الذباب ذبابا لأنه كلما
ذب آب ثم عجب من ضعف
الاصنام والذباب بقوله (ضعف
الطالب والمطلوب) فالصنم
كالطالب من حيث انه يطلب خلق
الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه
وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب
هو الصنم أو عبادته ويجوز أن يكون
الطالب هو السالب والمطلوب
المسلوب منه ثم بين أن المشركين
الذين عبدوا من دون الله آلهة بهذه
المثابة (ما قدروا الله حق قدره) أى
ما عرفوه حق معرفته وقدم مثله
فى الانعام (ان الله لقوى عزيز)

لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المسلمين أن قريشا قد أسلمت فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان على
لسانه فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى آخر الآية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا
محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية أفرأيتم
اللات والعزى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير
فسجد المشركون معه فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان
في أمنيته الى قوله عذاب يوم عقيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثني عبد الصمد قال ثنا شعبة
قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت أفرأيتم اللات والعزى ثم ذكر نحوه **حدثني**
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله والله عليم حكيم وذلك أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي اذ نزلت عليه قصة آلهة العرب فجعل يتلوها فسمعه المشركون
فقالوا انا نسمعه يذكر آلهتنا بخير فدنوا منه فبينما هو يتلوها وهو يقول أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان ان تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فجعل يتلوها فنزل
جبرائيل عليه السلام فنسخها ثم قال له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى
الشيطان في أمنيته الى قوله والله عليم حكيم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول
أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنزل الله عليه في آلهة العرب فجعل يتلو اللات والعزى ويكثر
ترديدها فسمع أهل مكة نبي الله يذكر آلهتهم ففرحوا بذلك ودنوا يستمعون فألقى الشيطان في تلاوة
النبي صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فقرأها النبي صلى الله عليه
وسلم كذلك فأنزل الله عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول الى والله عليم حكيم **حدثني** يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أنه سئل عن قوله وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الآية قال ابن شهاب ثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم والنجم اذا هوى فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
قال ان شفاعتهن ترتجى وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه المشركون الذين في قلوبهم
مرض فسلموا عليه وفرحوا بذلك فقال لهم انما ذلك من الشيطان فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي حتى بلغ فينسخ الله ما يلقي الشيطان فتأويل الكلام ولم يرسل يا محمد من قبلك من
رسول الى أمة من الأمم ولا نبي محدث ليس بمرسل الا اذا تمنى * واختلف أهل التأويل في معنى قوله
تمنى في هذا الموضع وقد ذكرت قول جماعة ممن قال ذلك التمني من النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثته
نفسه من محبته مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ومن قال ذلك محبة منه في بعض
الاحوال أن لا تذكر بسوء * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا قرأ أو تلا أو حدث ذكر من قال ذلك
حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اذا تمنى ألقى
الشيطان في أمنيته يقول اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد قوله اذا تمنى قال اذا قال **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

قادر غالب فكيف يسوى بينه وبين
العاجز المغلوب في العبادة وهي نهاية
التعظيم وذلك أنهم لو اعتقدوا كون
تلك الاصنام طلسمات موضوعة
على الكواكب فاذا لم تنفع نفسها
في المقدار المذكور فلأن لا تنفع
غيرها أولى وان اعتقدوا أنها تماثيل
الملائكة أو الانبياء فلا يليق بها
غاية الخضوع التي يستحقها خالق
الكل وحين رد على أهل الشرك
معتقدهم في الالهيات أراد أن يرد
عليهم عقيدتهم في النبوات وهي أن
الرسول لا يكون بشرا فقال (الله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن
الناس) فالملك رسول الى النبي والنبي
رسول الى سائر البشر قاله مقاتل.
● ههنا سؤالان الاول أن من للتبعيض
فتفيد الآية أن بعض الملائكة
رسل فيكون مناقضا لقوله جاعل
الملائكة رسلا والجواب أن الموجبة

عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا اذا تمنى يعنى بالتمنى التلاوة والقراءة وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك لأن الآيات التى أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لاشك أنها آيات تنزيله فمعلوم بذلك أن الذى ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ثم أحكمه بنسخه ذلك منه فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان فى كتاب الله الذى تلاه وقرأه أو فى حديثه الذى حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقى الشيطان يقول تعالى فيذهب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه و يبطله كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطل الله ما ألقى الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وأحكم الله آياته وقوله ثم يحكم الله آياته يقول ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذى ألقى الشيطان على لسان نبيه والله عليم بما يحدث فى خلقه من حدث لا يخفى عليه منه شئ حكيم فى تدبيره اياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد﴾ يقول تعالى ذكره فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته كى يجعل ما يلقى الشيطان فى أمنية نبيه من الباطل كقول النبى صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فتنة يقول اختبارا يختبر به الذين فى قلوبهم مرض من النفاق وذلك الشك فى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما يخبرهم به ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين فألقى الشيطان فى أمنيته فقال ان الآلهة التى تدعى ان شفاعتها لترتجى وانها للغرانيق العلى فنسخ الله ذلك وأحكم الله آياته أفرأيتم اللات والعزى حتى بلغ من سلطان قال قتادة لما ألقى الشيطان ما ألقى قال المشركون قد ذكر الله آلهتهم بخير ففرحوا بذلك فذكر قوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض (١) يقول والذين قست قلوبهم عن الايمان بالله فلا تلين ولا ترعوى وهم المشركون بالله ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج والقاسية قلوبهم قال المشركون وقوله وان الظالمين لفى شقاق بعيد يقول تعالى ذكره وان مشركى قومك يا محمد لفى خلاف لله فى أمره بعيد من الحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذى أنزله الله من آياته التى أحكمها لرسوله ونسخ ما ألقى الشيطان فيه أنه الحق من عند ربك يا محمد فيؤمنوا به يقول فيصدقوا به فتخبت له قلوبهم يقول فتخضع للقرآن قلوبهم وتذعن بالتصديق به والاقرار بما فيه وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم وان الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله الى الحق القاصد والحق الواضح بنسخ ما ألقى

الشيطان

الجزئية لا تناقض الموجبة الكلية أو أراد بهذا البعض من هو رسول الى بنى آدم وهم أكابر الملائكة ولا يبعد أن يكون بعض الملائكة رسلا الى بعض آخر منهم وثانيهما أنه قال فى موضع آخر لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقد نص فى هذه الآية أن بعض الناس مصطفى فيلزم من مجموع الآيتين أنه قد اصطفى ولدا والجواب أن تلك الآية دلت على أن كل ولد مصطفى ولكن لا يلزم من هذه الآية أن كل مصطفى ولد فمن أين يحصل ما ادعيت والتحقيق ان الموجبتين فى الشكل الثانى لا ينتجان هذا ويحتمل أن تكون هذه الآية مسوقة للرد على عبدة الملائكة كما كانت الآية المتقدمة مسوقة للرد على عبدة الاصنام اذ يعلم من هذا أن علو درجة الملائكة ليس لكونهم

(١) يظهر أن هنا سقطا والاصل للذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وقوله والقاسية قلوبهم يقول الخ تأمل كتبه مصححه

الشيطان فى أمنية رسوله فلا يضرهم كيد الشيطان والقاؤه الباطل على لسان نبيهم * وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك قال يعنى القرآن ﴿ القول فى
تأويل قوله تعالى ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب
يوم عقيم﴾ يقول تعالى ذكره ولا يزال الذين كفروا بالله فى شك ثم اختلف أهل التأويل فى الهاء
التى فى قوله منه من ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد قال
ثنا شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه من قوله تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن ترتجى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يزال
الذين كفروا فى مرية منه قال مما جاء به ابليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة * وقال
آخرون بل هى من ذكر سجود النبى صلى الله عليه وسلم فى النجم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال
الذين كفروا فى مرية منه قال فى مرية من سجودك * وقال آخرون بل هى من ذكر القرآن
ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال من القرآن * وأولى هذه الاقوال فى ذلك بالصواب قول
من قال هى كناية من ذكر القرآن الذى أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله وليعلم الذين
أوتوا العلم أنه الحق من ربك أقرب منه من ذكر قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان والهاء من قوله أنه
من ذكر القرآن فالحاق الهاء فى قوله فى مرية منه بالهاء من قوله أنه الحق من ربك أولى من الحاقها
بما التى فى قوله ما يلقى الشيطان مع بعد ما بينهما وقوله حتى تأتيهم الساعة يقول لا يزال هؤلاء
الكفار فى شك من أمر هذا القرآن الى أن تأتيهم الساعة بغتة وهى ساعة حشر الناس لموقف
الحساب بغتة يقول فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم * واختلف أهل التأويل فى هذا اليوم أى
يوم هو فقال بعضهم هو يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم
قال ثنا شيخ من أهل خراسان من الازد يكنى أبا ساسان قال سألت الضحاك عن قوله عذاب يوم
عقيم قال عذاب يوم لا ليلة بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى
حمزة عن جابر عن عكرمة أن يوم القيامة لا ليلة له * وقال آخرون بل عنى به يوم بدر وقالوا انما قيل
له يوم عقيم أنهم لم ينظروا الى الليل فكان لهم عقيما ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا
ابن علية عن ليث عن مجاهد قال عذاب يوم عقيم يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج أو يأتيهم عذاب يوم عقيم قال ابن جريج يوم ليس فيه ليلة لم يناظروا الى
الليل قال مجاهد عذاب يوم عقيم * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر قال
قال مجاهد يوم بدر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو ادريس قال أخبرنا الأعمش عن رجل
عن سعيد بن جبير فى قوله عذاب يوم عقيم قال يوم بدر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة قوله عذاب يوم عقيم قال هو يوم بدر ذكره عن أبى بن كعب حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله عذاب يوم عقيم قال هو يوم بدر
عن أبى بن كعب وهذا القول الثانى أولى بتأويل الآية لانه لا وجه لأن يقال لا يزالون فى مرية منه
حتى تأتيهم الساعة بغتة أو تأتيهم الساعة وذلك أن الساعة هى يوم القيامة فان كان اليوم العقيم

آلهة بل لان الله اصطفاهم للرسالة
حين كانوا أمناء على وحيه لا يعصون
الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون
ثم بين علو شأنه وكمال علمه واحاطته
بأحوال المكلفين ما مضى منها وما
غبر وان مرجع الامور كلها اليه
وفى كل ذلك زجر عن الاقدام على
المعصية و بعث على الجد فى الطاعة
فلا جرم صرح بالمقصود قائلا
(يأيها الذين آمنوا) والظاهر أنه
خطاب مختص بالمؤمنين و يؤكده
قوله بعد ذلك هو اجتباكم هو
سماكم المسلمين وقيل عام لكل
المكلفين لان المأمورات بعده
لا تختص ببعض الناس دون بعض
والتخصيص بالذكر للتشريف
فانهم الذين قبلوا الخطاب ودل
بالركوع والسجود على الصلاة
لانهما ركنان معتبران وقيل كان
الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا

أيضا هو يوم القيامة فانما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ وذلك ما لا معنى له فاذ كان ذلك كذلك فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب وهو ما ذكرناه من معناه فتأويل الكلام اذا ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا الى العذاب الدائم أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم فلا ينظروا فيه الى الليل ولا يؤخروا فيه الى المساء لكنهم يقتلون قبل المساء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ يقول تعالى ذكره السلطان والملك اذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع وقد كان في الدنيا ملوك يدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه يحكم بينهم يقول يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين فالذين آمنوا بهذا القرآن وبمن أنزله ومن جاء به وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ والذين كفروا بالله ورسوله وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله وقالوا ليس ذلك من عند الله انما هو افك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون فأولئك لهم عذاب مهين يقول فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين يعني عذاب مذل في جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين﴾ يقول تعالى ذكره والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ليرزقنهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا يعني بالحسن الكريم وانما يعني بالرزق الحسن الثواب الجزيل وان الله لهو خير الرازقين يقول وان الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله فقال بعضهم سواء المقتول منهم والميت * وقال آخرون المقتول أفضل فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر قال كان فضالة برودس أميرا على الأرباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل الى حفرته فقال أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرؤا قول الله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا الى قوله وان الله لعليم حليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم﴾ يقول تعالى ذكره ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم مدخلا يرضونه وذلك المدخل هو الجنة وان الله لعليم بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا حليم عن عصاة خلقه بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قال هم المشركون بغوا على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده الله أن ينصره وقال في القصاص أيضا وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم وكان المسلمون يكرهون

القتال

ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود ذكره ابن عباس قال جار الله عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وهو مذهب الشافعي وأما أبو حنيفة فلا يرى هذه سجدة لانه قرن الركوع بالسجود قال فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة قدم الصلاة لانها أشرف العبادات ثم عمم فأمر بالعبادة مطلقا ثم جعل الامر أعم وهو فعل الخيرات الشامل للنوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله كأنه قال كلفتكم الصلاة بل كلفتكم ما هو أعم منها وهو العبادة بل كلفتكم أعم وهو فعل الخيرات على الاطلاق وقيل معناه

القتال يومئذ فى الاشهر الحرم فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم فبغوا عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فأنزل الله هذه الآية ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه بأن بدئ بالقتال وهو له كاره لينصرنه الله وقوله ان الله لعفو غفور يقول تعالى ذكره ان الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق غفور لما فعل ببادئه بالظلم مثل الذى فعل به غير معاقبه عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا النصر الذى أنصره من بغى عليه على الباغى لأنى القادر على ما أشاء فمن قدرته أن الله يولج الليل فى النهار يقول يدخل ما ينقص من ساعات الليل فى ساعات النهار فما نقص من هذا زاد فى هذا ويولج النهار فى الليل ويدخل ما انتقص من ساعات النهار فى ساعات الليل فما نقص من طول هذا زاد فى طول هذا وبالقدرة التى تفعل ذلك ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وأن الله سميع بصير يقول وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شئ بصير بما يعملون لا يغيب عنه منه شئ كل ذلك منه بمرأى ومسمع وهو الحافظ لكل ذلك حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ايلاجى الليل فى النهار وايلاجى النهار فى الليل لأنى أنا الحق الذى لا مثل لى ولا شريك ولا ند وأن الذى يدعوه هؤلاء المشركون الها من دونه هو الباطل الذى لا يقدر على صنعة شئ بل هو المصنوع يقول لهم تعالى ذكره أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شئ وكل شئ دونه وتعبدون الباطل الذى لا تنفعكم عبادته وقوله وأن الله هو العلى الكبير يعنى بقوله العلى ذو العلو على كل شئ هو فوق كل شئ وكل شئ دونه الكبير يعنى العظيم الذى كل شئ دونه ولا شئ أعظم منه وكان ابن جريج يقول فى قوله وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله وأن ما يدعون من دونه هو الباطل قال الشيطان * واختلفت القراء فى قراءة قوله وأن ما يدعون من دونه فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز تدعون بالتاء على وجه الخطاب وقرأته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر والياء أعجب القراءتين الى لان ابتداء الخبر على وجه الخطاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ماء يعنى مطرا فتصبح الارض مخضرة بما ينبت فيها من النبات ان الله لطيف باستخراج النبات من الارض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وبه قال فتصبح الارض فرفع وقد تقدمه قوله ألم تر وانما قيل ذلك كذلك لان معنى الكلام الخبر كأنه قيل اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الارض ونظير ذلك قول الشاعر

ألم تسأل الربع القديم فينطق * وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

لان معناه قد سألته فنطق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد﴾ يقول تعالى ذكره له ملك ما فى السموات وما فى الارض من شئ هم عبيده ومماليكه وخلقه لا شريك له فى ذلك ولا فى شئ منه وان الله هو الغنى عن كل ما فى السموات وما فى الارض

واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل وعن ابن عباس أن فعل الخير صلة الارحام ومكارم الأخلاق ومعنى (لعلكم تفلحون) افعلوا كل ذلك راجين الفلاح وهو الظفر بنعيم الآخرة لا متيقنين ذلك فان الانسان قلما يخلو فى أداء فرائضه من تقصير والعواقب أيضا مستورة ثم أمر بخلاف النفس والهوى فى جميع ما ذكر وهو الجهاد الاكبر فقال (وجاهدوا فى الله) أى فى ذاته ومن أجله (حق جهاده) أى حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه فاضافة الجهاد الى الله من قبيل التوسعة ولأدنى ملابسة من حيث ان الجهاد فعل لوجهه وقيل هو أمر بالغزو أمروا أن يجاهدوا آخرا كما جاهدوا أولا فقد كان جهادهم فى الأول أقوى وكانوا فيه أثبت نحو

من خلقه وهم المحتاجون اليه الحميد عند عباده فى افضاله عليهم وأياديه عندهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما فى الارض من الدواب والبهائم فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم والفلك تجرى فى البحر بأمره يقول وسخر لكم السفن تجرى فى البحر بأمره يعنى بقدرته وتذليله اياها لكم كذلك واختلفت القراء فى قراءة قوله والفلك تجرى فقرأته عامة قراء الامصار والفلك نصبا بمعنى سخر لكم ما فى الارض والفلك عطفا على ما وعلى تكرير أن وأن الفلك تجرى وروى عن الاعرج أنه قرأ ذلك رفعا على الابتداء والنصب هو القراءة عندنا فى ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه ويمسك السماء أن تقع على الارض يقول ويمسك السماء بقدرته كى لا تقع على الارض الا باذنه ومعنى قوله أن تقع أن لا تقع ان الله بالناس لرؤف يعنى انه بهم لذو رأفة ورحمة فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه وسخر لكم ما وصف فى هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى أنعم عليكم هذه النعم هو الذى جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم ولم تكونوا شيأ ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجىء آجالكم ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ان الانسان لكفور يقول ان ابن آدم لجحود لنعم الله التى أنعم بها عليه من حسن خلقه اياه وتسخيره له ما سخر مما فى الارض والبر والبحر وتركه اهلاكه بامساكه السماء أن تقع على الارض بعبادته غيره من الآلهة والانداد وتركه افراده بالعبادة واخلاص التوحيد له وقوله لكل أمة جعلنا منسكا يقول لكل جماعة قوم هى خلت من قبلك جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتى فيه وقضاء فرائضى وعملا يلزمونه وأصل المنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد الذى يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شر يقال ان لفلان منسكا يعتاده يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر وانما سميت مناسك الحج بذلك لتردد الناس الى الاماكن التى تعمل فيها أعمال الحج والعمرة وفيه لغتان منسك بكسر السين وفتح الميم وذلك من لغة اهل الحجاز ومنسك بفتح الميم والسين جميعا وذلك من لغة أسد وقد قرئ باللغتين جميعا وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله لكل أمة جعلنا منسكا أى المناسك عنى به فقال بعضهم عنى به عيدهم الذى يعتادونه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه يقول عيدا * وقال آخرون عنى به ذبح يذبحونه ودم يهريقونه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن جريج عن مجاهد فى قوله لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه قال اراقة الدم بمكة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هم ناسكوه قال اهراق دماء الهدى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة منسكا قال ذبحا وحجا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال عنى بذلك اراقة الدم أيام النحر بمنى لان المناسك التى كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اراقة الدم فى هذه الايام على أنهم قد كانوا جادلوه فى اراقة الدماء التى هى دماء ذبائح الانعام بما قد أخبر الله عنهم فى سورة الأنعام غير أن تلك لم تكن مناسك

صنيعهم يوم بدر وعن عمر أنه قال لعبد الرحمن بن عوف أما علمت أنا كنا نقرأ وجاهدوا فى الله حق جهاده فى آخر الزمان كما جاهدتم فى أوله فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء قال العلماء لو صحت هذه الرواية فلعل هذه الزيادة من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليست من نفس القرآن والا لتواترت وأما عبارات المفسرين فعن ابن عباس حق جهاده أى لا تخافوا فى الله لومة لائم وقال الضحاك اعملوا لله حق عمله وقال آخرون استفرغوا ما فى وسعكم فى احياء دين الله واقامة حدوده باليد واللسان وجميع ما يمكن وردوا أنفسكم عن الهوى والميل وعن مقاتل والكلبى أن الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله

فاما

فأما التي هي مناسك فانما هي هدايا أو ضحايا ولذلك قلنا عنى بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا وقوله فلا ينازعنك في الامر يقول تعالى ذكره فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله فانك أولى بالحق منهم لانك محق وهم مبطلون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلا ينازعنك في الامر قال الذبح حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلا ينازعنك في الامر فلا تحاجنك وقوله وادع الى ربك يقول تعالى ذكره وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك الى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا الا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرؤا منها انك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك وهم الضلال عن قصد السبيل لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك فقل الله أعلم بما تعملون ونعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وان جادلوك قال قول أهل الشرك أما ما ذبح الله بيمينه فقل الله أعلم بما تعملون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) يقول تعالى ذكره ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع والارضين السبع لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا فيجازي المحسن منهم باحسانه والمسيء باساءته ان ذلك في كتاب يقول تعالى ذكره ان علمه بذلك في كتاب وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن الى يوم القيامة ان ذلك على الله يسير كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا ميسر بن اسمعيل الحلبي عن الاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة قال علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون ثم كتبه ثم قال لنبيه ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني ميسر عن أرطاة بن المنذر قال سمعت ضمرة بن حبيب يقول ان الله كان على عرشه على الماء وخلق السموات والارض بالحق وخلق القلم فكتب به ما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يبدأ شيأ من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني معتمر بن سليمن عن أبيه عن سيار عن ابن عباس أنه سأل كعب الاحبار عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا وكان ابن جريج يقول في قوله ان ذلك في كتاب ما حدثنا به القاسم قال ثني حجاج عن ابن جريج ان ذلك في كتاب قال قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون وانما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك لأن قوله ان ذلك الى قوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض أقرب منه الى قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فكان الحاق ذلك بما هو أقرب اليه أولى منه بما بعد وقوله ان ذلك على الله يسير اختلف في ذلك

ما استطعتم كما أن قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك وضعف بأن التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى التزام النسخ ثم عظم شأن المكلفين بقوله (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه ونصرته وفيه تشريف كقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا ثم كان لقائل أن يقول التكليف وان كان تشريفا الا أن فيه مشقة على النفس فقال (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وذلك بأنه فتح باب التوبة ووسع على المكلفين بأنواع الرخص والكفارات والديات والاروش يروى أن أبا هريرة قال كيف قال سبحانه وما جعل عليكم في الدين من حرج مع أنا منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذي كان على بني اسرائيل وضع عنكم قالت

فقال بعضهم معناه ان الحكم بين المختلفين فى الدنيا يوم القيامة على الله يسير ذكر من قال ذلك
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان ذلك على الله يسير قال
حكمه يوم القيامة ثم قال بين ذلك ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب * وقال
آخرون بل معنى ذلك أن كتاب القلم الذى أمره الله أن يكتب فى اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله
يسير يعنى هين وهذا القول الثانى أولى بتأويل ذلك وذلك أن قوله ان ذلك على الله يسير الى قوله
ان ذلك فى كتاب أقرب وهو له مجاور ومن قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة متباعد مع دخول قوله
ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض بينهما فالحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام
وهو كذلك مخرج فى التأويل صحيح * القول فى تأويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء
المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء فى كتاب من كتبه التى أنزلها الى
رسله بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها بأن الله أذن لهم فى عبادتها وما ليس لهم به علم أنها آلهة
وما للظالمين من نصير يقول وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الاوثان من ناصر ينصرهم يوم
القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه اذا أراد عقابهم * القول فى تأويل قوله تعالى
(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) يقول
تعالى ذكره واذا تتلى على مشركى قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا آياتنا يعنى آيات
القرآن بينات يقول واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر
يقول تتبين فى وجوههم ما ينكره أهل الايمان بالله من تغيرها لسماعهم القرآن وقوله يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يقول يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من
أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم * وبنحو ما قلنا
فى تأويل قوله يسطون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يكادون يسطون يقول يبطشون حدثنى محمد
ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يكادون
يسطون يقول يقعون بمن ذكرهم حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال
أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قال يكادون
يقعون بهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يكادون يسطون قال
يبطشون كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول
فى قوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يقول يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذا وقوله
قل أفأنبئكم بشر من ذلكم يقول أفأنبئكم أيها المشركون بأكره اليكم من هؤلاء الذين تكرهون
قراءتهم القرآن عليكم هى النار وعدها الله الذين كفروا وقد ذكر عن بعضهم انه كان يقول ان
المشركين قالوا والله ان محمدا وأصحابه لشر خلق الله فقال الله لهم قل أفأنبئكم أيها القائلون
هذا القول بشر من محمد صلى الله عليه وسلم أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار ورفعت
النار على الابتداء ولأنها معرفة لا تصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة وهو كما يقال مررت

المعتزلة لو خلق الله فيه الكفر ثم
نهاه عنه كان ذلك من أعظم الحرج
وعورض بأنه نهاه عن الكفر مع
أنه علم ذلك منه وكأنه أمره بقلب علم
الله جهلا وهو أعظم الحرج ثم أثنى
على هذه الامة بقوله (ملة أبيكم) أى
أعنى الدين ملة أبيكم ويجوز أن
ينتصب بمضمون ما تقدم كأنه قيل
وسع دينكم توسعة ملة أبيكم فأقام
المضاف اليه مقام المضاف وانما
كان ابراهيم أبا هذه الأمة لأنه
أبو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل
نبى أبو أمته والمراد أن التوحيد
والحنيفية هى مما شرع ابراهيم
(هو) أى الله أو ابراهيم (سماكم
المسلمين من قبل) أى فى سائر
الكتب أو فى قوله ومن ذريتنا أمة
مسلمة لك (وفى هذا) القرآن أما
ان كان المسمى هو الله فظاهر وأما
ان كان هو ابراهيم فلعله أراد أن

برجلين أخولك وأبولك ولو كانت مخفوضة كان جائزا وكذلك لو كان نصبا بالعائد من ذكرها في وعدها وأنت تنوي بها الاتصال بما قبلها يقول تعالى ذكره فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه وقوله وبئس المصير يقول وبئس المكان الذي يصير اليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة * القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز) يقول تعالى ذكره يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر ومعنى ضرب في هذا الموضع جعل من قولهم ضرب السلطان على الناس البعث بمعنى جعل عليهم وضرب الجزية على النصارى بمعنى جعل ذلك عليهم والمثل الشبه يقول جل ثناؤه جعل لي شبه أيها الناس يعني بالشبه والمثل الآلهة يقول جعل لي المشركون الأصنام شبها فعبدوها معي وأشركوها في عبادتي فاستمعوا له يقول فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم اياه شبها وصفته ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا يقول ان جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته لانها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه ولو اجتمع لخلقه جميعها والذباب واحد وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبان نظير غراب يجمع في القلة أغربة وفي الكثرة غربان وقوله وان يسلبهم الذباب شيأ يقول وان يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيأ مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه يقول لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه * واختلف في معنى قوله ضعف الطالب والمطلوب فقال بعضهم عنى بالطالب الآلهة وبالمطلوب الذباب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس في قوله ضعف الطالب قال آلهتهم والمطلوب الذباب وكان بعضهم يقول معنى ذلك ضعف الطالب من بني آدم الى الصنم حاجته والمطلوب اليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله يقول ضعف عن ذلك وعجز * والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها اياه وهو الطيب وما أشبهه والمطلوب الذباب وانما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب فأن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا عما هو عنه منقطع وانما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها تقريعا منه بذلك عبدتها من مشركي قريش يقول تعالى ذكره كيف يجعل لي مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب وان أخذ له الذباب فسلبه شيأ عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر وأنا الخالق ما في السموات والارض ومالك جميع ذلك والمحيي من أردت والمميت ما أردت ومن أردت ان فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل وقوله ما قدروا الله حق قدره يقول ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم ما عرفت لفلان قدره اذا خاطبوا بذلك من قصر بحقه وهم يريدون تعظيمه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان يسلبهم الذباب شيأ الى آخر الآية قال هذا مثل ضربه الله لآلهتهم وقرأ ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه وقوله ان الله لقوي يقول ان الله لقوي على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره عزيز يقول منيع في ملكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيأ وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب ولا على

حكاية دعائه مذكورة في القرآن وقوله (ليكون الرسول) متعلق بقوله هو اجتباكم أي فضلكم على الأمم لهذا الغرض نظيره قوله في البقرة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا والأصل تقديم الامة كما في البقرة لان الخطاب معهم وليقع الختم على شهادة الرسول كما هو الواقع الا أنه عكس الترتيب في هذه السورة ليناط به قوله (فأقيموا الصلاة) والمراد اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه واعتصموا بدلائله العقلية والسمعية أو بألطافه وعنايته قال ابن عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات وقال آخرون اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون فهو خير مولى وناصر استدلت المعتزلة بالآية في قولهم انه يريد الايمان من الكل من وجوه الاول أنه أراد أن يكونوا شهداء وان يكونوا كذلك الا اذا آمنوا

الامتناع من الذباب اذا استلبها شيأ ضعفا ومهانة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله يصطفى
من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير ﴾ يقول تعالى ذكره الله يختار من الملائكة
رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما الى أنبيائه ومن شاء من عباده ومن الناس كأنبيائه
الذين أرسلهم الى عباده من بنى آدم ومعنى الكلام الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا
رسلا وقد قيل انما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فقال الله لهم ذلك
الى وبيدى دون خلقى أختار من شئت منهم للرسالة وقوله ان الله سميع بصير يقول ان الله سميع
لما يقول المشركون فى محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه بصير بمن يختاره لرسالته من
خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور ﴾
يقول تعالى ذكره الله يعلم ما كان بين أيدى ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم وما خلفهم يقول
ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم والى الله ترجع الامور يقول الى الله فى الآخرة تصير اليه أمور الدنيا
واليه تعود كما كان منه البدء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله
اركعوا لله فى صلاتكم واسجدوا له فيها واعبدوا ربكم يقول وذلوا لربكم واخضعوا له بالطاعة وافعلوا
الخير الذى أمركم ربكم بفعله لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا بذلك فتدركوا به طلباتكم عند ربكم
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين
من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس ﴾ * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده
فقال بعضهم معناه وجاهدوا المشركين فى سبيل الله حق جهاده ذكر من قال ذلك حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمن بن بلال عن ثور بن زيد عن عبد الله بن عباس
فى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة فقال عمر من أمر بالجهاد قال قبيلتان من
قريش مخزوم وعبد شمس فقال عمر صدقت * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تخافوا فى الله لومة لائم
قالوا وذلك هو حق الجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده لا تخافوا فى الله لومة
لائم * وقال آخرون معنى ذلك اعملوا بالحق حق عمله وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من
فى روايته نظر * والصواب من القول فى ذلك قول من قال عنى به الجهاد فى سبيل الله لان المعروف
من الجهاد ذلك وهو الأغلب على قول القائل جاهدت فى الله وحق الجهاد هو استفراغ الطاقة
فيه وقوله هو اجتباكم يقول هو اختاركم لدينه واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد فى سبيله وقال
ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هو اجتباكم
قال هو هداكم وقوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج يقول تعالى ذكره وما جعل عليكم ربكم
فى الدين الذى تعبدكم به من ضيق لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه بل وسع عليكم فجعل التوبة من
بعض مخرجا والكفارة من بعض والقصاص من بعض فلا ذنب يذنب المؤمن الا وله منه فى دين
الاسلام مخرج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس
ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن زيد عن ابن شهاب قال سأل عبد الملك بن
مروان على بن عبد الله بن عباس عن هذه الآية وما جعل عليكم فى الدين من حرج فقال على بن
عبد الله الحرج الضيق فجعل الله الكفارات مخرجا من ذلك سمعت ابن عباس يقول ذلك

* قال

الثانى أنه لا يمكن الاعتصام به الا اذا
لم يوجد منه الشر البتة الثالث أنه
لو خلق فى عباده الكفر والمعاصى لم
يكن نعم المولى وأجيب بعد تسليم
ارادة الايمان من الكل أن ارادة
الشئ ان كانت مستلزمة لارادة
لوازمه فارادة الايمان من الكفار
تستلزم أن يكون الله تعالى مريدا
لجهل نفسه وان لم تستلزم فقد سقط
السؤال وأيضا الاعتصام به انما
يكون منه كقوله أعوذ بك منك
وأيضا انه خلق الشهوة فى قلب
الفاسق وخلق المشتهى وقربه منه
ودفع المانع وسلط عليه شياطين
الانس والجن فلو لم تكن كل هذه
مقتضية لكونه بئس المولى لم يكن
خلق الكفر أيضا مقتضيا لذلك
۞ التأويل سخر لكم ما فى أرض
البشرية من الصفات الحيوانية
والشيطانية وسخر فلك الواردات

* قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس
يسأل عن ما جعل عليكم في الدين من حرج قال ما ههنا من هذيل أحد فقال رجل نعم قال ما تعدون
الحرجة فيكم قال الشيء الضيق قال ابن عباس فهو كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس وذكر نحوه إلا أنه قال
فقال ابن عباس أههنا أحد من هذيل فقال رجل أنا فقال أيضا ما تعدون الحرج وسائر الحديث
مثله حدثني عمران بن بكار الكلاعي قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا يحيى بن حمزة
عن الحكم بن عبد الله قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج قال هو الضيق حدثنا حميد بن مسعدة
قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا أبو خلدة قال قال لي أبو العالية أتدري ما الحرج قلت
لا أدري قال الضيق وقرأ هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج حدثنا محمد بن بشار قال
ثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال من ضيق
حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال قال لي أبو العالية هل تدري
ما الحرج قلت لا قال الضيق إن الله لم يضيق عليكم لم يجعل عليكم في الدين من حرج حدثني
يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن القاسم أنه تلا هذه الآية وما جعل عليكم في الدين
من حرج قال تدرون ما الحرج قال الضيق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن يونس بن أبي إسحق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إذا تعاجم شيء من
القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي ثم دعا ابن عباس أعرابيا فقال ما الحرج قال الضيق
قال صدقت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في الدين من حرج قال
من ضيق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون
معنى ذلك ما جعل عليكم في الدين من حرج من ضيق في أوقات فروضكم إذا التبست عليكم
ولكنه قد وسع عليكم حتى تتيقنوا محلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير
عن مغيرة عن عثمان بن بشار عن ابن عباس في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال هذا
في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس وفي الحج إذا شكوا في الهلال وفي الفطر والأضحى إذا التبس
عليهم وأشباهه * وقال آخرون بل معنى ذلك ما جعل في الإسلام من ضيق بل وسعه ذكر من
قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن
ابن عباس قوله ما جعل عليكم في الدين من حرج يقول ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق هو
واسع وهو مثل قوله في الأنعام فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل عليه الإسلام ضيقا
والإسلام واسع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول من ضيق يقول جعل الدين واسعا ولم يجعله
ضيقا وقوله ملة أبيكم إبراهيم نصب ملة بمعنى وما جعل عليكم في الدين من حرج بل وسعه كملة
أبيكم فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصبت وقد يحتمل نصبها أن تكون على
وجه الأمر بها لأن الكلام قبله أمر فكأنه قيل اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم وقوله
هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا يقول تعالى ذكره سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه

المغيبة تجري في بحر القلب وعسك
سماء القلب أن تقع على أرض
النفس بأن تتصف بصفاتها إلا
بإذنه بقدر ما أباحه الشرع من
ضروريات المأكول والملبوس
وغيرهما وهو الذي أحياكم بازدواج
الروح إلى القالب ثم يميتكم عن
صفات البشرية ثم يحييكم بنور
الصفات الرحمانية فلا ينازعنك في
أمرك فإن لك مع الله وقتا لا يسعك
فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكل
قوم رتبة لا يتجاوزونها إن الذين
يدعون من دون الله كالأصنام
الظاهرة والباطنة لن يطلعوا على
كيفية خلق الذباب وإن يسلبهم
ذباب هو أجس النفس شيأ من صفاء
القلب وجمعية الوقت ضعف
الطالب وهو القلب غير المؤيد بنور
الإيمان والمطلوب وهو النفس
والشيطان اركعوا بالسنن ولها عن

وسلم المسلمين من قبل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هو سماكم المسلمين يقول الله سماكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء بن أبى رباح أنه سمع ابن عباس يقول الله سماكم المسلمين من قبل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وحدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين قال الله سماكم المسلمين من قبل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين قال الله سماكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هو سماكم المسلمين من قبل يقول الله سماكم المسلمين * وقال آخرون بل معناه ابراهيم سماكم المسلمين وقالوا هو كناية من ذكر ابراهيم صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو سماكم المسلمين قال ألا ترى قول ابراهيم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال هذا قول ابراهيم هو سماكم المسلمين ولم يذكر الله بالاسلام والايمان غير هذه الامة ذكرت بالايمان والاسلام جميعا ولم نسمع بأمة ذكرت الا بالايمان ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك لانه معلوم أن ابراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين فى القرآن لان القرآن أنزل من بعده بدهر طويل وقد قال الله تعالى ذكره هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ولكن الذى سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن وفى القرآن الله الذى لم يزل ولا يزال وأما قوله من قبل فان معناه من قبل نزول هذا القرآن فى الكتب التى نزلت قبله وفى هذا يقول وفى هذا الكتاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من قبل قال فى الكتب كلها والذكر وفى هذا يعنى القرآن وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به اليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به اليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين من قبل قال الله سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم بأنه بلغكم وتكونوا شهداء على الناس أن رسلهم قد بلغتهم وبه عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ما لم يعطه الا نبى كان يقال للنبى اذهب فليس عليك حرج وقال الله وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعونى أستجب لكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبى

مرتبة الانسانية الى خضوع الحيوانية ومنهم من يمشى على أربع واسجدوا بالنزول الى مرتبة الحيوانية والنجم والشجر يسجدان واعبدوا ربكم بجعل الطاعة خالصة له وافعلوا الخير بمراقبة الله فى جميع أحوالكم لعلكم تفلحون بالوصال وجاهدوا فى الله حق جهاده فجهاد النفس بتزكيتها بأداء الحقوق وترك الحظوظ وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتحليته بافناء الوجود فى وجوده هو اجتباكم لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا أنه اجتباكم ما اهتديتم اليه كما قيل

* فلولاكم ما عرفنا الهوى *

وما جعل عليكم فى دين العشاق وهو السير الى الله من ضيق من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا والسير الى الله من سنة ابراهيم انى

كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب فليس عليك حرج فقال الله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعوني أستجب لكم

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يقول فأدوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم واعتصموا بالله يقول وثقوا بالله وتوكلوا عليه في أموركم فنعم المولى يقول فنعم الولي الله لمن فعل ذلك منكم فأقام الصلاة وآتى الزكاة وجاهد في سبيل الله حق جهاده واعتصم به ونعم النصير يقول ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء

(تم)

﴿تم الجزء السابع عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الثامن عشر أوله (سورة المؤمنون)﴾

ذاهب الى ربي سيهدين هو سماكم المسلمين في الازل وهو في هذا الطور وانما قدم الرسول لان روحه في طرف الازل مقدم أول ما خلق الله روحه فهو مشرف وقتئذ على أرواح أمته وبعد ذلك خلقت أرواح أمته مشرفين على أرواح غيرهم وفي سورة البقرة اعتبر طرف الابد فوقع الختم على الرسول وعلى شهادته فأقيموا الصلاة بدوام السير والعروج الى الله والتعظيم لامره وآتوا الزكاة بدعوة الخلق الى الله والشفقة عليهم واعتصموا بحبل الله حتى تصلوا اليه هو متولي افنائكم عنكم فنعم المولى في افناء وجودكم ونعم النصير في ابقائكم بربكم والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين وذرياته وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين

(تم)

﴿فهرست الجزء السابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى﴾

صحيفة

٢ ﴿تفسير سورة الانبياء﴾

٣ تأويل قوله بل قالوا أضغاث أحلام الآية وبيان ما تقوله المشركون عليه

٦ بيان أن القرآن فيه شرف لمن اتبعه

٨ بيان أن اللهو يطلق على الزوجة

٩ بيان وجه استحالة أن يتخذ الله لهوا

١١ تأويل قوله أم اتخذوا من دونه آلهة الآية وبيان عجز المشركين عن الاتيان بالحجة

١٥ بيان كون السموات والارض كانتا خاليتين من المطر والنبات ففتقهما الله لما هما عليه من المنافع وأن ذلك هو المراد بالرتق والفتق

١٦ تأويل قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وبيان معنى الفلك

١٩ بيان ما فى طبع الانسان من العجل وأنه بودر بخلقه على عجل

٢٥ تأويل قوله ونضع الموازين القسط الآية وبيان أن خفة الميزان وثقله عماذا يكونان

٢٦ بيان الخلاف فى الفرقان الذى آتاه الله موسى

٢٨ بيان ما فعله ابراهيم عليه السلام بالآلهة وذكر السبب فى ذلك

٣١ بيان أن القوم لما عارضوا ابراهيم عليه السلام أتوا بما هو حجة له عليهم وهو معنى نكسهم على رؤسهم

٣٣ بيان ما فعله القوم فى احراق ابراهيم وما أكرمه الله به

٣٤ ذكر نزول ابراهيم بالشام وذكر طرف من فضائلها

٣٨ بيان ما حكم به داود وسليمن فى الحرث

٤١ ذكر ما علمه داود من صنعة الدروع

٤٢ ذكر ما أعطيه سليمن من تسخير الرياح

٤٢ ذكر قصة أيوب

٥٨ تأويل قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل وبيان ذى الكفل من هو وذكر طرف من تاريخه

صحيفة

٦١ ذكر مغاضبة يونس عليه السلام وسوق طرف من حكايته مع قومه

٦٦ ذكر طرف من أخبار زكريا عليه السلام

٦٩ ذكر طرف من أخبار يأجوج ومأجوج وما يكون قبل قيام الساعة

٧٥ تأويل قوله لهم فيها زفير وبيان ما قالته قريش للنبى ونزلت الآية بعده جوابا لهم

٧٩ ذكر طرف من أخبار يوم القيامة من طى السماء ونحوه وبيان الخلاف فى السجل

٨١ بيان أن الله كتب فى أم الكتاب والكتب التى أنزلها أن أرض الجنة يرثها الصالحون

٨٥ ﴿تفسير سورة الحج﴾

٨٧ بيان مقدار من يدخل النار من الخليقة

٨٩ بيان ما يحصل للنطفة عند وقوعها فى الرحم

٩٢ بيان أن التكبر مما يمنع عن معرفة الله

٩٩ ذكر الذين بارزوا يوم بدر من المؤمنين والكافرين

١٠٢ تأويل قوله ان الذين كفروا ويصدون وبيان القول فى ملك بيوت مكة وما كان يصنع فى البيوت زمن السلف ومعنى الالحاد فى الحرم

١٠٥ بيان ما كان عليه آدم من عظم الخلقة وانزال البيت اليه

١٠٦ بيان ما فعله الخليل من التأذين بالحج

١١٤ تأويل قوله لكم فيها منافع وبيان ما فى البدن من المنافع

١١٨ بيان ما يفعل بالبدن عند ذبحها من عقلها وذكر الله عليها والتصدق بها

١٢٢ بيان أول آية نزلت فى القتال

١٣٢ ذكر ما قيل فى الغرانيق

١٣٨ تأويل قوله وهو الذى أحياكم ثم يميتكم وبيان معنى المنسك

١٤٢ بيان ما عليه الدين من السعة

﴿تم فهرست الجزء السابع عشر من ابن جرير﴾

﴿ فهرست الجزء السابع عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش ابن جرير ﴾

صحيفة

٣ ﴿ تفسير سورة الانبياء ﴾
٤ بيان تعلق آخر سورة طه بأول هذه السورة
٤ بيان ما احتجت به المعتزلة على أن القرآن محدث وما رد به عليهم
٦ بيان أن شبه الطاعنين فى نبوته باطلة
١٠ تأويل تلك الآيات
١٢ تفسير قوله أم اتخذوا آلهة من الارض الآية
١٣ بيان ما للمفسرين فى آية لو كان فيهما آلهة
١٥ بيان أن كلا من المعتزلة والاشاعرة قائل انه لا يقال لله لم فعلت وما فى ذلك من التعليل
١٧ بيان الرتق الذى كانت عليه السموات والارض
١٩ بيان الخلاف فى معنى الفلك
٢٠ بيان ما ذهب اليه الفخر من أن الحركة السماوية صنف واحد وما فى ذلك من الاشكال
٢٥ بيان المراد بحبة من خردل
٢٦ تأويل تلك الآيات
٢٩ تفسير قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده الآيات
٣٣ بيان ما تمسك به الطاعنون فى عصمة الانبياء وردشبههم عليهم
٣٤ بيان ما قاله ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار
٣٥ بيان كيفية برد النار على ابراهيم وما قيل فيه
٣٨ بيان حكومة داود وسليمن وجواز الاجتهاد لهما
٤٠ بيان كيفية تسبيح الجبال مع داود
٤١ بيان ما قاله الجبائى فى الجن والرد عليه
٤٢ ذكر حكاية أيوب عليه السلام
٤٨ بيان ما قيل فى ذى الكفل
٤٨ ذكر خبر يونس وانه المراد بذى النون
٥١ ذكر خبر زكريا عليه السلام
٥٢ تأويل تلك الآيات
٥٥ تفسير قوله ان هذه أمتكم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٥٦ بيان ما ورد فى افتراق الامة المحمدية

صحيفة

٥٩ ذكر ما جرى بين رسول الله وقريش فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
٦٢ بيان الدليل على كون النبى أفضل من الملائكة
٦٣ تأويل تلك الآيات
٦٦ ﴿ تفسير سورة الحج ﴾
٦٧ بيان ما استدل به على أن المعدوم شئ وجوابه
٦٨ بيان كون بعض الجدال ليس مذموما
٧١ بيان تحقيق فى قوله ان كنتم فى ريب الآية
٧٤ بيان أن الاديان ستة واحد لله والباقى للشيطان
٧٧ تأويل تلك الآيات
٧٨ تفسير قوله ان الله يدخل الذين آمنوا الآيات
٨٠ بيان ما يستوى فيه المكى والآفاقى ماهو
٨٢ ذكر الكعبة وبنائها
٨٤ بيان أن الاكل من الهدى واجب أم مندوب
٨٦ بيان ما للمفسرين فى قول الزور الخ
٨٩ بيان معنى المخبتين
٩٠ بيان ما فعله أهل الجاهلية من تلويثهم الاوثان وحيطان الكعبة بدم القرابين
٩٤ تأويل تلك الآيات
٩٦ تفسير قوله وان يكذبوك فقد كذبت الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٠٠ ذكر خبر حنظلة بن صفوان عليه السلام
١٠٢ بيان ما قالته الاشاعرة فى غفران الذنوب
١٠٤ ذكر خبر الغرانيق وما قيل فى حديثها
١١٥ بيان بعض ما استدل به الشافعى على رعاية وجوب المماثلة فى القصاص
١١٨ تأويل تلك الآيات
١٢٤ تفسير قوله ألم تر أن الله سخر الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٣٢ بيان ما كان يفعله المشركون بالاصنام من طلبها بالزعفران والعسل
١٤٢ تأويل تلك الآيات

﴿ تم فهرست الجزء السابع عشر من تفسير النيسابورى ﴾